مختارات
من الآداب الآسيوية
الهند ، الصين ، كوريا

اختيار وترجمة
صبرى الفضل



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٣

مختارات
من الآداب الآسيوية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

آسيا عظمى القارات ، ثلث اليابسة تقريبا ، يعيش عليها ثلاثة أخماس سكان الدنيا ، مليئة بالمتناقضات والتباينات · هي موطن أقدم الحضارات ومنها انبعثت جميع الديانات العظيمة التى جاء بها رسل وأنبياء من أولى العزم · ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد · كما جاءت بالبوذية والكونفوشية والطاوية وغيرها كثير ، كما تزخر بشتى الأمم واللغات والآداب ·

ان فيها من ثقافات ما ليست أقل قيمة ولا فعالية ولا عراقة ولا فائدة حقيقية للبشرية مما يبتكره الغرب اليوم من الأدوات وأسس الفكر التكنولوجى ·

واذا نظرنا الى كل ذلك الذى نسميه بالثقافة والذى يشمل المعرفة والعقيدة والأدب والفن والقانون والأخلاق والعرف والقيم ·· أى فيما يخص هوية **المجتمعات العميقة ، وأدق ما يميزها ويمنحها القيمة الانسانية ·· فليس الغرب** أكثر من عارض طارىء فى موكب الانسانية الطويل ·

والأدب أداة يتم من خلالها تبادل وتوصيل المفاهيم الاجتماعية بحرية · انها الأداة التى من خلالها يتم ابراز الأوجه السيئة فى المجتمع وكذلك الأوجه الطيبة · فهو المرآة التى تعكس الذات الحقيقية للمجتمع ، وتسجلها وتنقلها

للأجيال اللاحقة ، ومن ثم يصبح آدب الأمة مفتاح دراسة سيكولوجيتها •

والآن ، أتركك أيها القارىء العزيز مع هذه المختارات، حيث المعيار هو الانسان والعلاقات الانسانية ، الى دنيا فيها « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة » •

آملا أن أكون قد وفقت في اختيارها واعدادها وترجمتها التى توخيت فيها التنوع والأمانة •

أسأل الله تعالى أن ينفع الناس بهذا الجهد ويكرمه برضاهم ، وأن يوفقنا الى ما نسعى اليه من خدمة العلم وأهله ، له الحمد والمنة ، وهو سبحانه على كل خير مستعان •

صبرى الفضل •

من الأدب الهندي

الهنـــد

★ اسمها باللغة الهندوسية : بهارات ٠

★ العاصمة : نيودلهى ٠

★ السكان : ما يقرب من ١٠٠٠ مليون نسمة ٠

★ المساحة : ٣ر١٦٩ر٤١٤ كيلو مترا مربعا ٠

★ اهم المدن : بومباى ، دلهى ، كالكوت ، مدراس ، بنجالور ، حيدر اباد ، احمد اباد ، كانبور ٠٠٠

★ اللغة : متعددة اللغات ولغتها الرسمية الانجليزية ٠

★ الديانة : الهندوسية : ٨٢٪ ، الاسلام : ١٢٪ ، المسيحية : ٥ر٢٪ السيخ : ٢٪ ، البوذية : ٧ر٠٪ ، الجاينية : ٥ر٠٪ ٠

منذ أكثر من ألف عام قبل الميلاد ترددت فى الهند هذه العبارات :
« التعليم والتعلم يجلبان البهجة ورجاحة العقل والحرية ٠ اننا نجنى الفائدة منهما يوما بعد يوم ، ونحيا فى سـلام ونصبح أفضـل المداوين لنفوسنا ٠ ويسفر ذلك عن السيطرة على الحواس والاستمتاع بالوحدة ونمو المعرفة والسلطة والنضوج » ٠

عبارات وردت فى أسفار البراهمانات ، وهى جزء من الأدب الفيدى العظيم ، الذى يمثل المعرفة التى تناقلها الرواة جيلا بعد جيل ، قبل تدوينهـــا ٠ ومن الفيــدات التى ظهرت فى فترة لاحقـة هى المهابهارتا والرامايانا ٠ ومن قبلها السوترات والاوبانيشادات التى الى جانب كونها ملحمة هندية ضخمة ، فانها تعتبر أيضا مستودعا هائلا للقصص البطولية والأساطير والرسالات التعليمية المختلفة الأشكال والألوان ٠ وهى محور الشعر والتصوف والموسيقا والرقص ٠ ويختلط فيها كل شىء ٠ ملحمة الآلهة بحياة الأبطال والناس ٠ وهى الخزان الفريد للقيم والرموز والدلائل ، ولا يضاهى اختلافها الشديد سوى تعقيدها الشديد ٠

والهند أكبر لغز فى تاريخ البشرية ، أفرزت ثقافة معقدة لا لأنها فقط تجمع الآلهة والبشر بل تجمع الطبيعة كلها والكون والناس فى كل واحـــد ٠

وفيها نبتت الفكرة التى تتصور العالم على انه وهم كبير يخفى وراءه جوهر أو روح الأشياء والكائنات . وهى التى افرزت نظام الطوائف أو الطبقات Sects وهو نظام مغلق ، وافرزت التأمل البوذى وهو مطـلق .

والبراهميــة والهنـدوسية والبـوذية والجانيه من هـــذا النبع الواحـــد .

لقد جاء بوذا (*) بنظريته فى السعادة الكاملة ، التى لا يرقى اليها المرء الا بالاندماج التام فى روح الكون العليا ، فيصل لمرتبة « النرفانا » أو صفاء النفس . ولكن بمرور الزمن تهاوت تعاليم بوذا فى الهند ، بينما انتشرت فى معظم آسيا ، ودخلت العقيدة الهندوسية التى تؤمن بتعدد الآلهة وبالمعجزات والسحر والأســاطير . فصبغت الفكر الهنـدى كله بصبغتها . فكانت الملاحم الكبرى من وحيها وكان الرقص الدينى والشعر والتمثيل والأدب والفكر .

وطرق الاسلام أبواب الهند من الشمال الغربى فى أواخر القرن السابع فجاءت كلية ودمنه وألف ليلة وليلة وعشرات من القصص ، وسجل البيرونى صورة ثقافية نادرة للهند ، كان يمكنها أن تضيع لولاه . وأبرزت الهند المسلمة الكثير من الرجال الذين منحوها الوحدة والتألق العمرانى والانتعاش الأدبى والفنى .

والهند بطبيعة الحال أرض اللغات العديدة ــ حوالى ١٧٩ لغة ــ بالاضافة الى مزيد من اللهجات . ويمكن استثناء ١١٦ لغة منها على أنها لغات قبلية تمثل ١٪ من السكان . ويعترف بخمس عشرة لغة غيرها كلغات عظيمة فى الأدب والتعليم والحياة العامة . وأكثر اللغات انتشارا هى الهندوسية ، وكانت السانسكريتية هى لغة الطبقات الحاكمة . وبعد الاستعمار البريطانى ، أصبحت اللغة الانجليزية هى لغة المثقفين ، وتستخدم الى جانب الهندوسية فى النواحى الرسمية .

***

(*) الأمير سيدهارثا الذى كان يعرف بين معاصريه بجواتاما اسم أسرته واللقب بوذا هو لقب دينى معناه المستنير .

الساعة الذهبية (١)

ملك راج آناند

يصف ملك راج اناند ، الذى ولد عام ١٩٠٥ ، نفسه بالراديكالى المؤمن بالفلسفة التى تؤكد قيمة الانسان • كتب سيرته الذاتية فى رواية من مجلدين باسم « وجه الصباح » • عمل استاذا للفن والأدب ، ويقوم بتحرير مجلة الفن الهندى حاليا •

كان هنا سر ما وراء ابتسامة السيد آكتون ، عندما جاء الى منضدة سريجوت سودارشان شارما (٢) ، الشيء الذى ينذر بكارثة • ولكن كما قد قال الصاحب (٣) :

ـ سيد شارما ، لقد جلبت لك شيئا من لندن ••• عليك أن تأتى الى مكتبى يوم الاثنين ، وتأخذه •••

ولم يستطع كاتب المراسلة العجوز المسكين أن يخمن المقصد الحقيقى وراء ملاحظة المدير العام • بالطبع ، ان قدوم السيد آكتون الى منضدته ليتودد اليه ، ويقول له ما قاله ، يعتبر وحده اطراء زائدا ، لأنه من النادر أن يتعطف رئيس مؤسسة ، ويتحرك نازلا للممر الذى يعمل فيه الموظفون الهنـود التابعـون لقسـم التـوزيع فى امبراطورية هنرى كنج وشركاه للمربـات •

ولكن يا لها من ابتسامة ، تلك التى كانت على وجه السيد آكتون ! خصوصا وأن السيد آكتون لم يكن معروفا بالابتسام كثيرا ، فهو رجل استقراطى عجوز مهموم ، متفان فى عمله ، حى الضمير ، يسخر موظفيه

---

(١) عن الترجمة الانجليزية ، التى كتبها بها المؤلف • ملك راج اناند •

(٢) سريجوت : مساوية للقب السيد •

(٣) صاحب : تعبير للاحترام ، استخدم أثناء فترة الاستعمار ، من قبل الهنود عندما يخاطبون الأوربيين • أو ذوى الألقاب من الهنود •

فى العمل كالعبيد ، ومشهود له كرجل أعمال محنك ، مخلص فى جهوده لفرض احتكار كنج للمربات والمنتجات المختلفة الأخرى على الأسواق . ومعروف أن زوجته قد هجرته ، بعد فترة ثلاثة شهور زواج ، ولم تعد للهند مطلقا ، بالرغم من أن لا أحد يعرف ان كانت قد انفصلت ، أم طلقت منه ام أنها فضلت البقاء بعيدا . وهكذا ، فان واقعة ابتسامة آكتون صاحب كانت كافية لاعطاء سريجوت شارما سببا للتفكير . ولكن بالرغم من نبل روح سريجوت شارما ونقاء سريرته . كان قد اكتسب خبرة كافية فى دراسة الوجوه البيضاء للسادة الأوربيين المنعزلين الغامضين ، ولذا فلقد لاحظ بوضوح تجعد الشفة العليـا المرتبكة بعض الشىء ، ومن ورائها أسنان طويلة تحددها بقع التبغ التى أظهرت للحظة وجيزة زمجرة مكتومة بترو وهو يقول تلك الكلمات الكريمة . وما هو السبب فى أن يختاره هو ، من بين خمسة وعشرين فردا من موظفى قسم التوزيع ؟ فى الأحوال العادية ، كان هو ، كاتب المراسلة ، يكتفى بتحية عرضية من السيد وست رئيس قسمه :

– هالو ، شارما ... كيف حالك ؟

أو تأنيب رسمى بسبب ضياع بعض الرسائل أو الطرود ؟ خلاف ذلك ، كان تجسيدا لكفاءة انتظام الساعة ، وضليعا فى روتين الوظيفة ، بحيث لم يكن هناك ، مهما كانت الأسباب ، أى كسر فى رتابة هـذه الامبراطورية المجهولة ، سلسة العمل ، الى الآن ، على الأقل بالنسبة له .

بالتأكيد ، كان هناك القيل والقال والشائعات المستمرة بين الكتبة والمحاسبين ، وكانت هناك مشاحنات وأحقاد رؤسائه ، من أجل الدرجات والترقيات والعلاوات . ولكن هو ، شارما ، كان قد عين من عشرين سنة مضت كحالة خاصة ، اذ لم يكن حتى حصل على شهادة المدرسة الثانوية ، ولكنه قد أتقن عمله بطريقة ما ، ورغم أنه كان غـير مرغـــوب فيه من قبل وست صاحب الذى كان يؤنبه بشـكل دائم فى السـنوات القليلة الأولى ، الا أنهم احتفظوا به فى وظيفته ، بسبب ما اشتهر عنه من طهارة وورع ... ان أمامه خمس سنوات أخرى من الخدمة ، ولأنه عندئذ سيكون فى سن الخامسة والخمسين فسيكون قد تخفف من عبء مسئولية أسرته ، وهو الواجب الأساسى وفق مبادىء الطوائف الأربع (٤) . ويأمل بعدها

---

(٤) ان أنصار الديانة الهندوسية ، وهى الديانة الشائعة فى الهند ، ينقسمون الى أربع طوائف بالوراثة ، أفراد كل منها لا يتزاوجون اجتماعيا من غيرها . والمرحلة الثانية من المراحل الأربع فى الخطة البرهمية للحياة ، هى المرحلة التى يتحمل الرجل فيها مسئوليات رب الأسرة المتزوج .

أن يعود الى بلدته جولوندهور ، حيث لايزال أبوه يعمل فى محل الحلوى الكائن بطريق مول ٠

وسألت الآنسة فيوليت ديكسون موظفة الآلة الكاتبة فطساء الأنف فى نغمتها الرتيبة :

ـ وماذا كان آكتون يريد أن يقول لك ، يا سيد شارما ؟

ولما كان رجلا متزوجا وفى الخمسين من عمره ، ووخط الشيب شعره قبل الأوان ، فكانت تعتبر عذريتها فى أمان مع هذا « الرجل المهذب » ، وكانت تتحدث معه بكل انطلاق ، خصوصا خلال ساعة الغداء ٠

فأجاب سريجوت شارما :

ـ لقد أحضر لى شيئا من انجلترا ٠

فقالت :

ـ توجد أشياء جميلة فى المملكة المتحدة ، أتعشم أن أذهب هناك يوما ما ! ٠٠٠ أختى هناك ، هل تعرف ! انها متزوجة ! ٠٠٠

لقد أخبرت شارما بكل هذه الأمور من قبل ٠ لذلك لم يهتم ، خصوصا اليوم ، لأن كل أفكاره كانت مركزة على المعنى الضمنى لزيارة السيد آكتون المفاجئة ، وابتسامته غير المفهومة ٠

فقالت فيوليت :

ـ حسن ، اليوم نصف يوم ، وأنا انتهيت من عملى ٠

وقامت وانصرفت فى رشاقة وكبرياء سيدة راقية من الطراز الذى تود أن تكونه ٠

وحملق سريجوت شارما فيها بانشداه ، بالرغم من أنه ينظر بعقله الباطن لقوامها المقبول باهتمام أكثر من العم العجوز الذى يتظاهر به ٠ انها أنفها الفطساء ، التى تشبه أنف ساروبـناكا أخت الملك رافانا ، نصف الاله ، التى تقف حجر عثرة فى طريق زواجها ٠ وراوده هاجسه حول معنى كلمات آكتون ، وأدرك أن عليه أن ينتظر وينتظر ، فى ترقب وحيرة ، قبل أن يعرف ما قد أحضره له المدير ، ولماذا ٠

وأخذ السولا توبى (٥) الباهتة اللون ، التى كانت ، الى جانب قميص وبنطلون الأدغال ، التنازل الوحيد الذى ارتضاه كبرهمى طيب ليتواءم مع الحياة المدنية ، ونهض من كرسيه ، وأشار الى دوجدو من الشرفة وهو فى طريقه للخروج ، وسأله :

---

(٥) خوذة هندية لاتقاء الشمس ٠

– هل انصرف آكتون ؟

فقال دوجـدو :

– لقد انصرف لتـوه ٠

فانطلق سريجوت شارما راكضا فوق الدرج الرخامى وكان عليه أن يصعد ثلاثة طوابق ٠ وبدأ يتصبب عرقا خشية ألا يلحق به ، وبفعل حرارة منتصف شهر أبريل ٠ وعندما وصل الى الطابق الأرضى رأى آكتون قد خرج لتوه من الباب ٠

كان عليه أن يلحق به الآن والا أفلت منه ٠

وخرج سريجوت شارما مندفعا ٠ ولكنه كان واعيا أن عددا من موظفى المؤسسة قد يكونوا خارجين من المصعدين ، فيروه وهو يتحدث معه ٠ وهذا لا يتم ٠٠٠ خارج المكتب ٠ فالسادة ينتمون الى عالمهم الخاص ، حيث لا يجوز أى تطفل أو اقتراب ، لأنهم يرفضون الانصات لأى تبرير للاتصال من خلال القنوات غير المشروعة ٠

وفتح سائق السيد آكتون ذو الزى الخاص باب البويك البراقة ، وجلس الرجل موزعا ظل الامتعاض على كل ما حوله ٠

وتردد سريجوت شارما ، لأن تصرفات السائق الجوانى كانت مخيفـة ٠

وها هو السائق قد أغلق الباب الخلفى للسيارة بكل رشاقة ، ويتأهب للجلوس على مقعد القيادة ٠

وكانت تلك هى فرصته الوحيدة ٠

فاندفع الى نافذة السيارة ، خالعا قبعته ، وأقحم وجهه بطريقة بدائية ، أمام السيد آكتون ٠

ولحسن حظه لم ينحيه جانبا ، بل ابتسم ابتسامة عريضة أكثر من تلك التى كانت منذ دقائق قليلة ، وقال :

– تريد أن تعرف ماذا قد أحضرت لك ٠٠٠ حسن ، انها ساعة ذهبية عليها كلام منقوش ٠ أراك صباح الاثنين ٠٠٠

ان مبادرة السيد آكتون فى التنبؤ بسؤاله ٠ أفقدت سريجوت شارما المزيد من توازنه ٠ وتصبب العرق من جبهته ، حتى وهو يتمتم :

– شكرا ، سيدى ، شكرا ٠٠٠

وأمر السيد سائقه :

ـ تشالو ، هيا !

التفت السائق وألقى نظرة جامدة على سريجوت شارما ٠

وانسحب كاتب المراسلة بابتسامة بلهاء قانطة على وجهه ، ووقف وقبعته فى يده اليسرى ، وارتفعت يده اليمنى الى جبهته فى وضع قريب من السلام الحربى ٠

وتحركت السـيارة ٠

ولكن سريجوت شارما وقف ساكنا ، وكأنه قد أصيب بالصمم ٠ لم يكن سعيدا ولا حزينا فى هذه اللحظة ٠٠٠ انه فقط فاقد الحس بسبب صدمة المفاجآت ٠ لماذا هو بالذات دون جميع موظفى التوزيع لهنرى كنج وشركاه يمنح امتياز هدية الساعة الذهبية ، مع نقش عليها ! انه لا يتذكر أنه قد قام بعمل شجاع ٠ ساعة ذهبية ، مع نقش عليها ! أوه ، لقد عرف الآن ٠٠٠ تيقظت الحقيقة البديهية فى داخله ٠٠٠ انه سيحال للتقاعد ٠٠٠ قفز الوحى والالهام الى سطح ادراكه ووعيه من الخوف المفرط العميق الذى تملكه لمدة نصف ساعة ، وبدأ قلبه يرتجف ضد ارادته ، وغطى العرق بدنه ٠ وترنح قليلا ، ثم ضبط نفسه وصعد فوق الرصيف ، متطلعا وراء السيارة التى قد انعطفت عند ناصية طريق نيكول ٠

واستدار وبدأ يسير تجاه محطة نهاية خط قطار فكتوريا ليأخذه الى طانا ، ثلاثون ميلا خارج المدينة ، حيث أقام كل السنوات التى كان فيها فى بومباى بسبب رخص تكاليف المعيشة ٠

كانت خطواته ثقيلة ، لأنه متأكد الآن بشكل شبه قاطع أنه سيستلم اشعار تقاعده يوم الاثنين ٠ وحاول أن يفكر فى بعض الأسباب الممكنة الأخرى التى ربما من أجلها قد قرر السيد اعطاءه الساعة الذهبية مع نقش عليها ٠ فلم يجد تفسيرا آخر ٠ لقد تقرر مصيره ٠ ماذا يقول لزوجته؟ وابنه لم ينته من شهادة الثانوية بعد ٠ كيف سيعين الأسرة ؟ المكافأة لن تصـــل لمبلغ كبير ، خصوصـا فى هـذه الأيام التى ترتفع فيهــا الأسـعار ٠٠٠

وأحس بانقباض فى قلبه ٠ فتوقف يلتقط أنفاسه وحاول أن يهدىء من نفسه ٠ هل هو ضغط الدم القديم ! أم هى الريح فحسب ؟ ٠٠٠ لا يجب أن يصاب بالذعر على أية حال ٠ وفدل مشيته ، وسار متمتما لنفســه :

ـ شانتى ! شانتى ! شانتى ! (٦) ٠

وكأن تعويذة صيغة السلام ستعيده الى الهدوء والاتزان ٠

وخلال نهاية الأسبوع ، استطاع سريجوت شارما أن يخفى فزعه واضطرابه وراء واجهة من التصرفات اللطيفة المبالغ فيها بمهارة ممثل ضليع ٠ وفى ليلة السبت ذهب مع زوجته وابنه الى سيرك البروفسير رام المقام مقابل الكنيسة البرتغالية ٠ وقضى وقتا أطول فى صلواته ، ولكن فيما عدا ذلك بدا طبيعيا تماما فى ظاهره غير أنه تناول قدرا ضئيلا جدا من أكلة الجالا مع أرز الكتشرى (٧) التى وضعتها زوجته أمامه وبدا تائها فى أفكاره لعدة لحظات فقط ٠ ولكن زوجته الأمية لاحظت بحصافتها بأن هناك أمرا فى ذهنه ٠

فقالت له عندما لم يلمس البابادوم (٨) اللذيذ والمانجو المخللة :

ـ لم تأكل على الاطلاق اليوم ٠ انظر الى هارى انه لم يبق على شىء فى طبقه !

فأجاب فى ذهـول :

ـ هـوه ٠

ثم أدرك أنها قد تكشف أمره وتعرف كم هو تعيس قلق ٠

فحاول أن يخدعها قائلا :

ـ فى واقع الأمر ، كنت أفكر فى خبر سار قاله لى الصاحب بالأمس ، قال أنه قد أحضر لى ساعة ذهبية من ٠٠٠٠

فقال ابنه هارى باندفاع :

ـ اذن بابا جى (٩) ، اعطنى الساعة الفضية التى تستخدمها الآن ٠ فليس عندى ساعة على الاطلاق ودائما أتأخر فى كل مكان ٠

فقالت أم هارى ناصحة :

ـ يا ابنى ، ليست بهذه السرعة ! دع اباك يحصل على الساعة الذهبية أولا ثم ٠٠٠ سيعطيك بالتأكيد ساعته الفضية !

وفى الأحوال العادية كان ، يؤيد سريجوت شارما آراء زوجته ٠ ولكنه اليوم أحس أن طلب ابنه قد أصبح محققا ٠ وكيف يمكن لهارى

---

(٦) سلام ! سلام ! سلام !

(٧ ، ٨) من الأكلات الهندية ٠

(٩) فى الهند يضاف المقطع جى كصيغة احترام ٠

أن يعرف أن الساعة الفضية ، والساعة الذهبية ، والخاتم الذهبي ستكون هي كل الحلي التي لدى أبيه والتي يدخرها لتكون أمانا ضد الأيام الصعبة، اذا كانت الساعة الذهبية ، كما تكهن ، ما هي الا رمز مقدم من قبل المؤسسة كتلبيس حبة المر بطبقة من السكر ويسالونه أن يبتلعها ··· التقاعد قبل الميعاد المحدد بخمس سنوات ! وتردد ثم رفع رأسه ، وابتسم لابنه وقال :

ـ أتشا ، كاكا ، يمكنك أخذ ساعتي الفضية ···

فقال الصبي ، وهو يذهب لاحضارها من جيب أبيه :

ـ هل أستطيع أن آخذها حقا يا باباجي ؟ بسرعة أعطها لي الآن ، اليــــوم !

فصاحت أمه فيه قائلة :

ـ فاي ، ياولدي ، انك أناني جدا ·

لأنها مع حساسية المرأة الخاصة ، قد حدست من طريقة زوجهـا في وضع رأسه ثم محاولته أن يبتسم وهو يرفع رأسه لابنه أن ابا هاري مضطرب في داخله أو على الأقل ليس في حالته العادية التي كان يتقبل فيها الحياة بهدوء ، حيث راح يكرر الابتهال الديني ، « شانتي ! شانتي ! شـــانتي !

أحضر هاري الساعة الفضية ، ووضعها على أذنه اليسرى ليرى ان كانت تدق ، ومن سعادته بامتلاكها وثب وثبة صغيرة ·

ولم يقل سريجوت شارما أي شيء ، ودفع بطبقه بعيدا ونهض ليغسل يديــه ·

وفي اليوم التالي حدث كما قد توقع سريجوت شارما ·

ذهب لمقابلة السيد آكتون ، عندما وصل ، حيث كان ترقب وقلق نهاية الأسبوع قد وصل للذروه معصباح الاثنين · وأصبح يرتعد من الذعر ، شاحبا غير متأكد من نفسه على الاطلاق · وناداه المدير العام على الفور ، وقدم الفراش دوجدو قصاصة صغيرة وعليها اسم كاتب المراسلة ·

قال السيد آكتون ، رافعا رأسه الأشيب من الأوراق التي أمامه ·

ـ اجلس من فضلك ·

ثم سحب مفاتيحه من جيب بنطلونه بواسطة سلسلة ذهبية · وفتح درجا واخرج علبة حمراء جميلة ·

ـ سيد شارما ، لقد كنت صديقا مخلصا لهذه المؤسسة لسنوات عديدة ٠٠٠و٠٠٠ أنت تعلم ، أن اخلاصك كان مصدر امتنان عظيم لك هنا ٠٠٠ لأن ٠٠٠ او ٠٠٠ والا ، لاتينا بآخر له مؤهلات أفضل للقيام بعملك ! والآن ٠٠٠ نحن نفكر فى رفع كفاءة العمل ! ونشعر أنك تحب أيضا ، فى سنك ، أن تعود مرة أخرى الى البنجاب موطنك ٠٠٠ لذلك ، كرمز لتقديرنا لاخلاصك لهنرى كنج وشركاه ٠ ، نقدم لك هذه الساعة الذهبيـــة ٠٠٠

ثم دفع بالعلبة الحمراء نحوه ٠

وبدأ سريجوت شارما بالحديث ، ولكن بالرغم من أن فمه انفتح ، لم يستطع أن يستمر :

ـ صاحب ! ٠٠٠ اننى فى الخمسين من عمرى فقط ٠

وأراد أن يقول :

ـ ولا يزال أمامى خمس سنوات ٠

وبدت عضــلات وجهه تنكمش ، واستشاطت عيناه من الاحبــاط والمرارة ، وتغطت جبهته بالعرق ٠ ولم يستطع حتى أن يتفوه الكلمات :

ـ شكرا لك ياسيدى ٠

ـ بالطبع ، ستحصل أيضا على مكافآتك مع شهر أجازة مدفوع الراتب قبل تقاعدك ٠٠٠

وحاول سريجوت شارما أن يحول احتجاجه الداخلى الى كلمات مسموعة التى تحمل ما يعنيه دون ما يبدو عديم الاخلاص ، لأنه لم يرد أن يلغى الامتياز الوحيد الذى اضافه السيد آكتون للسجل العام لخدمته مع مؤسسته ٠ وكان من المحتمل أن السيد آكتون قد يذكره بفشله ككاتب مراسلة ، اذا أشار بأنه لا يحبذ الاقتراح الذى قاله نيابة عن هنرى كنج وشركاه ٠

وقال السيد آكتون ليتغلب على الارتباك الذى خلقه صمت كاتب المراســلة :

ـ انظر الى الساعة ٠٠٠ ان بها نقش سيسرك ٠

وأنامت هذه الكلمات شارما مغناطيسيا ، ففرد يداه عبر المنضدة الكبيرة ، ليصل الى هديته فى تثاقل ٠

ولاحظ السيد آكتون تردد يده فدفع بها بلطف للأمام ٠

التقط سريجوت شارما الصندوق الأحمر ، ولكن رغم حرصه ، سقطت منه عندما أمسك بها محاولا فتحها ٠

واصبح وجه السيد آكتون كالحا عندما التقط الصندوق وفتحه بسرعة ٠ ثم رفع الساعة من مكانها ، وملأها وقربها من أذنه ٠ وكانت تدق ٠ وأدارها ليبين النقش لكاتب المراسلة ٠

فمد سريجوت شـارما يده هذه المرة بثبات أكثر ، وأخذ الهدية بالطريقة التى يأخذ بها الشحاذ صدقته ٠ وقرب السطح المتألق من عينيه ، ولكنهما غامتا بالدموع ولم يقدر على قراءة أى شىء ٠

واستجمع ارادته ليغتصب ابتسامة وهو يقول :

ـ شكرا لك ياسيدى ٠٠٠

ولكن بدنه كان يرتعش بشدة ٠٠

ونهض السيد آكتون ، وأخذ الساعة الذهبية من يدى سريجوت شارما وأعادها الى مكانها فى العلبة الحمراء ٠ ثم مد يده اليمنى نحو كاتب المراسلة وصافحه برشاقة وقدم له العلبة بيده اليسرى ٠

أخذ سريجوت شارما بالسليقة يد السيد اليمنى بامتنان فى كلتا يديه المبللتين بالعرق ، ثم فتح الكفين لاستلام العلبة ٠

فقال السيد آكتون :

ـ حظ سعيد يا شارما ٠ تعـال لمقابلتى بعدما تنتهى أجازتك ٠ وعندما يحصل ابنك على شهادة الثانوية أخطرنى ربما أستطيع أن أفعل شيـئا له ٠٠٠

انحنى رأسه فى صمت ، وقد جاشت على شفتيه تيارات عواطفه العنيفة ، ولكنه تراجع الى الخلف وانسحب بالطريقة المذله لأسلافه وهم يغادرون مجلس السيد الاقطاعى ٠

ورأى السيد آكتون الخطر فى التو ، فذهب لفتح الباب حتى يستطيع الكاتب أن يخرج بدون أن تصطدم رأسه بالباب أو أن يسقط منهارا ٠

وعندما خرج سريجوت شارما من مكتب المدير العام ، فاضت عيناه بالدموع بشكل لا ارادى والتوت شفته فى تكشيرة حالت دون أن تفصح ملامح وجهه عن الانهيار الذى يعانيه ٠

وكانت عيون موظفى المكتب كلهم عليه ٠ وفى لحظة تجمع عدد من الرجال حول شخصه ٠ وأخذ واحد منهم العلبة من يديه ، وفتحها وقرأ النقش بصوت عال :

– تقديرا لخدمة السيد شارما المخلصة لهنرى كنج وشركاه عند تقاعـــده ٠

وأصبح فضـــول زملائه أقل حماسة رغم أن الســاعة مــرت من يد الى أخرى ٠

ولم يقدر على الوقوف بسبب الدوار الذى عصف فى رأسه كالدوامة، فجلس سريجوت سودارشان شارما على كرسيه ودفن وجهه فى راحتيه وسمح لدموعه بالانهمار ٠ وربت واحد من زملائه ، السيد باناجى ، المحاسب ، على ظهره بتفهم ٠ ولكن الشفقة كانت أكثر من طاقته ٠

وقال أحدهـــم :

– بالتأكيد ، سيث ماكاناجى ، الشريك الجديد ، لديه قريب يحل محل شارما ٠

فقال آخر مفندا

– لا ، لا ، ليس مطلوب من أحد أن يقتل نفسه بالعمل ٠٠٠٠ لقد أعطونا يوم الأحد عطلة ! ومعاش سنوات تقاعد سخى قبل ميعاد الاستحقاق٠ الرؤساء يكنون لنا كل الحب ! ٠٠

وقال شرى رامان موظف الآلة الكاتبة :

– اللعنة على هذه الساعة الذهبية الجميلة ، انها لا تعمل !

وأخــذ السيد باناجى الســاعة من سريجوت رامان ، ووضعها فى علبتها ، وقدمها أمام سريجوت شارما مشيرا للآخرين بالرحيل ٠

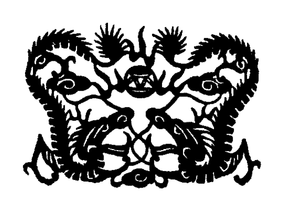
وعندما وعى سريجوت شارما أن زملاءه قد انسحبوا بعيدا ، رفع رأسه المغتم ، وأخذ العلبة ، وقبعته كذلك ، وبدأ يسير فى طريقه مغادرا ٠ وشيعه مستر باناجى للباب ، ويده على ظهر شارما ٠ وقال المحاســب البارسى (١٠) عندما جاء المصعد ودخله شارما :

– « صاحبجى »

وفى طريقه للبيت اكتشف أن الساعة الذهبية تعمل فقط عندما تهتز ٠ من الواضح أن جزءا رقيقا قد كسر عندما سقطت من يده على

(١٠) البارسى ، هو أحد اتباع طائفة زرادشت الدينية ، ينحدر من اللاجئين الفرس الذين هربوا من الاضطهاد الدينى فى القرن السابع والثامن ٠ أسسها زرادشت حوالى ٦٠٠ قبل الميلاد ، وتتضمن عقيدة الايمان بالآخرة ، وبالصراع الدائم بين روح الخير وروح الشر ، مع انتصار الخير فى النهاية ٠

مكتب السيد كانتون · سوف يبعث بها لاصلاحها ، ولكنه يجب أن يدخر كل ما يستطيع الحصول عليه من نقود ، ولا ينفق على ترف مثل اصلاح ساعة الآن · وكان من الواجب ألا يضعف مع ابنه ويعطيه ساعته الفضية القديمة · ولكن طالما لن يوجد عمل يذهب اليه ، فلا حاجة له للاطلاع على الوقت كثيرا ، خصوصا في جولوندهور حيث يقف الوقت ساكنا ، ولا أحد يكترث بالالتزام بالمواعيد ·



حب سافترى [1]

من قصص الماهابهاراتا [2]

كان هناك ملكا فى الهند يدعى اسواباتى ، أحبه شعبه ، لأنه كان يساعد كل محتاج ويخدم الآلهة بالصلاة والاضاحى ·

ولكن الملك لم يكن له طفل يحمل اسمه ويخلده من بعده ، فكان قلبه حزينا جدا· لذلك كان يصوم كثيرا ، ويسبح بالتراتيل للآلهة المشرقة، آملا أن يحققوا له رغبته الوحيدة · وسمعت دعواته بعد ست عشرة سنة · فرأى فى نار المذبح الحمراء امرأة ، هى الجمال فى الوجه والخلق ، وقالـت :

ـ ان اخلاصك قد سرنى · اذكر رغبتك وستجاب ·

فأجاب الملـك :

ـ ان رغبتى هو أن أرزق بطفل يعيش من بعدى ·

فقـالت :

ـ ان الآلهة ستحقق لك رغبتك ·

ثم رحلت ورأى الملك اللهب الأحمر فقط ·

وولد الطفل ··· بنتا ذات عينين وضاءتين ، مثل زهرتى لوتس ··· التى أصبحت فخر أمها وأبيها ·

وفى نهاية الأمر ، كبرت وصارت فتاة جميلة جمالا أخاذا حتى أن أباها تأكد من مجىء ملوك آخرين طالبين يدها من قريب وبعيد · ولكن لم يأت أحد لهذه الفتاة ذات العينين الوضاءتين كما لو كانتا زهرتى اللوتس ، فاضت عليهما روح أسمى من أن تكون حتى لملك ، ولكن الجد

---

(١) « حب سافترى » مأخوذة من الماهابهاراتا ـ عن الترجمة النثرية الانجليزية لـ : روميش دوت ·

(٢) ماهابهاراتا : أو فيض من القصص ، هى قصيدة ملحمية من الهند ، تعود الى القرون السابقة للمسيحية مباشرة · ولقد تحولت الى نثر خلال القرن التاسع عشر ·

الذى التزمته فى سلوكها والحكمة التى تشيع فى حديثها صرفت عنها الرجال اذ أحسوا ازاءها برهبة واجلال ·

وفى أحد الأيام ، ركعت هذه الفتاة حلوة الشمائل ، سافترى ··· وهذا هو اسمها ··· فى مذبح أجنى ، اله اللهب الأحمر · وسألت الاله بركاته ووضعت أمامه قرابين من كعك وشراب · ثم جمعت حزمة من الزهور لتأخذها لوالدها · فنظر اليها اسواباتى بعينين عطـوفتين وقــال :

ـ بنيتى ، حان وقت زواجك كما هو العرف لجميع الفتيات ذوات المحتد الكريم · ويجب ألا نضيع الوقت ، فالناس قد يظنون أنها غلطتى لعدم اختيار زوج لك · وبما أنه لم يأت أحد ليطلب يدك ، فانى اقترح عليك أن تسافرى وتختارى واحدا لنفسك ·

وهكذا بدأت سافترى البحث · وسافرت فى حاشية فخمة يصحبها النبلاء والحكماء من الرجال · ومر الموكب الملكى عبر غابات وأحراش وفى شوارع مدن عظيمة ، ورحلت حتى عبر قرى صغيرة فى التلال · وحيثما كانت سافترى تذهب ، كانت تعطى الصدقات للفقراء ، وتحيى العظيم والبسيط ، والناس كلهم باركوا لها ·

وفى يوم ما عادت أخيرا · وحياها الملك من عرشه · وكان يجلس بجانبه ناراد ، الرجل الحكيم ·

فقالت الأمــيرة :

ـ لقد عثرت على زوجى · انه الأمير سانيافان ·· ورغم أنه لا يعيش فى قصر ، فهو نبيل من دم ملكى ·

وســأل الملك :

ـ أى البــلاد يحكم ؟

ـ ليس لديه مملكة ، ولكن يعيش فى كوخ فى الغابة مع أبيه وأمه · وحظهم ليس بالحظ السعيد · فالرجل العجوز أعمى · ولقد عاش هو وملكته فى الغابة منذ أن كان ابنهما طفلا صغيرا · فمنذ سنين عديدة ، طرده أعداؤه من عرشه الشرعى وأغتصبوا بلاده · آه ، ولكن أميرى نبيل مثل اسمه ، فعند مولده سماه البراهما(٣) ساتيافان أو المحب الصادق ·

---

(٣) البراهما ، فى الهندوسية ، الديانة الهندية الشائعة ، ينقسم أتباعها الى أربع طوائف ، ولا يختلط أفراد طائفة مع أفراد الطائفة الأخرى · والبراهما ينتمى لأعلى طائفة ، التى تشمل رجال الدين والعلماء وموظفى الحكومة ·

انه يتمتع بصفات الرجل الحق · بشوش الوجه ، فارس ممتاز ، ويستطيع أن يرسم صورا للجياد تسر الناظرين ·

فسأل الملك نادار الرجل الحكيم :

ـ ما رأيـك ؟

فأجاب نادار :

ـ لقد أساءت الاختيار · الملك العجوز هو رجل عادل فى الحقيقة ، والأمير سانيافان شاب نبيل · ولكنى أرى قدرا مظلما ينتظرهما ، لأن الآلهة المشرقة قد كشفت لى عن أن الأمير سيموت بعد سنة من اليوم بالتمـــام ·

ـ هل سمعت هذا ، يا بنيتى ؟ أسألك أن تختارى آخر · فمن الحمق أن تسيرى فى زواجك ، طالما أن ياما ، اله الموت ، سيأتى بعد سنة ويطالب بزوجك ويأخذه ·

ـ لا أستطيع أن أختار غيره ، ياأبى العزيز · ان قلبى يخص ساتيافان وحده · وسواء أخذه الموت منى أم لا ، فسأتزوجه هو فقط ·

ـ فلتفعلى ما تريدين ، يا بنيتى · ولكنها رغبة غريبة هذه التى تبدينها · تطلبين أن تعيشى فى الأدغال لمدة اثنى عشر شهرا ، ثم تقضين سنواتك كلها بعد ذلك فى حداد ·

وفى اليوم التالى دخل الملك وابنته الأدغال ، تصحبهما الحاشية ورجال الدين ، ويحملون معهم ثروة عظيمة · ووجدوا الملك الأعمى العجوز جالسا على حصيرة من العشب تحت شجرة ·

وبطلب من الملك الأعمى ، جلس اسوابانى وابنته على العشب · وقدم المضيف لضيوفه الكرام بعض الماء ، لأنه كان فقيرا لا يملك أن يقدم لهم النبيذ · وما أن فرغوا من المجاملات حتى اتفق الملكان على الزواج ، ولم يمر الكثير الا والأمير والأميرة قد تزوجا · وهكذا أصبحت الفتاة الجميلة ملكة العش الصغير المقام بين أشجار الغابة الفسيحة · ومع انتهاء الزفاف قام الأهل والأصدقاء مع والدها بوداعها وسط دموع كثيرة ·

وبعد رحيل والديها ، خلعت سافترى حليها ومجوهراتها البراقة وثوبها الجميل ، وارتدت ثوبا بسيطا مصنوعا من لحاء الشجر · وربطته حولها بحبل من قماش أصفر رخيص · فهى ستكون ملكة ليس بالمجوهرات أو الملابس ، ولكن بخدمة الملك العجوز الأعمى وزوجته ، وبحبها وطاعتها للأمير الذى من اختيارها ·

وهكذا مرت السنة السعيدة .

والآن يظل أربعة أيام قبل أن ينحدر شبح الموت الى مملكة الغابة . ولثلاثة أيام منها صامت سافترى وظلت بدون نوم . وقلبهما يتفطر ألما من الفزع مما قد قدر . ولكنها لم ترو قصتها لأحد ، لا للملك الأعمى ولا الأمير النبيل الذى لا يعرف بالقضاء المبرم المتربص به .

وفى صباح ذلك اليـوم المحتـوم ، نهض ساتيافان فى حالة نفسية سارة . وأخذ فأس الحطاب وابتسم لأميرته معلنا :

ـ سأمضى لقطع بعض الأخشاب . وسأعود للبيت عنـد غروب الشمس .

وفطرت كلمات الأمير قلب سافترى . فهى تعلم جيدا كيف سيضع ياما المتشح بالعباءة السوداء يده المعروقة على حبيبها ويأخذ منها .

فقـالت :

ـ دعنى أذهب معك اليوم .

ـ لا ، فالأرض وعرة جدا على قدميك اللطيفتين ، والطريق سيكون طويلا ، والرحلة ستكون مرهقة جدا ...

فتوسـلت قائلة :

ـ أرجـــوك .

ولم يستطع ساتيافان أن يرفض هذا الالتماس . ورحل الأمـير والأميرة فى أعماق أدغال الغابة . وجاءا الى مكان بعيد ، حيث كان يوجد العديد من الأشجار العالية الصالحة للقطع وكثير من الفاكهة التى يمكن جمعها . ومرت ساعة الظهيرة وبدأ الغسق يزحف عبر الغابة العظيمة . وصوت الفأس يتردد صداه فى الغابة . والتقطت سافترى ، والسلة فى يدها ، التوت الناضج من الشجيرات . وكانت تتوقف من حين لآخر لتطمئن على زوجهـا .

وفجأة صرخ عاليـا :

ـ أوه . زوجتى !

فالقت سافترى بسلتها واندفعت بجانبه .

ـ رأسى ! رأسى ! ألم حاد يخترق دماغى . أنظـــرى . ان دمى ساخن الآن . أوه ، لابد لى أن أستلقى .

فساعدته سافترى للوصول الى شجرة . ووضعت رأسه فى حضنها

تحت فروع الشجرة وأخذت تهوى على وجهه · وأغلقت عيناه للحظات طويلة ، ثم سقط ساكنا فى النهاية · ثم بطؤ نبضه ، وأخيرا ، سكت تمامـا ·

لقد مر العام · وتطلعت سافترى مكلومة الفؤاد الى أعلى لترى ظلا ضخما فى شكل انسان · كانت ملابسه سوداء ، وعيناه تبرقان مثل الضوء الأحمر ، وكان يرتدى تاجا غريبا فوق رأسه ·

وسألت فى همس :

ـ هل أنت أحد الآلهة ؟

ـ أيتها الأميرة ، أنا ياما ، اله الموت ·

لقد أتيت اليوم من أجل زوجك الأمير ·

وبعد هذه الكلمات رفع ياما يديه والقى بحبل على جسد ساتيافانا الساكن · وأمسك الحبل بحياة الأمير فى أنشوطته وسحبها من جسده · ثم استدار ياما نحو مملكته فى الجنوب ·

أصبحت الغابة ظلام ، وكانت قوة ياما شديدة · ولكن الأميرة كانت شجاعة ، فقامت وتبعت خطوات ياما ، وبعد وقت قصير سمعها الاله الأسود : فالتفت قائلا :

ـ ارجعى · لقد قطعت شوطا كبيرا · ارجعى وابدئى تلك الطقوس الحزينة التى يقوم بها الندابون المفتجعون لاظهار حزنهم على الموت ·

ـ انى أتبع زوجى · فهذا واجبى · ورجال الحكمة يقولون أن تسير سبع خطوات مع آخر تقيم صداقة · لذا دعنى أسير أكثر من سبع خطوات معك · علاوة على أن رجال الحكمة يقولون ان طريق الصلاح والاستقامة هو طريق الجميع ، ولابد أنه طريقى ·

فأجاب ياما :

ـ ان ولاءك واخلاصك عظيمين · ومقابل ذلك سوف أمنحك رغبة واحدة ، أى رغبة ··· فيما عدا روح الميت ساتيافان ·

ـ اذن أعطينى هذه : دع عينا والد أميرى تريان ضوء النهار مرة أخرى ، ودع قوته تصبح مثل قوة الشمس نفسها ·

ـ سيحصل · والآن ارجعى · يجب أن ترجعى بيتك فطريقى يؤدى فقط الى المحتوم ·

— سيكون حزينا بالفعل ، طريقى للبيت بدون يد زوجى المرشدة . فلا توجد فاكهة على الأرض أحلى من صحبة هؤلاء الذين نحبهم .

فابتسم الاله الأسود ، لأن كلمات سافترى كانت طيبة وحكيمة .

— سأعطيك رغبة أخرى واحدة ... ماعدا روح ساتيافان .

— اذن أطلب اعادة مملكة الملك العجوز لكى تعود له بلاده كما يعود له بصره .

— سيحصل كما قلت . والآن ارجعى . فالغابة فسيحة وبيتك بعيـد .

— ياما ، اسمعنى مرة أخرى . ما هى طيبة الرجل الطيب ؟ هل هى المنة والمعروف لكل الكائنات على الأرض ، أو فى الهواء أو فى الماء ؟ انها كذلك بالفعل . لذلك حتى لو يطلب عدوك المساعدة ، امنحه تلك المساعدة لأنك بعملك ذلك تصبح طيبا .

— ان كلماتك ما هى الا كلمات الحكمة أيتها الأميرة . ولهذه الكلمات الأخيرة أعدك برغبة أخرى أيضا . ماذا ستكون ؟

— أوه ، ياما ، أريد فقط أن أكون أما لأطفال نبلاء لكى أستطيع أن أعلمهم ليمشوا فى أثر أبيهم الغالى ، ساتيافان . ولذلك ... أعـد أمـــيرى .

فهز اله الموت أنشوطته ، وقال :

— يا امرأة ، ان زوجك سيتولى الحكم معك لســنوات عـديدة ، وسترزقين بأبناء يحكمون من بعدكما .

ثم طاف شبح ياما الأسود بعيدا داخلا ظلام الأدغال . وبخطوة سريعة ركضت سافترى ، وطارت مقطوعة النفس . وبعد أن وصلت الشجرة التى يتمدد جسد ساتيافان بجوارها حتى ركعت . وبعد أن وضعت رأسه فى حضنها ، انتظرت وراقبت ، وأخيرا فتح الأمير عينيه ، وقال :

— لابد أنى نمت أكثر من اللازم . غريب ، وانا مستغرق فى النوم خيل لى أنى شاهدت شيئا يشبه الشبح . لقد انقض وقبض حياتى فى أنشوطه سحرية . ثم طرت الى الظلام .

— كان هذا ياما اله الموت ، لكنه رحل . انهض الآن يا ساتيافان . انه ظلام ولابد أن نعود للبيت .

— آه ، تذكرت الآن ... كان الألم الحاد يخترق عقلى .

— سوف نتحدث عن هذا غدا . لابد أن نذهب .

ـ انه ظلام شديد · ولن نستطيع أن نعثر على الطريق ·

فقـالت :

ـ أنظر ، توجد نار مشتعلة فى الغابة ، من بعيد · وربما أنها من أثر شمس منتصف النهار المتوهجة · سنتوجه اليها · يمكنك استخدام الحطب المشتعل فى صنع شعلة لكى نطرد بها الوحوش الكاسرة أثناء سيرنا · ولكن اذا كان ألمك لا يزال موجودا ، فيمكننا أن نبقى هنا حتى تشـفى ·

ـ لقد زال الألم ، يا سافترى · اننى قوى مرة ثانية · اننى على صواب ، فأبى وأمى سيقلقان لغيابنا ·

وأثناء حديثه عن والده الاعمى ، ملأت الدموع عينى الأمير · وقفز واقفا على قدميه ، منظفا ملابسه من أوراق الشجر الجافة ·

ـ هات سـلة الفواكة ·

ـ سنأتى بها غدا ، ياساتيافان · فلدينا ما يكفينا عمله للعثور على طريقنا فى الظلام · هيا ، دعنى أحمل الفأس ·

وحملت سافترى الفأس فى يدها اليسرى ووضعت يدها اليمنى حول زوجها · وبهذه الطريقة رحلا عبر الأدغال ، ولم يؤذهما لا دب ولا نمر ·

وتحـولت السماء الى اللون الرمادى وقت وصـولهما الى الكوخ · وعندما اقتربا ، سمعا أصواتا ، وانطلقت صرخة عند ظهور الأمير والأميرة من بعد ، اذ صاح الملك :

ـ أبنـائى ·

فصـاح ساتيافان :

ـ أبى ، كيف أمكنك أن ترانى ؟

ـ لا أدرى كيف حلت هذه المعجزة ، ولكنى أعرف أنى أستطيع أن أراك ، يا ولدى · وأنت ياسافترى يا أعز الناس ، والآن أستطيع أن أرى ابنتى المخلصة لأول مرة ·

واحتضنن الملك ابنه وزوجة ابنه ، وسأل :

ـ والآن أخبرانى ، أين كنتما أنتما الأثنين طوال الليل ؟

وبعد ما شرح ساتيافان سبب تأخرهما ، روت سافترى موضوع النبوءة الشريرة ، ولقاءها مع ياما ، اله الموت · وما أن انتهت الا وجاء

خليط من الأصوات من الغابة واقتربت جمهرة من الناس ، وصرخـوا قـائلين :

– خبر طيب ، لقد خلع الطاغية الذى استولى على عرش الملك السابق · عد الى مملكتك ، أيها الحاكم العزيز · وبالرغم من أنك أعمى ، الا أن أتباعك المخلصين يقفون بجانبك ·

فأعلن الملك العجـوز :

– ولكن الآلة المشرقة قد أزالت غشاوة عينى · تعالوا ، هيا نعود الى شعبى وبلادى التى ولدت فيها ·

تلك هى قصة سافترى ، ولقاءها مع اله الموت الأسود ، وحبهـا العظيـــم ·



الرسالة (١)

دومكيتو

هذا هو الاسم المستعار للكاتب جوريشانكر جوفيرهانرام جوشا ، المولود فى عام ١٨٩٢ ، وهو احد الأدباء المتمرسين فى الأدب الهندى الحديث ٠ ولقد نشر له اكثر من خمسين عملا ، من بينها الروايات ، وكتب الرحلات ، والهجائيات ، والمسرحيات ، والاسكتشات الحية ، والقصص القصيرة ، وكذلك سيرته الذاتية ٠ وقد كتب هذه القصة باللغة الجوجيراتية (٢) ٠

ظلت السماء الرمادية للفجر المبكر تتلألأ بالنجوم كما تتلألأ الذكريات السعيدة فى الحياة التى تقترب من نهايتها ٠ وكان رجل مسن يسير عبر المدينة ، وهو يلف من وقت لآخر عباءته الممزقة حول بدنه لتحميه من البرد القارص والريح العاصف ٠

بينما كان صرير المطاحن يتناهى من الدور المتناثرة مع أصوات حلوة لنساء تغنى أثناء عملهن ، وساعدته هذه الأصوات فى تلمس خطواته عبر طريقه المنعزل ٠ وفيما عدا نباح كلب عارض ، أو خطوات بعيدة لعامل متوجه مبكرا لعمله ، أو صيحة طائر منزعج قبل موعده ، كانت المدينة كلها ملتفة فى صمت مميت ٠ وكان معظم سكانها هاجعين فى نوم عميق تحت وطأة برد الشتاء الذى يغدو فيه النوم صديقا ٠

كان الرجل العجوز يسير بخطوات مرتعشة ولكنه كان مصرا على اكمال طريقه الى أن خرج من بوابة المدينة الى طريق مستقيم ٠ وبعد ذلك سار بخطوات أبطأ متساندا على عصاته القديمة ٠

وكان على أحد جوانب الطريق صف من الأشجار ، وعلى الجانب الآخر

---

(١) عن الترجمة الانجليزية للمؤلف ٠

(٢) اللغة الجوجيراتية : يتحدث بها مواطنو منطقة جوجيرات وهى فى الساحل الغربى من الهند ٠

الحديقة العامة للمدينة · وكان الليل أكثر ظلمة الآن والبرد أكثر شدة ، حيث أصبحت الريح تهب على طول الطريق الذى يتساقط عليه البرد تحت الضوء الشاحب لنجمة الصباح · وكان عند نهاية الحديقة بناية أنيقة على الطراز الحديث ينبعث الضوء من فرجات أبوابها ونوافذها المغلقـــة ·

وعندما لاحظ العجوز الصفة الخشبية التى تتقدم البناء فاضت روحه بالسعادة التى يشعر بها الحاج عندما يرى لأول مرة غاية رحلته ، ورأى على قمة الصفة لافتة قديمة مكتوب عليها بحروف جديدة : مكتب بريد

دخل الرجل العجوز فى هدوء وقبع فى الشرفة حيث استطاع سماع أصوات الموظفين أو الثلاثة المنهمكين فى عملهم الروتينى التى اتته خافتة عبر الحائط ·

ونادى صوت من الداخل بحدة :

ـ مدير الشرطـة ·

ذعر الرجل العجوز عند سماعه ذلك الصوت ، ولكنه تمالك نفسه وانتظر · ولولا الايمان والحب اللذان يدفئانه لما أستطاع تحمل البرد القــارس ·

وأخذ الاسم وراء الاسم يرن من الداخل ، حيث راح الكاتب يقرأ العناوين المكتوبة باللغة الانجليزية على الخطابات بصوت عال ويلقى بها الى سعاة البريد المنتظرين · ولقد اكتسب من تمرسه الطويل سرعة عظيمة فى قراءة الألقاب ··· المفوض ، المندوب العام ، ديوان صاحب (٣) ، أمين مكتبة ··· وفى قذف الرسائل بقوة ·

وفى وسط هذه المعمعة نادى صوت مازح :

ـ الحـوذى على !

فنهض الرجل العجوز رافعـا عينيه للسماء شاكرا حامدا وتقـدم خطوات ووضع يده على الباب قائلا :

ـ جـودول باهى !

ـ نعم · من أنت ؟

ـ لقد ناديت على اسمى الحوذى على ، أليس كذلك ؟ أنا هنا · لقد أتيت من أجل رسالتى ·

---

(٣) مسئول حكومى كبير ·

فقال الكاتب لرئيس مكتب البريد :

ـ انه رجل مجنون ياسيدى ، فهو يقلقنا بمجيئه كل يوم من أجل رسائل لا تأتى أبدا ٠

فعاد الرجل العجوز ببطء الى المقعد الخشبى الذى اعتاد أن يجلس عليه لخمس سنوات طويلة ٠

كان على صيادا ماهرا ذات يوم ٠ وكلما كانت مهارته تزداد ، كان حبه للصيد يزداد ، الى أن أصبح من المستحيل عليه أن يقضى يوما دون صيد ، تماما كآكل الأفيون لو امتنع عن معدله اليومى : فعندما كان يرى على طائر الحجل البنى ، الذى لا تكاد العيون الأخرى تراه ، كانوا يقولون، ان الطائر المسكين قد أصبح بالفعل غنيمة صيده ٠ وكانت عيناه الحادتان تلاحظان الأرنب البرى منكمشا متكورا على نفسه ، بينما كانت الكلاب نفسها تفشل فى رؤية هـذا الكائن المختبىء فى مكر داخل الشـــجرة البنيـــة الصفراء ، كانت عينا على تراقبه ! وفى لحظة أخرى يكون قد أصابه ٠

ولكنه فى أخريات سنينه تخلى عن عاداته القديمة وأخذ فجأة منعطفا جديدا ٠ فطفلته الوحيدة ، مريم ، تزوجت وتركته ٠ ورحلت مع جندى ، فرقته فى البنجاب (٤) ٠ وطيلة السنوات الخمس الأخيرة لم تصل أية أخبار عنها ، مما أثقل على قلبه وأصابه بالوحشة حيث أدرك الآن معنى الود والفراق ٠ ولم يعد يستمتع بلذة الصياد ويضحك من صغار طيور الحجل التى تصاب بالذعر عندما تضل عن والديها ٠

ورغم أن غريزة الصياد كانت متغلغلة فى نفسه حتى النخاع ، فقد انتابته الوحشة وأطبقت على حياته منذ اليوم الذى رحلت فيه مريم ، حتى انه الآن ، نسى هوايته ، وكان يتيه اعجابا بالحقول الخضراء ويفكر بعمق حتى وصل الى استنتاج نهائى وهو أن الكون كله مبنى على الحب وأن الحزن على الفراق لا مفر منه ٠ وعندما أدرك ذلك جلس تحت شجرة وأخذ يبكى بمرارة ٠ ومن ذلك اليوم ، وهو يستيقظ كل صباح فى الساعة الرابعة ليمشى الى مكتب البريد٠انه لم يتسلم فى حياته كلها رسالة واحدة، ولكنه واظب على المجىء بأمل يتجدد كل يوم وبصفاء ورع وايمان ثابت ، فكان هو دائما الأول فى الوصول ٠

وأصبح مكتب البريد ، وهو من أكثر المبانى جهامة ، مكان حجه ٠ ودائما ما يحتل مقعدا معينا فى ركن معين من المبنى ٠ وعندما بدأ الناس

---

(٤) كانت ســـابقا مقاطعة فى الشمال الغربى للهند ، والآن مقسمة بين الهند والباكستان ٠

يعرفون عادته أخذوا يسخرون منه واتخذه سعاة البريد لعبتهم · فقد ينادون على اسمه رغم عدم وجود رسائل له ليلهو برؤيته وهو يأتى مسرعا الى الباب · ولكنه يأتى كل يوم بايمان لا حدود له وصبر لا ينفد ···· ويرحل خاوى الوفاض ، صفر اليدين ·

وربما أتى السعاة وهو ينتظر ليتسلموا رسائل مؤسساتهم ، وقد يسمعهم وهم يلوكون فضائح رؤسائهم · وكان هؤلاء السعاة الشباب الأنيقون فى عماماتهم النظيفة وأحذيتهم ذات الصرير شغوفين دائما بالتعبير عما يجيش فى نفوسهم ·

وأثناء ذلك ، ينفتح الباب على مصراعيه ، فيرون رئيس مكتب البريد جالسا على كرسيه فى الداخل ، وهو رجل ذو رأس حزين متبلد مثل القرعة الرومية وتخلو ملامحه من أى ومضة من ومضات الحيوية ، ومثل هؤلاء الرجال عادة ما يثبتون وجودهم كمعلمين فى مدارس القرى ، أو كتبة أو رؤساء مكاتب بريد ·

وكان صديقنا هنـــاك كالمعتاد ، ولم يتحرك من مقعده عنـــدما فتح البـــاب ·

ونادى الكـــاتب :

ــ مـــدير الشرطـــة !

فتقدم شخص برشاقة وخفة من أجل الرسائل ·

ــ المـــراقب العـــام !

فيأتى ساع آخر ، وهكذا يكرر الكاتب مثل عابد فيشنو (٥) آلاف الأسماء المألوفة لديه ·

وفى النهاية رحل الجميع ، ونهض على أيضا ، وحيا مكتب البريد ، وكأنه يشتمل على اثر مقدس ثمين ، ورحل ، رجل جدير بالشفقة ، ولد بعد زمانه بمائة عام ·

تساءل رئيس مكتب البريد :

ــ هل هذا الشخص مجنون ؟

فأجاب الكاتب :

ــ من ياسيدى ؟ انه يواظب على الحضور هنا كل يوم ، مهما كانت

---

(٥) فيشنو : واحد من الآلة الثلاثة الرئيسية فى الديانة الهندوسية ، الديانة الرئيسية فى الهند ·

حالة الطقس ، طيلة السنوات الخمس الماضية · ولكنه لا يحصل على رسائل كثيرة ·

ـ مفهوم ! ولكن من هو الذى لديه وقت ليكتب له كل يوم ؟

فاضاف ساعى البريد مؤيدا :

ـ ولكنه حزين بعض الشىء يا سيدى · لعله قد ارتكب فى أيامه الأولى كثيرا من الخطايا ، وربما أراق دماء فى بعض الأماكن المقدسة ويدفع ثمن ذلك الآن ·

فقال رئيس مكتب البريد :

ـ ان المجانين غريبو الأطوار ·

ـ أجل · رأيت ذات مرة مجنونا فى أحمد اباد لا يفعل شيئا على الاطلاق سوى تكديس أكوام صغيرة من التراب · وآخر كانت لديه عادة الذهاب كل يوم الى النهر ليصب الماء على قطعة حجر معينة !

فترنم آخـر قائلا :

ـ أمم ، هذا لا شىء · أنا أعرف رجلا مجنونا يخطو جيئة وذهابا طوال اليوم ، وآخر لا يتوقف عن القاء الشعر ، وثالثا يصفع نفسه على خده ثم يبدأ فى البكاء لأنه قد صفع ·

وبدأ كل شخص فى مكتب البريد يتكلم عن الجنون ، وقد انتهزوا الفرصة ليأخذوا بضع دقائق راحة من العمل كعادة الموظفين ، وبعـد ما استمع قليلا ، نهض رئيس مكتب البريد قائلا :

ـ يبدو وكأن المجانين يعيشون فى عالم من صنعهم · وربما نبدوا نحن لهم مجانين أيضا · أعتقد أن عالمهم يشبه الى حد ما عالم الشعراء !

وضحك عندما تفوه بالكلمات الأخيرة ، ونظر الى واحد من الكتبة عرف عنه أنه شويعر · ثم خرج وعاد المكتب الى السكون مرة أخرى ·

ولعدة أيام لم يأت على الى مكتب البريد · ولم يستـطع أى منهم تخمين السبب ، رغم أنهم كانوا جميعا يريدون أن يعرفوا ما الذى أعاق الرجل العجوز · ولكن عقولهم وقلوبهم كانت عاجزة عن استشفافه ·

ثم عاد على من جديد ، كان يلتقط أنفاسه التقاطا وتبدت على وجهه علامات اقتراب نهايته · وفى ذلك اليوم ، لم يستطع كبح نفسه ، فقال متوسلا لرئيس مكتب البريد :

– ياسيد صاحب (٦) ، هل عندك رسالة من ابنتى مريم ؟

وكان رئيس مكتب البريد فى عجلة من أمره فصرخ فيه قائلا :

– يا لك من وباء ، يا أخى !

فأجاب على شارد العقل :

– اســمى على ٠

– أعرف ! أعرف ! ولكن هل تعتقد أننا لدينا اسم ابنتك مريم مســجلا ؟

– اذن ، من فضلك دونه عندك يا أخى ٠ فسيكون من المفيد اذا جاءت رسالة وأنا لست هنا ٠

وكيف لقروى ، قد قضى ثلاثة أرباع حياته فى الصيد ، أن يعرف بأن اسم مريم لا يساوى قلامة اظفر (٧) عند أحد سوى أبيها ٠

وكان رئيس مكتب البريد قد بدأ يفقد أعصابه ، فصرخ :

– أليس لديك عقل ؟ ارحل عنى ؟ هل تظن أننا سنأكل رسالتك عندما تأتى ؟

ورحل مسرعا ٠ وخرج على ببطء شديد ، ملتفتا بعد كل بضـعة خطوات ليتفرس فى مكتب البريد ٠ وكانت عيناه مشبعتان بالدموع ٠٠٠ دموع العجز ، لأن صبره قد استنفد ، ومع ذلك لا يزال لديه الايمان ٠ ولكن كيف يستطيع أن يظل آملا فى وصول أخبار من مريم ؟

وسمع على أحد الكتبة آتيا وراءه ، فالتفت اليه وقال :

– أخـــى !

فاندهش الكاتب ، ولكنه كان شخصا لطيفا فقال :

– نعـــم ؟

– هنا ، انظر الى هذه !

وأخرج على علبة صفيح قديمة وأفرغ منها خمسة جنيهات ذهبية فى يدى الكاتب المندهش واستطرد قائلا :

---

(٦) صاحب : تعبير للاحترام يستخدمه الهندوس والمسلمون عندما يخاطبون أناس أعلى منهم مقاما ٠

(٧) فى الأصل بايك ، وهو عملة برونزية للهند البريطانية يساوى حوالى ٠٫٠٠٥٧ من السنت الأمريكى ٠

ـ لا تندهش هكذا انها ستكون مفيدة لك ، ولا يمكن أن تكون كذلك بالنسبة لى • ولكن هل تفعل شيئا واحدا ؟

ـ مـاذا ؟

فقال على ، مشيرا الى السماء :

ـ ماذا ترى فوق هناك ؟

ـ السماء •

ـ ان الله هناك ، ، وأنا أعطيك هذا المال فى حضرتـه • وعنـدما تأتى رسالة مريم ، يجب أن تسلمها لى •

فسأل الكاتب المرتبك كلية :

ـ ولكن أين ••• أين سأرسلها ؟

ـ الى قبرى •

ـ مـاذا ؟

ـ نعم • هذا صحيح • فاليوم هو يومى الأخير ، يومى الأخير فعلا ، ومع الأسف ! لم أر مريم ، ولم تصلنى رسالة منها •

وكانت الدموع فى عينى على عندما تركه الكاتب على مهل ، وسار فى طريقه والخمسة الجنيهات الذهبية فى جيبه •

ولم يظهر على مرة ثانية ، ولم يزعج أحد نفسه ليستفسر عنه •

ومع ذلك ، ففى أحد الأيام ، وقع رئيس مكتب البريد فى مشكلة • مرضت ابنته فى مدينة أخرى وكان منتظرا أخبارا منها فى قلق • وجاء البريد وكومت الرسائل والخطابات فوق المنضدة • ولما رأى مظروفا له اللون والشكل الذى يتوقعه ، نتشه رئيس مكتب البريد فى لهفة • وكان موجهـا الى الحـوذى على ، فألقى به وكأنه قد أصابه صدمة كهربية • وفارقت رئيس المكتب نفحته المتكبرة ليخيم عليه الأسى والقلق وتبدت مشاعره الانسانية مجردة • وعرف على الفور أن هذه هى الرسالة التى كان ينتظرها الرجل العجوز ، ولابد أنها من ابنته مريم •

فصرخ رئيس مكتب البريد مناديا :

ـ لاكشيمى داس !

كان هذا اسم الكاتب الذى أعطاه على نقوده •

ـ نعم ياسيدى ؟

– هذه الرسالة لصديقك العجوز الحوذى على · أين هو الآن ؟

– سأبحث عنه ياسيدى ·

ولم يستلم رئيس مكتب البريد رسالته هو فى ذلك اليوم ·

وأرقه القلق فنهض فى الثالثة ، وذهب ليجلس فى المكتب ، وقال وهو مستغرق فى التأمل :

– عندما يأتى على فى الساعة الرابعة ، سوف أعطيه الرسالة بنفسى·

أدرك رئيس المكتب آنذاك مشاعر على واستطاع أن يفهم موقفه بعد ما قضى ليلة واحدة ليس الا فى ترقب وتوتر ، منتظرا فى قلق خبرا من ابنته ، وأصبح قلبه يفيض اشفاقا على الرجل العجوز المسكين الذى قد قضى لياليه طيلة الخمس السنوات الأخيرة فى نفس الترقب · وعندما دقت الساعة الخامسة سمع طرقا خفيفا على الباب ، فأيقن أنه على ونهض بسرعة من كرسيه ، فقلب الأب المكلوم تعرف على قلب أب آخر ، وفتح الباب على مصراعيه ·

فصرخ :

– ادخل يا أخ على ·

ورفع الرسالة الى الرجل العجوز الوديـع ، الذى كان واقفـا فى الخارج · كان على متكئا على عصاه والدموع تبلل عينيه ، كما كانت عندما تركت الكاتب · ولكن ملامحه كانت جامدة ، والآن قد لينتها خطوط من الرحمة · ورفع عينيـه وكان فيهما نور سماوى حتى ان رئيس مكتب البريد قد انكمش من الخوف والدهشة ·

سمع لاكشمى داس كلمات رئيس مكتب البريد ، أثناء قدومه نحو المكتب من جهة أخرى ، فسأل :

– من كان هذا ، ياسيدى ؟ العجوز على ؟

ولكن رئيس مكتب البريد لم يلتفت اليـه · اذ أنه كان محملقـا بعينين مفتوحتين مشدوهتين نحو مدخل الباب حيث اختفى على · أين يمكن أن يكون قد ذهب ؟

والتفت أخيرا الى لاكشمى داس ، وقال :

– نعم ، كنت أتكلم مع على ·

– على العجوز مات ، ياسيدى · ولكن أعطنى رسالته ·

ـ ماذا ؟ ولكن متى ؟ هل أنت متأكد ، يا لاكشمي ؟

فتدخل ساعي بريد كان قد وصل لتوه قائلا :

ـ أجل ، أنه هكذا · مات علي منذ ثلاثة أشهر ·

فارتبك رئيس مكتب البريد · كانت رسالـة مريم لاتزال ملقـاة بالقرب من الباب ، وكانت صورة علي لا تزال أمام عينيه · وأنصت لسرد لاكشمي داس عن آخر مقابلة معه ، ولكنه لم يزل يشك في حقيقة الطرق على الباب والدموع التي في عيني علي · فاضطرب وتشوش ذهنه · هل رأى عليا فعلا ؟ هل خدعه خياله ؟ أم ربما كان هذا لاكشمي داس ؟

وبدأ الروتين اليومي · وبدأ الكاتب يقرأ العناوين ··· وأخذ الاسم وراء الاسم يرن من الداخل ··· المفوض ، المندوب العام ، مدير الشرطة ، أمين المكتبة ··· وأخذ يقذف بالرسائل في رشاقة ·

ولكن رئيس مكتب البريد كان يراقبها الآن ، وكان كل رسالة منها تحتوى على قلب نابض ، دافيء · انه لم يعد ينظر اليها على أنها مظاريف وبطاقات بريدية ·

لقد رأى الجوهر الانساني للرسالة ·

وفي ذلك المساء ، كان يمكنك أن ترى لاكشمي داس ورئيس مكتب البريد يسيران بخطوات بطيئة الى قبر علي حيث وضعا الرسالة عليه ورجعا قافلين ·

ـ لاكشمي داس ، هل كنت أنت فعلا أول من جاء الى المكتب هذا الصباح ؟

ـ أجل ، ياسيدى ، لقد كنت الأول ·

ـ اذن كيف ··· لا ، أنا لا أفهم ···

ـ ماذا ياسيدى ؟

فقال رئيس مكتب البريد باقتضاب :

ـ لا ، لابأس · وعند المكتب افترق عن لاكشمي داس ، ودخل · كان قلب الأب المتيقظ فيه حديثا يلومه لفشله في فهم جزع علي · وبعد ما عذبه الشك والندم ، جلس في وهج سيجرى (٨) الفحم ينتظر ·

---

(٨) سيجرى : مدفأة صغيرة مصنوعة من الفخار أو الطين (بنجابى) ·

لعبة الخيزران (١)

انشنيتا كومارسن جوبتا

ولد سن جوبتا فى عام ١٩٠٣ وشب خلال الاستعمار البريطانى للهند · احسن بتاثيرات كل من الواقعيـــة الغربية والرومانسية الهندية ومزج فى اعماله كلا التراثين · واهتم كثيرا بالطبقات المطحونة من الناس وشرائح الحياة المخنوقة بالفقر المعام ، ومن خلالها تعرض للفنون الشعبية ·

وبجانب القصص القصيرة نظم الشعر وكتب روايات ناجحة ·

كان سوق جاجان السنوى منعقدا فى الميدان فى خوروجاتشى(٢) ·

لم يكن السوق هذه السنة ناجحا تمامـا ، ولم يجـذب الجمهور المعتاد ، وكانت تنويعة الأشياء المعروضة للبيع فقيرة : بابادام كريه الرائحة مقلى فى زيت فاسد ، فشار ومانجو خضراء غير ناضجة · ولندرة الورق ، اختفت الطائرات الورقية واللعب الهفهافة المصنوعة من الورق · كانت هناك لعب من الصلصال ··· كلاب ، وقطط ، وجياد وأفيال ··· جميعها بلون واحد · مع نقطة أو خط باللون الأسود يحدد العين أو نهاية الذيل · ثم سلال من الخيزران والعصى الرفيعة ، صغيرة وكبيرة · وأوان فخارية وصوان وفناجين وأطباق · ولكن أكوام المناشف المنسوجة باليد بأشكالها المرحة ، والأساور والخلاخيل ببريق ألوانها المتعددة كانت غير موجودة ·

وكان يبدو على القادمين للسوق التعب والوهـن ، كأنهم قد بعثوا أمواتا أكثر منهم أحياء من أحشاء وادى مظلم من وديان الخوف · ولم تكن توجد فرحة فى حديثهم ، ولا فى مشيتهم · وكانت الملابس التى يرتدونها قاتمة كالحلة ··· على وشك أن تتحول الى أسمال بالية ·

---

(١) عن الترجمة الانجليزية للمؤلف ، والنص الأصلى منشور بالبنغالية ·

(٢) سوق جاجان : كانت تسمى الأسواق فى الهند على أسماء الآلهة أو على أسماء أقرب بلدةلها· وهنا جاجان هى بلدة فى جنوب غرب باكستان حاليا وقريبة من قرية خوروجاتشى ·

وكان الزحام كثيفا تحت شجرة كبيرة ، حيث كانت تتركز الضجة والشعب المنبعث من السوق هناك .

وعندما اقتربت ، سمعت طفلا ينتحب :

– سأسقط ، سأموت !

تكثفت على بصره غشاوة من دموعه المنهمرة وهو يشهق وينتحب . انه صبى صغير فى السادسة أو السابعة من عمره ، له ذراعان وساقان مثل العصيان الهشة ، وقطعة قماش بالية ملتفة باحكام تحت وسطه ، كان يبدو عاجزا مثل فرخ صغير قد سقط من عشه سهوا .

– ما هذا ؟ لماذا يبكى ؟

كانت لعبة الخزران على وشك أن تبدأ ، هكذا قالوا لى . ولم أفهم فى البداية . هل كانوا سيضربون الصبى بخيزرانة ، ولهذا السبب يبكى وينشج هكذا بدون توقف ؟

لا ، الخيزرانة لن تستخدم فى ضربه . انها تستخدم فى لعبة ... خدعة سنشاهدها بعد قليل ، هكذا قالوا لى مفسرين .

كنت أعرف أن أوامر الحجز والمصادرة التى يصدر بها حكم قضائى من المحكمة ينفذ أحيانا بوضع لافتة على عامود من الخيزران قرب الملكية المصادرة ، مع نقر على الطبول . ولكنى لا أعى أى لعبة أو خدعة أخرى يمكن أن تؤديها قطعة خيزران .

وتساءل شخص ما :

– هل الخيزرانة ستزرع فى الأرض ؟

فقال شخص آخر من أولى العلم فى نبرة نفوذ تبعث بالثقة :

– أوه ، لا ، هذه ليست لعبة عادية من ذلك النوع . لا ، فالرجل العجوز سيضعها على بطنه وسيتسلق الصبى عامود الخيزان ويصعد الى قمته . ثم يوازن الصبى نفسه على طرف العامود ويتمدد عليه ووجهه الى أسفل . وعندئذ يبدأ عامود الخيزران فى الدوران ، وبالتالى سيدور الصبى فاردا يديه وساقيه فوق القمة . لقد رأيتهم وهم يؤدونها عدة مرات من قبل .

– هل هذا هو الرجل العجوز ؟

– أجل ، انه مانتاج .

كان جسد الرجل العجوز متغضنا مثل قطعة حبل مفتول ، وعدة

شعرات شائبة نائة من ذقنه · وكان صدره مقوسا كهضبة صغيرة ، وله معــدة مجوفة مقعرة ، يتهــدل لحمه القليل من عظامـه · وعينـاه العميقتان تلمعان فى شمس ما بعد الظهيرة · وكانت عيناه فقط هى التى تعطى الدليل على الشجاعة والمهارة التى عنده ·

والتف المتفرجون فى حلقة · ودار مانتاج حولها بكوز عتيق من الصفيح ، آملا أن يجمع بضعة عملات نحاسية ·

ووبخه أحدهم قائلا :

ـ العرض لم يبدأ بعد ، وها أنت تطلب نقودا !

ولكن كيف سيبدأ العرض ؟ والمؤدى الذى عليه أن يقوم بتسلق العامود ، كان مشغولا فى خلق ضوضاء بعويله··« سأسقط ، سأموت !»·

ـ لم كل هذا العويل ؟ اذا كنت بهذه العصبية بسبب السقوط ، فلماذا جئت اذن ؟

ولكن مانتاج لم يعر التفاتا لولولة الصبى · واستمر يلف بكوزه الصفيح مؤكدا لكل شخص أن العرض سيتم بالتأكيد ·

وسألت الرجل الواقف بجانبى :

ـ هذا ليس عرضهما الأول ، أليس كذلك ؟ اذن لماذا يبكى الصبى ·

ـ انه لم يؤد من قبل هذه اللعبة ، انه مبتدىء ·

ـ اذن من قام بها ·

ـ أخوه الأكبر ···

واحتج شخص آخر قائلا ·

ـ لا ، لا ، لقد قام هذا الصبى بأدائها مرة أو مرتين · لقد تسلق هذا الصبى الخيزرانة عندما قدموا عرضا خلال الساراسواتى بوجا(٣) ،فى ساحة المدرسـة بتنتول · انه لم يعتـد عليهـا بعد ، كان أداؤه فى ذلك اليوم مجرد تسلق عامود الخيزران · أما المؤدى الحقيقى فهو أخوه الأكبر· ولكن مهما قلت ، فانا أشعر أن الفضل الحقيقى فى أداء اللعبة للرجل الذى يدير الخيزرانة ··· مانتاج ·

ـ وأين أخوه ؟

أود أن أعرف !

---

(٣) احتفال الهندوس المخصص لساراسواتى الهة التعلم ·

ولم ترن رنة وحيدة فى كوز مانتاج . فلم يكن أحد مستعدا أن يتخلى عن عملة نحاسية قبل بدء العرض .

وحيث انه لا يوجد بديل آخر ، ذهب مانتاج نحو الصبى . فصرخ الصبى فى خوف وكأنه يواجه جدارا مصمتا وكلبا مسعورا يطارده :

– لا ، لا ، سأسقط ، سأموت ...

فجذب الأب يد الصبى بخشونة ، ورفع يده ليضرب الصبى .

وبدأ بعض المشاهدين يعنفون الصبى فى صالح الأب :

– بووه ، انظر كم هو خائف . لقد عرض أبوك هذه اللعبة مع شباب كبار فوق الخيزرانة ، وتظن الآن أنه لا يقدر عليك ... يالك من غلام خائب !

وابتسم مانتاج . واضفت خبرته الطويلة على ابتسامته نهاية حادة ، وقال :

– ولنفرض أنك انزلقت ووقعت ، ألن يستطيع أبوك أن يمسكك فى ذراعيه ؟ هيا ، تعال .

وزاد الرجل الذى يقرع الطبلة الصغيرة من ضربات عصاه بشكل أشد .

ولكن الولد رفض أن يتزحزح ، وارتفع صوت عويله على جلبة السوق .

وهكذا لن تؤدى لعبة الخيزران ! وبدأ ينسل واحد بعد الآخر مبتعدين .

واشرأب مانتاج بعنقه فى سخط ، وتطلع من فوق دائرة الجمهور . وبعد ذلك بقليل ، جاء صبى آخر سائرا على أقدام ضعيفة ، غير ثابتة ، ممسكا فى يده ببابادم نصفها مأكول .

فصاح بعض المتفرجين :

– انه أخوه .

صبى عمره عشر سنوات نحيف ، ذراعيه وساقيه مثل عيدان القصب ، ويلف جسده قطعة قماش مهترىء . وكانت توجد حول شفتيه ووجنتيه وذقنه علامات لجروح أصبحت الآن متقرحة . وكانت تقلقه ذبابة زنانة أثناء هبوطها على طرف أنفه مرات ومرات . وتحمل عيناه الكبيرتان نظرة جوفاء خالية من المعنى .

وذهب الى أخيه الصغير وقال :

ـ لاتبك يا اكو ، ساتسلق العمود ٠

فهدأ اكو وجفت دموعه في الحال ٠

واقترب الجمهور أكثر ٠ وأصبحت ضربات الطبلة الصغيرة مسعورة أكثر ٠ ولملم مانتاج قطعة القماش المتعلقة بين وسطه وركبتيه وأحكم وثاقها ٠ ووضع الخيزرانة على معدته ، في تجويفة سرته ٠ وتمتم بشيء في غير وضوح ٠ لعله رفع بدعاء الى ربه ٠ ثم لمس الخيزرانة بجبينه ٠ وقربها الآن من فمه ، وهمس لها بشيء ما ، ثم ضربها بيديه ٠

ولم يشاهده أحد مطلقا يسلك هكذا ٠٠٠ كما يفعل الآن ٠

ونادى على ابنه الأكبر :

ـ تعال يا امتاج ٠

وفي لحظة انتزع امتاج اللحاف الممزق من على جسده ٠

وكأن شيئا ما قد ضربني ٠٠٠ وتنفست في رعب ٠ كان صدر الولد ومعدته مغطيان بالقروح التي تجري في خطوط طويلة ٠ وبعضها قد كون قشرة ، وبعضها الآخر كانت جروحا مفتوحة ، وغيرها قد تقيح وتورمت من الصديد ٠ ولقد جلبت تلك الذبابة المشئومة عددا من الذباب الزنان الضخم أزرق البطن ٠

وشعرت بشيء من الراحة عندما أدار الصبي ظهره لي ٠ فظهره كان ناعما وبلا ندبات ٠

وسألت :

ـ من أين جاءته هذه القروح ؟ انها قروح كثيرة !

وعلمت ، أن بعضهم يعرف ٠ ففي احتفال الربيع ، سقط امتاج أثناء تأدية دورة في منزل الزامندار (٤) ، في شامبالي ٠ وكان الرجل العجوز قد شفي لتوه من نوبة ملاريا ، فلم يستطع أن يحتفظ بتوازن الخيزرانة على معدته ٠ وجاءت سقطة امتاج على أرض مغطاة بالحصباء والقرميد المتكسر فتسببت في جروح وكدمات فظيعة في صدره ومعدته ٠ ومن وقتها وأصبح الولد منحرف المزاج ٠

وسأل مانتاج :

---

(٤) مالك هندي ٠

ـ ألن تلف نفسك بهذه الخرقة ؟

فقال الصبى :

ـ لا ٠

وفرك كلتا يديه بالتراب ، وقفز على عامود الخيزران ،الذى كان قد استقر على معدة أبيه ٠ ومع التـدريب الطويل ، بدأ التسلق بسرعـة وخفة ٠ ووقف مانتاج ساكنا ، بلا حراك ، ماسكا الخيزرانة بكلتا يديه ضاغطا على تجويف معدته ٠

ـ دعوه يرى ، دعوا أكاس يرى ، كيف جاء أخوه راغبا لأداء الدور بالرغم من جروحه ٠

ورفع اكاس أو أكو رأسه الى أعلى محملقا فى أخيه ٠ ولم يكن لديه ما يخشاه الآن ٠ فكان يمكنه أن يدق على الطبلة الصغيرة أو يلف بالكوز اذا رغب ذلك ٠

وعندما وصل امتاج الى قمة الخيزرانة ، توقف لحظة ، ثم لملم قطعة القماش ليثبت طرف العامود على معدته ٠ وظهرت جروحه مرة أخرى ٠ فكان المنظر لا يطاق ٠ واستدرت لأرحل ٠

فأوقفنى أحدهم ، وقال :

ـ عندما يستلقى ممددا على العامود مثل الضفدعة وذراعيه وساقيه معلقة طليقة ، ويبدأ فى اللف والدوران فى الفضاء ، لن تر هذه الجروح ٠

ـ هل يدير الأب الخيزرانة بيديه ؟

ـ انه يدير الخيزرانة عدة مرات ، ثم يثبتها على سرتـه ، وتلف وتدور بالدفع الذاتى ٠ وهذه هى الخدعة بلاشك ٠

فقال شخص آخر مقاطعا :

ـ ان عروض الأكروبات على الخيزرانة المزروعـة فى الأرض قـد أصبحت شيئا عتيقا الآن ٠٠٠ وما هى البراعة فى ذلك ؟

بدأت الخيزرانة ، فى هذه الأثناء ، تدور فى يد مانتاج ٠ لابد وأن الصبى قد أصبح خفيفا جدا بعد سقوطه ، فكان يدور بسرعـة كعجلة عربة من الورق٠وكانت ذراعاه وساقاه مفتوحتان ، ولم تعد جروحه البشعة مرئية ٠ ولا يكاد المرء يميز ان كان هذا الذى يدور فى الفضاء كائنا بشريا أو خفاشا أو ثعلبا طائرا ٠

تثبت نظرى نحو السماء ، وأدرت عينى الآن الى مانتاج ، عندما

وضع فجاة العامود الدائر فى سرته ورفع يديه · فكانت بطن الأب منظرا يستحق المشاهدة عن ابنه · كانت معدة الابن كتلة من الجروح ، أما معدة الأب ، فكانت تجويفا كبيرا جدا لزرع الخيزرانة فيه · لقد شعرت أن هذا التجويف العميق كان موجودا من وقت طويل ومن يدرى ما الذى تمخضت عنه هذه العصا المتقدة التى تتحرك بعنف داخل التجويف ؟

ولم أستطع أن أصدق عيناى عندما رأيت الى أى مدى ضغطت الخيزرانة بسنها فى معدته · لقد رأيت رجالا ببطون متسطحة مع ظهورهم قبل ذلك · ولكن الآن أرى رجلا يبدو وكأن ليس لديه بطن على الاطلاق ·· فبدأت الخيزرانة تضغط مباشرة فى ظهره من الأمام · وقد تغضنت أحشاؤه نفسها ، واختفت لأحد يدرى أين · وكانت الخيزرانة فى كل دورة تقعقع فى عاموده الفقرى ·

وحدث ما كنت أخشاه كل لحظة ، ولكن لم يكن امتاج الذى سقط. بل هو مانتاج الذى يترنح وينهار على الأرض · وفى آخر لحظة ، مد بيديه ليمسك بالصبى الساقط · ولكن بالرغم من خفة الصبى ، فذراعا والده لم تكونا بالقوة الكافية لمساندته ·

واشتكى أحدهم :

ـ يبدو أن العجوز هذه الأيام يده سائبة ···

وقبع امتاج على عجزه وأخذ يضغط على رأسه بيديه ، لاهثا مثل جواد عجوز فى سباق مرير · وكان يحملق فى كوزه الفارغ على نحو خال من التعبير ·

ولا عجب أنه قد أخذ الكوز ودار بهقبل بدء العرض · ولو كان قد حصل على قليل من العملات النحاسية ، لكان قد أكل شيئا ··· بابادام أو اثنين ، أو ربما قليلا من البصل المقلى وشرائح البرنجال التى تباع فى الجوار · فكسرة طعام كانت من الممكن أن تفرق كثيرا ، وربما كانت أعطت بعض القوة لذراعيه العتيقتين المرهقتين ·

ويمكن للعادة المستمرة طويلا أن تدرب المرء على تحمل معظم الأمور ما عدا اخماد قرصات الجوع · فالخيزرانة ،والأذرع العاجزة ، والابن والقروح ··· يمكن للمرء أن يواجه كل منها فى دوره بالشجاعة التى تكسبها الخبرة والتمرين ··· ولكن الجوع ··· فهو جامح ، صعب المراس ، ولا يرحم ·

لقد انزلقت الخيزرانة ، وسقطت على مسافة بعيدة ، ولا يزال امتاج على مسافة أبعد · وحجبت ضجة الجمهور أناته · وقال أحدهم :

ـ انه انتهى ٠

وقال آخر :

ـ ان قلبه لا يزال يدق :

كانت توجد مستشفى خيرى فى الجوار ٠ فحمل بعض الناس امتاج الى هناك ، وقد بذلوا ما فى وسعهم لتجنب احتكاكهم بقروحه ، ولما كان الحادث قد وقع لتوه ، فلم تستطع المستشفى أن ترفض قبول المريض ٠ ولو كان امتاج قد ذهب هناك لعلاج قروحة ، لكانوا طردوه ، لأن مانتاج كان لا يستطيع دائما دفع الأنـا (٥) ، التى يطلبونهـا مقابل العـلاج ٠ ولو جاءت نصف أنا أو أنا لامتاج ، أكان يصرفها على علاج القروح التى تغطى المعدة أم يسكن القروح التى تشتعل فى الداخل !

جلس مانتاج متجهما وصامتا ، ولكن الولد الأصغر بدأ يعوى بأعلى صوته ٠ فاعتقدت أنه يبكى من أجل أخيه ٠

ولكن لا ، انه كان نفس النواح ، وفى نغمة أكثر بؤسا :

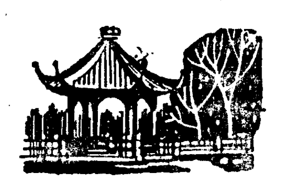
ـ انه دورى الآن ! سأسقط ، سأموت ٠٠٠

ونهض مانتاج بلا كلمة ، وأخذ أكو من يده وسارا تجاه المستشفى ٠

ـ سأسقط ، سأموت !

أى اله غير مرئى كان الطفل يتلمس بنواحه الجدير بالشفقة من أجل بؤس لا يعرف له علاج ٠

وظل مانتاج صـامتا ٠ وبدا وجهـه الحجـرى قاسيا فى تجرده المرجف ٠ وكان هذا الصمت الجامد البارد الرد الوحيد الذى يستطيع ان يعطيه لابنه ٠ وما الذى يستطيع أن يفعله غير ذلك ؟ لابد أن يأكل ٠



---

(٥) الأنا : عملة سابقة فى الباكستان ، واحد على ست عشرة من الروبية والروبية تساوى حوالى احدى وعشرين سنتا أمريكيا ٠

أهل الثقة (١)

باناسومادیفا

يقال ان سومادیفا كتب اكثر من ثلاثمائة حكاية ليؤلف مجموعته « كاثاساريت ساجارا » ، لتســـلية امراة عجــوز ، هي جدة ملك كشمير • ولقد ادعى سومادیفا ، من منطلق تواضعه الشديد أو نقيضـــه ، ان هذه القصص قد رواها له سيفا ـ الاله الهندوسى للتدمير والتجديد والفنون الجميلة • وكثير من حـكاياته حديثة بشكل مدهش من حيث المعنى والشكل • وهى ماخوذة من المجموعات السنسكريتية القديمة ، ولكنه اعطى القديم صبغة جديدة ، وهكذا جعل كل حكاية كما لو كانت من وضعه هو بشكل متفرد • وظهرت « كاثاساريت ساجارا » فى نسخة شعرية واخرى نثرية •

يحكى أن لصين اسمهما مدافـا وسيفـا كانا يعيشان فى مدينـة راتنابورا (٢) وبعد أن سلبا كل امرىء من سكان المدينة ، فكرا فى لحظة تجل ، أن يغيرا مسرح أحداث عملياتهما • وعلما أن أحد البراهمة (٣) ، واسمه سانكارا ســوامى ، كان رجــلا ضــعيفا ساذجا يرفل فى ثروة ضخمة وحباه الله بابنة جميلة • وكان البرهمى يخـدم فى بلاط ملك يوجاينى ، ووضع اللصان خططهما ، ثم توجها الى تلك المدينة •

واستثمر مدافا مبلغا من الذهب فى شراء ملابس رسمية فخمة وفى تأجير قافلة كبيرة مهيبـة • وادعى أنه صـاحب المقام الرفيـع النبيــل راجبوت (٤) ، وانه مسافر مع قافلته الى قريـة على مسافـة قصيرة من يوجاينى حيث حط رحاله هو وأتباعـه • وفى هذه الأثناء ، دخل سيفا يوجاينى بمفرده • واختار معبدا مهجورا على ضفاف نهر سيبرا ، وأقام هناك متظاهرا بأنه رجل مقدس •

---

(١) عن الترجمة الانجليزية ل : هـ • هـ • ويلسون ، عن اللغة السنسكريتية (القرن الثانى عشر) •

(٢) مدينة فى جنوب سيلان ، سريلانكا حاليا •

(٣) أحد أفراد طبقة الكهنوت العليا • والبراهما : الذات العليا ، العلة الأولى ، روح الكون العليا وجوهره ، عند الهندوس •

(٤) أحد أفراد جماعة المحاربين •

والزم نفسه ضروب الحرمان والتقشف تعبيرا عن توبته وتكفيرا عن ذنوبه ، لفت سيفا أنظار الناس في الحال • فكل يوم في الفجر يلطخ جسده بالطين ويغمر رأسه في النهر ، ويظل تحت الماء لعدة دقائق • وعندما ترتفع الشمس تماما فوق الأفق ، يعود الى البر ليتأمل في أشعة الشمس الساطعة وكأنه منقطع الى الدعاء والتأمل • ويعود عند المساء الى المعبد لتقديم الزهور للآلهة •

وكان أحيانا يؤدى الأوضاع المقدسة لعبادة اليوجا ، وكأنما لا شغل له سوى العبادة • وكان يلبس جلد الغزال الأسود عدة مرات أسبوعيا ويأخذ عصاته ونصف جوزة هند مجوفة ، ويرحل الى المدينة في طلب الصدقات • ويتظاهر بتقسيم الأرز الذى يحصل عليه الى ثلاثة أقسام : قسم للغربان وآخر للفقراء والقسم الأخير يحجزه لنفسه • وكان سيفا يقضى لياليه بمفرده في المعبد ، لأنه لا يجرؤ على زيارة الأماكن العامة خشية أن يتعرف عليه ضحاياه •

وعندما علم مدافا أن سيفا قد وطد نفسه في دوره الاحتيالى ، رأى الوقت سنح ليلعب دوره • فدخل المدينة واستأجر قصرا فسيحا ليس بعيدا عن مقر البرهمى الثرى • وتظاهر بزيارة المعبد ليؤدى واجب الطاعة لسيبرا ، ورتب مقابلة غير مقصودة مع سيفا • حيث تظاهر بتوقير الرجل المقدس وقال للحاضرين آنذاك ان سيفا متنسك متدين له قداسة فريدة ، وأنه قد التقى به من قبل في سفرياته •ورد سيفا في تلك الليلة الزيارة ، وأكلا وشربا ، وفرحا سويا ، واتفقا فيما بينهما على مجريات الأمور التالية •

وفى الصباح التالى أرسل مدافا رسولا حاملا هدايا لسانكارا سوامى •

وقال الرسول :

ــ النبيل صاحب المقام راجبوت شارف الداكهين ويود هو واتباعه خدمة ملك يوجايني • ولما كنت ياسيدى الموقر أثيرا عند الملك فسيدى يقدم هذه الهدايا ويطلب منك مناشدة الملك بالنيابة عنه ليأذن له بلقائه •

وخدع رجل الدين العجوز ، الذى كان جشعا وطماعا بالطبيعة ، بالقيمة الظاهرية للهدايا وأسرع بالتعهد بالمساعدة • واستطاع أن يرتب لقاء مدافا وأتباعه بالملك • وألح عليه في استضافته طمعا في الحصول على قسط من هداياه •

وفى اليوم الذى جاء فيه مدافا لبيت سانكارا سوامى طلب منه أن يحفظ مجوهراته في خزانته الخاصة • وكادت عينا سانكارا سوامى أن

تخرجا من محجريهما عندما رأى مدافا ينثر المجوهرات على المائدة وأخذ بنفاستها وروعتها ، اذ كلها مصنوعة بمهارة عظيمة فلم يخطر بباله أنها مزيفة ولا تساوى شيئا • وهكذا قبل رجل الدين الطماع وضع المجوهرات المزيفة فى سراديبه •

وفى الأسابيع التالية ، امتنع مدافا سرا عن الطعام • وبدأ ينخفض وزنه ويشحب لونه • وتظاهر بأنه يعانى من مرض خطر ، وطلب من سانكارا سوامى أن يبحث له عن رجل دين تقى ، وهو يجهش بالبكاء وقال:

ـ أخشى أن تكون ساعتى قد حانت ، وسيكون آخر عمل لى هو تقديم كل ممتلكاتى لمتنسك يستحقها •

كان الرجل الكبير يعرف كثيرا من رجال الدين ، ولكنهم لا يؤتمنون على مثل هذا الكنز • وحسب تعليمات سابقه اقترح أحد أتباع مدافا أن يبعثوا لرجل الدين الذى يعيش فى المعبد على ضفاف السيبرا •

وقال التابع ناصحا :

ـ انه يتمتع بسمعة رفيعة ، حتى سيدى يتكلم عنه بكل خير •

وقبل سانكارا سوامى نصيحة التابع ، ولكن كانت لديـه خططه الخاصة للتصرف فى المجوهرات ، لذلك قـرر أن يقابل الناسك قبـل مجيئه لقصره • وهكذا ذهب الى المعبد فى سيبرا ، حيث انحنى أمام الناسك وقال :

ـ ان أحد النبلاء قد حانت منيته ويرغب فى اعطائك ثروته كلها ومنها مجموعة قيمة من المجوهرات •

فأجاب سيفا بوقار مدروس :

ـ سأغفر لك قولك رغم أنه جاء من شفتى كاهن • انه لمن المضحك أن تقدم كنوزا دنيوية لناسك • ان الأمور الزائلة الفانيـة ليست ذات قيمة لواحد يجد متعته فى التكفير عن خطاياه وفى العزلة • انى أبحث عن العلم الربانى ، لا الثروة • والآن ارجع من حيث جئت لأنى أرفض طلبك •

وما كان من عدم اكتراث سيفا الواضح الا أن شحذ حماس سانكارا، فاسهب فى الحديث عن تناقض الملذات الدنيوية مع تقشف حياة النساك وعن واجبات المالك ازاء الفقراء وقال ان الناسك وقـد أوفى بالتزاماتـه نحو الآلهة ، عليه أن يسهر على اصلاح الانسانية •

وأخيرا بدا أن حجج رجل الدين العجوز قد أثرت على الناسك ، فتنهد سيفا أخيرا وقال :

— ربما تنجح فى اقناعى بالرجوع الى التعامل مع البشر · ومع ذلك فليس لى حاجة فى الذهب أو المجوهرات · ولكننى اتوق الى أن أجد زوجة من أسرة فاضلة ونبيلة مثلى ···

هنا رأى سانكارى سوامى فرصة لغنيمة أكبر ، فاقترح أن يتزوج الرجل من ابنته وعرض عليه اذا تخلى عن ثروة راجبوت ووهبها اليه أن يزوده بصداق سخى الى جانب زواجه من ابنته ·

وتصنع سيفا فى الدالة الممانعة ، وفى النهـاية قبل الزواج من ابنة رجل الدين · وقال ان التصرف فى ممتلكات راجبوت أمر يمكن تركه كلية لحميه يتصرف فيه كيفما شاء · وحسب سانكارا سوامى أن الناسك أحمق وهنأ نفسه على دهائه ، ولم يضيـع الوقت فى عمـل الترتيبات · فأخذ سيفا الى منزله وزوجه من ابنته ·

وبعدها بثلاثـة أيام قاد رجـل الدين زوج ابنته الى مدافا طريـح الفراش · وحيا الراجبوت المزيف الرجل المقدس المزيف بتبجيل بارع ، بل ناشد سيفا أيضا أن يصلى فوق رماده بعد وفاته · وقبل انتهاء المقابلة أهدى مدافا مجوهراته لسيفا ، التى منحها الرجل المقدس الى حميه ، معلنا الجهل التام بنوعها أو قيمتها · وبعدما أحل الرجل المقدس بركاته على الرجل المريض ، رحل الزائران : وحاز سيفا على عروسته ، واستحوز سنكارى سوامى على صندوق المجوهرات ·

وبعد ذلك بأيام قليلة تظاهر مدافا بأنه قد استرد صحته ، بفضل بركات الرجل المقدس مما أربك خطط سانكارى سوامى وزاد الطين بلة أن زوج ابنته الجديد أخذ يبدى استياءه من حميه وقرر الأن أنه يريد نصف مجوهرات راجبوتى ·واقترح سانكارا سوامى تسوية ، فى محاولة لتهدئة تذمر سيفا ··· انه لا يستطيع التنازل عن جوهرة واحدة ، ولكنه وافق بدلا من ذلك أن يدفع مبلغا من الذهب والفضة على قسطين واخذ سيفا عروسته الجميلة وغادر منزل سانكارا سوامى بعد أن تسلم القسط الأول ، وانتقل الى قصر منيف فى قسم آخر من المدينة ·

وعند حلول موعد القسط الثانى والأخير ، عجز سانكارا سوامى عن تدبير المبلغ كله · وقرر وقد أعماه الغضب أن يرهن احدى مجوهرات الراجبوت ولكن عندما فحص الصياغ الحلى أبدوا اعجابهم الصريح بالمهارة التى صنعت بها ، ولكنهم قالوا انها لا شيء أكثر من كريستال وزجـاج ملون موضوع فى نحاس ، وليس لها قيمة حقيقية · فأحضر لهم سانكارا بقية المجوهرات · ولكنهم وجدوها جميعا مزيفة فكانت صدمة بالغـة لسانكارا سوامى وكأن صاعقة قد أصابته ، فلم يدر برهة أين هو أو من هو ·

وكانت أول فكرة طرأت لرجل الدين بعد استرداد صوابه أن يجبر سيفا على اعادة ماله • ولكنه عندما زار زوج ابنته واقترح عليه اعطاءه المجوهرات مقابل الدفعة الأولى من الذهب والفضة التى دفعها له ، دون أن يذكر أى شىء عن اكتشافه ، فابتسم الشاب وأجاب :

ـ انى لا أعترض على هذا العرض ، ولكنى لسوء الحظ أنفقت المبلغ كله •

وأسرع رجل الدين فى ذعر الى ساحة القضاء •

وبعدما استمع الملك لحكاية سانكارا سوامى ، أمر باحضار مدافا وسيفا اليه • فقبض على الرجلين للتو وأحضرا للمحاكمة •

وبدأ سيفا الرد على الاتهامات التى قدمها سانكارا قائلا :

ـ اننى لم أنشد الصفقة ، وستشهد الشهود أننى قبلت كل شىء مع جهلى التام بطبيعة ونوع وقيمة مجوهرات الرجبوت • ولا أفهم كيف يلومنى رجل الدين الكبير على زيفها • وكل فرد يعلم أنى لم أرها من قبل ، والكل سيشهد على حقيقة أنى لم أوافق على اقتراحاته الا تحت ضغط الحاجة •

وبنفس الطريقة احتج مدافا وأكد براءته ، وقال مدافعا :

ـ كل هذه المجوهرات ورثتها عن أبى الراحل العزيز • ولم تواتنى المناسبة قط لأقوم بتقييمها من قبل خبير وقد وهبتها للرجل المقدس ، دون مقابل ، فلماذا أقدم له جواهر مزيفة على أنها حقيقية • وماذا كنت سأستفيد ؟

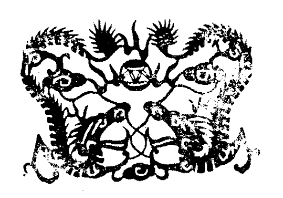
وبنظرة ألم مؤثرة ، اختتم مدافا كلامه قائلا :

ـ ولابد أنه واضح لجلالتكم أن الشفاء المفاجىء من مرض غريب ومميت دليل كاف على براءتى التامة •

وكان الدفاع الذى عرضاه الرجلان مقبولا جدا وبريئا فى الحال من تهمة الشروع فى الاحتيال ، ورأت المحكمة أن سانكارا سوامى يستحق عواقب جشعه •

وطرد من ساحة القضاء مشيعا بالسخرية والازدراء • ومع الوقت فقد سانكارا سوامى رتبته الرسمية كما فقد ابنته وثروته •

ومن ناحية أخرى وجد سيفا ومدافا نفسيهما موضع ثنــاء لشرفهما وطهارتهما . وجنيا جائزة مضاعفة : فكلاهما دخل في دائرة المقربين للملك، وبالطبع ، تمتع كل منهما بالثروة التى لا يستحقانها ... وأصبحا من أهل الثقة .



سـيدى ، الطفـل (١)

رابندرانات تاجور

نال تاجور (١٨٦١ ـ ١٩٤١) جائزة نوبل للادب عام ١٩١٣ ، واسهم فى الكثير من الاصلاحات الاجتماعية والتربوية فى وطنه الهند . ولد فى كالكتا من اسرة ثرية ، وتعلم فى أوروبا ، ثم عاد الى الهند ليؤسس جامعة فى البنجال . وفى عام ١٩١٥ منحه البريطانيون لقب فارس ، ولكنه تنازل عن هذا الشرف ، بعد اربع سنوات ، احتجاجا على معاملة البريطانيين السيئة للهنود . وكان تاجور رساما وموسيقارا كما كان كاتبا وشاعرا . وكان فى افضل حالاته عندما كان يكتب عن الطبيعة وعن الطفولة ، وكثير من نثره وشعره له شذا الصوفية والحب . والحب عنده قد يجمع بين القلب البشرى والقلب الأخرس للاشياء ، وقد يجمع ايضا بين القلب الخفى للوجود ، وقد يجمع كذلك بين القلب البشرى الواحد وقلوب غيره مجتمعة . وفى كل ذلك يمتد الحب ويتجاوز حدود المكان والزمان ، المرئى واللامرئى ، الطبيعى وما وراء الطبيعى ، ليكون فى النهاية قانونا ومظلة وهواء لكل الناس !

كان رايتشاران فى الثانية عشرة من عمره ، عندما جاء ليعمل خادما فى منزل سيده . انه ينتمى الى نفس الطائفة (٢) التى ينتمى لها سيده ، الذى كلفه برعاية ابنه الصغير . ومع مضى الوقت ترك الولد رايتشاران ليذهب الى المدرسة . ومن المدرسة ذهب الى الكلية ، وبعد الكلية دخل سلك القضاء . ولكنه ظل حتى تزوج ، حريصا على صحبة رايتشاران .

ولكن عندما جاءت سيدة الى المنزل استحوذت عليه ، وانتقل كل

---

(١) عن الترجمة الانجليزية ل : ك . ف . اندروس ، والنص الأصلى بالهندوسية .

(٢) ينقسم المجتمع الهندوسى الى أربع طوائف بالوراثة . ولا يتعامل أفراد كل منها اجتماعيا مع غيرهم من الطوائف . وهذه الطوائف مرتبة كالآتى : (١) **البراهمة** ، رجال الدين ، العلماء ورجال الحكومة ، (٢) **كشاترياس** ، المحاربون ورجال الدولة الصغار ، (٣) **فايسياس** ، التجار والحرفيون ، (٤) **سودراس** ، العمال غير المهرة . وما عداهم يسمون « المنبوذون » . وفى عام ١٩٥٥ أصدرت حكومة الهند قانونا يجرم التفرقة ضد المنبوذين .

نفوذ رايتشاران السابق الى سيدته الجديدة · وعوض هذا وصول فرد جديد ، فقد أنجب انوكول مولودا · وعلى الفور تولى رايتشاران رعاية الطفل بحب وحنان · واعتاد أن يؤرجحه الى أعلى فى ذراعيه ، ويلاغيه ويكلمه بلغة الأطفال المضحكة ، ويقترب بوجهه من الطفل ، ثم يسحبه ثانية بابتسامة عريضة ·

وكبر الطفل وأصبح قادرا على الحبو عبر المدخل · وعندما يذهب رايتشاران ليمسك به ، يصرخ ويطلق ضحكة عابثة محاولا الفرار منه · وكان رايتشاران مندهشا من المهارة الشديدة وحسن التصرف والتمييز التى يظهرها الطفل عند المطاردة · فيقول لسيدته بنظرة رهبة وغموض :

— ان ابنك سيكون قاضيا فى يوم ما ·

وجاءت غرائب وعجائب جديدة فى دورها ، عندما بدأ الطفل يخطو ، وكان هذا عهدا فى تاريخ البشرية بالنسبة لرايتشاران · وعندما نادى أباه ··· با ·· با ، وأمه ··· ما ·· ما ورايتشاران ··· تشان ·· نا أصبحت سعادة رايتشاران لا حدود لها · وخرج يروى الخبر لكل العالم ·

وبعد فترة طلب من رايتشاران أن يظهر براعته بطرق أخرى · فكان عليه ، مثلا ، أن يلعب دور الحصان ، ويمسك باللجام بين أسنانه متبخترا بقدميه · وكان عليه أيضا أن يتصارع مع وديعته الصغيرة ، واذا لم يستطع ، فبحيلة من حيل المصارعين ، يسقط على ظهره مهزوما فى النهاية ، فتنطلق صرخة عظيمة بالتأكيد ·

وفى ذلك الحين ، انتقل انوكول الى منطقة على ضفاف نهر بادما · وفى طريقه من كالكتا اشترى لابنه عربة صغيرة لتعليم المشى ، واشترى له أيضا صدرية ساتان صفراء ، وقبعة ذات شريط ذهبى ، وبعض الأساور والخلاخيل الذهبية · وكان دأب رايتشاران أن يخرج تلك الحلى ويزين بها الصبى · فى طقسة احتفالية كلما خرج معه ·

ثم جاء فصل الأمطار ، فكانت الأمطار تنهمر على مدار الأيام فى سيول جارفة · وكان النهر الجائع ، الذى يشبه الحية المهولة ، يبتلع الأراضى والقرى وحقول الذرة ويغطى مع فيضانه الأعشاب الطويلة وأشجار الجازوارينا على الضفاف الرملية · ومن وقت لآخر ترتطم أمواه النهر بضفتيه فى هدير هائل يسمع من بعيد ، وتنجرف كتل الزبد الراغى فى سرعة توحى للرائى بقوة التيار وخطورته ·

وذات يوم توقفت الأمطار ، وظل الجو غائما لكنه كان مضيئا باردا · ولم يرغب طاغية رايتشاران الصغير أن يظل فى البيت بعد ظهر هذا

اليوم الجميل ٠ وتسلق سيادته العربة وقام رايتشاران بسحبه ببطء الى أن وصل حقول الأرز التى على ضفاف النهر ٠ كانت الحقول خاوية من البشر ولم يكن بالنهر زورق واحد ٠ بينما أخذتَ السحب تنساب عبر الغرب مخترقة صفحة الماء وغشت طقوس غروب الشمس الكون بغلالة رائعة متوهجة ٠

وفى قلب هذا السكون ، أشار الطفل فجأة باصبعه نحو زهرة كبيرة وصرخ قائلا :

ــ تشان ٠٠ نا ! دادا جميل ٠

كانت أمامه وسط الأرض الموحلة شجرة كاداميا ضخمة فى كامل ازدهارها ٠ وسيدى ، الطفل ، كان ينظر اليها بعينين شرهتين ، وعلم رايتشاران ما يقصده ٠ كان قد صــنع منذ برهة وجيزة فقط ، عربة صغيرة من غصون نفس هذه الزهرة ، وكان الطفل سعيدا تماما بسحبها وراءه بخيط قصير ، ولم يتوقف رايتشاران ، طوال اليوم ، عن الضحك ، فلقد ترقى من حصان الى سائس جياد ٠

ولكن لم يكن رايتشاران راغبا ذلك المساء فى الخوض عبر الطين حتى ركبتيه للوصول الى الأزهار ٠ ولذلك أسرع مشيرا باصبعه نحو الاتجاه المعاكس صارخا :

ــ أوه ، انظر ، يا سيدى ، انظر ! انظر الى العصفور ٠ وبكل أنواع الضجة الغريبة دفع بالعربة بسرعة بعيدا عن الشجرة ٠

ولكن الطفل المقدر عليه أن يكون قاضيا ، لم يستسلم بســهولة ٠ علاوة على أنه لم يوجد فى هذه اللحظة ما يلفت نظره ، ولا تستطيع أن تظل طويلا متمسكا بزعم العصفور الخيالى ٠

وأصر السيد الصغير على موقفه ، وأصبح رايتشاران على وشك أن يفقد صوابه ، فقال أخيرا :

ــ حسن جدا ، يا سيدى ، قف فى العربة مكانك ، وسأذهب لأحضر لك الزهرة الجميلة ٠ ولكن انتبه لا تتحرك من مكانك الى الماء ٠

وبعد قوله ذلك ، رفع ثيـــابه وكشف عن ساقيه حتى الركبتين وخاض فى الطين الموحل نحو الشجرة ٠

وفى لحظة ذهاب رايتشاران ، اندفع السيد الصغير فى سرعة كبيرة الى المياه الممنوعة ٠ ورأى الطفل النهر بجواره مندفعا يتناثر منه الرزاز وهو يهدر فى اندفاعه وبدا وكأن المويجات العاصية نفسها ، كانت تفر

من رايتشاران وبدأ قلب الطفل البشرى يضطرب ، فانسل خارجا من عربته وخطا نحو النهر • وفى طريقه التقط عصا صغيرة ، وانحنى فوق الضفة متظاهرا بالصيد • وبدت جنيات النهر العابثة وكأنهـــا تدعوه بأصواتها الغامضة الى مقر لعبها •

وكان رايتشاران قد اقتلع زهرات من الشجرة وحملها فى ثيـــابه ، وعاد بوجه مشرق بالابتسام ولكنه عندما وصل الى العربة ، لم يجد أحدا عندها • وتلفت حوله فلم ير مخلوقا وعاد وتطلع الى العربة ، ولكنهـــا كانت خاوية •

وفى تلك اللحظة الأولى الرهيبة جمدت الدماء فى عروقه وغاصت الدنيا كلها أمام عينيه فى غشاوة معتمة قاتمة • وأطلق من أعماق قلبه المكلوم صرخة حادة :

ـ سيدى ، سيدى ، سيدى الصغير •

ولكن ما من مجيب لصرخته ليقول :

ـ تشان •• نا •••

لا طفل يضحك عابثا ، ولا صرخة طفل متهلل يرحب بعودته • ليس هناك الا النهر فقط ، جاريا بضجته الهادرة كما كان من قبل ••• كما لو كان لا يدرى شيئا وكأنه ليس لديه الوقت ليهتم بحادث بشرى بسيط ، كموت طفل •

وأضحت سيدة رايتشاران قلقة جدا مع تقدم المساء • وأرسلت الرجال فى كل مكان للبحث • فساروا بالفوانيس ، حتى وصلوا أخيرا الى ضفاف نهر البادما • وهناك وجدوا رايتشاران يندفع قاطعا الحقول ذهابا وجيئة ، مثل الريح العاصف ، صارخا صيحة اليأس :

ـ سيدى ، سيدى ، سيدى الصغير !

وعندما أحضروا رايتشاران أخيرا الى البيت ، خر ساجدا عند أقدام سيدته • فهزوه ، واستجوبوه ، وسألوه مرارا وتكرارا أين ترك الطفل ، ولكن كل ما استطاع أن يقوله ، هو أنه لا يدرى شيئا •

وبالرغم من أن الكل أجمع على أن البادما قد ابتلع الطفل ، الا أن الريبة ساورت بعض العقول لأن البعض لاحظ وجود جماعة من الغجر خارج القرية فى ذلك اليوم ، فحام الشك حولهم • وظنت الأم فى حزنها الجامح أن رايتشاران نفسه قد سرق الطفل • فاستدعته جانبا وقالت له فى توسل :

ـ رايتشاران ، أعد لى طفلى · أوه ! أعد لى طفلى · خذ منى ما تريد من مال ، ولكن أعد لى طفلى !

وحاول انوكل أن يعقل زوجته ويخرجها من كل شـكها الجـائر هذا ، وقال لها :

ـ ولماذا يرتكب جريمة كهذه ؟

فأجابت الأم المكلومة :

ـ لقد كان الطفل يرتدى حليا ذهبية · من يدرى ؟

وكان من المستحيل اعادتها الى صوابها بعد ذلك ·

عاد رايتشاران الى قريته · وحتى ذلك الوقت لم يكن قد أنجب ، ولم يكن هناك أدنى أمل فى أن يولد له طفل فى ذلك الوقت · ولـكن تصادف وحدث أن أنجبت زوجته قبل انتهاء العام طفلا ثم ماتت ، مما بعث فى قلبه احساس بالاستياء عند رؤية هذا الطفل الجديد · وكان فى عقله الباطن شك مقيت أن هذا الطفل قد أتى مغتصبا موضع السيد الصغير · واعتقد أيضا أنها اساءة جسيمة أن يكون سعيدا بابن من صلبه بعد ما قد حدث لطفل سيده الصغير · وفى الحقيقة لولا أخته الأرملة التى اعتنت بالطفل الجديد ، لما كان قد عاش طويلا ·

ولكن رايتشاران بدأ يغير رأيه تدريجيا ، وفاجأه حدث عجيب فقد بدأ هذا الطفل الجديد بدوره يحبو ويعبر المدخل والعبث فى وجهه · وأظهر أيضا براعة مضحكة فى الهروب من مواطن الزلل · وكان صوته ، ورنة ضحكه ودموعه ، وايماءاته شبيهة بضحكات ودموع وايماءات السيد الصغير · وفى يوم ما عندما استمع رايتشاران الى بكائه ، بدأ قلبه فجأة يخفق فى ضلوعه ، وبدا له أن سيده الصغير السابق كان يبكى فى مكان ما فى أرض الموت المجهولة لأنه قد فقد حبيبه شان ·· نا ·

وبدأ فايلنا (وكان هذا هو الاسم الذى أعطته أخت رايتشاران للطفل الجديد) يتكلم · وتعلم أن يقول با ·· با وما ·· ما بلكنة الطفل · وعندما سمع رايتشاران هذه الأصوات المألوفة ، اتضحت الرؤية ، وأصبح الغموض يقينا · ان السيد الصغير لم يستطع البعاد عن حبيبه شان ·· نا ، ولذلك ولد من جديد فى منزله ·

وكانت الأدلة على ذلك بالنسبة لرايتشاران فوق المناقشة :

١ ـ ولد الطفل الجديد بعد وفاة سيده الصغير فورا ·

٢ ـ لم يكن فى استطاعة زوجته الانجاب وهى المتقدمة فى السن ·

٣ — مشى الطفل الجديد خطوات قصيرة ونطق با ٠٠ با وما ٠٠ ما ٠ وليس هناك أى علامة ناقصة للدلالة على قاضى المستقبل ٠

ثم تذكر رايتشاران فجاءة الاتهام الفظيع للأم ٠ وقال لنفسه فى اندهاش :

— آه ، كان قلب الأم على حق ٠ لقد عرفت أنى قد سرقت طفلها ٠

وعندما وصل لهذا الحد من التفكير ، ملأه الندم على اهماله السابق ٠

ووهب نفسه حاليا للطفل الجديد جسدا وروحا ، وأصبح تابعه المخلص ٠ وبدأ يقوم بتربيته على أنه ابن رجل ثرى ٠ واشترى له عربة لتعليم المشى ، وصدرية ساتان صفراء ، وقبعة مطرزة بالذهب ٠ وأذاب حلى زوجته المتوفاة وصنع منها أساور وخلاخيل ٠ ورفض أن يدع الطفل يلعب مع أى أحد من الجيران ٠ وأصبح هو نفسه المرافق الوحيد له ليل نهار ٠ ولما كبر الطفل ووصل مرحلة الصبا أصبح مدللا ينعم بالعناية الشديدة ويرفل فى مثل هذه البهرجة ، حتى ان أطفال القرية كانوا ينادونه ساخرين :

— يا حضرة السيد ٠

وكان الكبار ينظرون لرايشاران على أنه مجنون بالطفل بدرجة غير معقولة ٠

وأخيرا جاء الوقت الذى يذهب فيه الولد الى المدرسة فباع رايتشاران قطعة أرضه الصغيرة ، وذهب الى كالكتا ٠ وهناك اشتغل بعد صعوبة بالغة خادما ، وأرسل فايلنا الى المدرسة ٠ ولم يدخر كل ما فى وسعه ليمنح الطفل أفضل تعليم ، وأفضل ملابس ، وأفضل طعام ٠ وفى نفس الوقت ، كان يعيش هو على الكفاف ، مجرد حفنة من الأرز ، ويقول سرا :

— آه ! يا سيدى الصغير ، يا حبيبى يا سيدى الصغير ، لقد أحببتنى كثيرا والدليل على ذلك أنك عدت الى منزلى ٠ انك لن تعانى من أى اهمال أو تقاعس من ناحيتى ٠

ومرت اثنتا عشرة سنه بهذه الكيفية ، وأصبح الصبى قادرا على القراءة والكتابة بشكل جيد ٠ كان جميل المحيا ، مشرقا ، وفى صحة جيدة ٠ وكان يعطى اهتماما كبيرا لمظهره الشخصى ، ويحرص بصفة خاصة على تسريح شعره ، ويميل الى الغلو والبهرجة ، وينفق المال بسخاء ٠ ولم يستطع أبدا أن ينظر الى رايتشاران على أنه أبوه ، لأنه رغم عاطفة الأبوة سلك له سلوك الخادم ٠ وكانت هناك غلطة أخرى ، وهى أن رايتشاران احتفظ بسر عن كل الناس ، وهو أنه أبو الطفل ٠

وكان الطلاب فى السكن الداخلى ، الذى كان يقيم فيه فايلنا يضحكون من سلوك رايتشاران الريفى ، ولابد أن اعترف أن فايلنا كان يشاركهم فى هزلهم من وراء ظهر أبيه • ولكن كان جميع الطلبة يحبون الرجل المسن البرىء الحنون فى أعماق قلوبهم ، وكان فايلنا مغرما به جدا أيضا • ولكن ، كما قلت من قبل ، كان يحبه بنوع من التنازل والتعطف •

وأخذ رايتشاران يتقدم فى السن ، وكان مستخدمه يجد له باستمرار أخطاء لعدم كفاءة عمله • وكان يتضور جوعا من أجل خاطر الولد • لذلك ازداد ضعفا وهزالا ، ولم يعد يصلح للعمل • وبدأ ينسى الأمور وأصبح عقله متبلدا غبيا • ولكن مستخدمه ينتظر منه أعمال الخادم الكاملة ، ولا يطيق الاعتذارات • والمال الذى قد أحضره معه رايتشاران من بيع أرضه قد نفد • وكان الصبى يتذمر باستمرار بخصوص ملابسه ، ويطالب بمزيد من المال •

وعقد رايتشاران نيته ، وتخلى عن وضعه حيث كان يعمل كخادم ، وترك بعض النقود مع فايلنا ، وقال :

ـ لدى بعض الأعمال فى قريتى أقوم بها وسأعود على الفور •

وغادر فى الحال الى باراست حيث كان القاضى انوكول • وكانت زوجة أونوكول لا تزال كسيرة الفؤاد بحزنها ، ولم تنجب طفلا آخر •

ويوم ما ، كان أنوكول يرتاح بعد يوم طويل مرهق فى المحكمة • وكانت زوجته تقوم بشراء بعض الأعشاب ، بثمن باهظ ، من مشعوذ جوال ، يقال أنه يكفل الانجاب ويضمنه • سمع صوت تحية فى الساحة ، فخرج أنوكول ليرى من هناك • وكان رايتشاران • ورق قلب أنوكول عندما رأى خادمه القديم • وسأله كثيرا من الأسئلة ، وعرض عليه أن يعيده للخدمة • ابتسم رايتشاران ابتسامة خفيفة ، وقال مجيبا :

ـ أريد أن أحيى سيدتى •

فدخل أنوكول مع رايتشاران المنزل حيث لم تستقبله السيدة بالحفاوة التى استقبله بها سيده القديم • ولم يهتم رايتشاران بذلك ، ولكن طوى يديه ، وقال :

ـ انه ليس البادما الذى سرق طفلك • انه أنا •

فصاح انوكول :

ـ يا الهى العظيم ؟ ايه ! ماذا ، أين هو ؟

فأجـاب رايتشـاران :

ـ انه معى · سـوف أحضره بعد غد ·

وكان يوم الأحد ، ولا توجد جلسات للمحكمة · وكان الزوج والزوجة يتطلعان الى الطريق مترقبان ، ومنتظران من الصـباح الباكر لظهـور رايتشاران · وفى الساعة العاشرة ، جاء قائدا فايلنا فى يده ·

وبدون سؤال أخذت زوجة أنوكول الولد فى حضنها ، وكانت شديدة التأثير ، فأحيانا تضحك ، وأحيانا تبكى ، وتتلمسه ، وتقبل شعره وجبينه ، وتتطلع فى وجهه بشغف وعيون مشتاقة · وكان الولد حلو الطلعة جميل المنظر ويرتدى مثل ابن الأكابر · وفاض قلب انوكول بعواطف جياشه مفاجئة ·

ومع ذلك تساءل القاضى فى نفسه قائلا :

ـ هل لديك أية أدلة ؟

فقال رايتشـاران :

ـ كيف تكون هناك أية أدلة على مثل هذا العمل ؟ الله وحده يعلم أننى سرقت ابنك ، ولا أحد آخر فى العالم ·

ولما رأى انوكول مدى تعلق زوجته بالولد وشغفها به ، أدرك عبث طلب أدلة · بل ومن الأحكم التصديق · ثم ··· من أين لعجوز مثل رايتشاران أن يحصل على مثل هذا الصبى ؟ ولماذا سيخدعه خادمه المخلص مقابل لا شىء · ولكنه أضاف قائلا :

ـ ولكن ، لا يجب أن تبقى هنا يا رايتشاران ·

فقال رايتشاران فى صوت مخنوق :

ـ أين سـأذهب ياسـيدى ؟

وضـم يديه وقال :

ـ اننى عجوز · ومن سيأخذ عجوزا مثلى كخادم ؟

فقالت سـيدته :

ـ دعه يبقى · فابنى سيكون مسرورا ، ولقد غفرت له · ولكن ضمير انوكول القضائى لن يسمح له ، فقال :

ـ لا ، لا يمكن أن يغفر له ما قد عمله ·

فانحنى رايتشاران حتى الأرض وأمسك بقدمى أنوكول وصاح قائلا :

ـ سيدى ، دعنى أبقى · لست أنا الذى عملت هذا · انه الله سبحانه ·

وازداد ضمير أنوكول اضطرابا عما قبل ، عندما حاول رايتشاران وضع اللوم على عاتق الله سبحانه ، فقال :

ـ لا ، لن أسمح بهذا · لا أستطيع أن أثق فيك بعد الآن · لقد قمت بعمل غادر ·

فنهض رايتشاران على قدميه وقال :

ـ لست أنا الذى عملت ذلك ·

فسأل أنوكول :

ـ من هو اذن ؟

فأجاب رايتشاران :

ـ انه قدرى !

ولكن لا يستطيع رجل مثقف أن يعتبر هذا عذرا · وظل انوكول على عناده ·

وعندما رأى فايلنا أنه ابن للقاضى الثرى ، وليس لرايتشاران ، غضب فى البداية ، معتبرا أنه قد خدع طوال هذا الوقت فى حق مولده · ولكن لما رأى رايتشاران مكلوما فى حزنه ، قال لأبيه فى كرم :

ـ اغفر له يا أبى · حتى اذا لم تدعه يعيش معنا ، فاصرف له معاشا شهريا ·

وبعد سماع ذلك ، لم يتفوه رايتشاران بكلمة أخرى · تطلع لآخر مرة الى وجه ابنه ، ثم قام بانحناءة احترام لسيدته ، ولسيده القديم · ثم خرج ، وذاب فى عداد الناس التى لا حصر لها فى العالم ·

وفى نهاية الشهر أرسل انوكول له مبلغا من المال على قريته · ولكن المال قد عاد ثانية · لم يكن هناك أحد باسم رايتشاران ·

من الأدب الصيني

★ **الشحاذة :** The Lady Who Was A Beggar.
كاتب مجهول من القرن السابع عشر

★ **القطار الأخير** The Last Train
لاوشي Lao She.

★ **الأرملة** The Widow
لوسين Lusin

★ **دود قز الربيع** Spring silkworms
ماو تون Mao Tun

★ **احزان بحيرة أبي قردان**
The Sorrows of The Lake of Egrets.
تـوان ـ موهـونج ـ ليـانج Tuan - mu Hung - liang



الصـــين

★ العاصمة : بيكين (بيجنج) ٠

★ السكان : حوالى ١٢٠٠ مليون نسمة ٠

★ المساحة : ٩٫٥٧٢٫٩٠٠ كيلو متر مربع ٠

★ اهم المدن : شنجهاى ، تينتسين ، شن يانج ، وهان ، كانتون ، شونج كنج ، هاربن ٠

★ اللغة الرسمية : الصينية (الماندرين) ٠

★ الديانة : اللادينية : ٥٩٪ ، الاسلام ٦٪ المسيحية ٢٫٤٪

تمتد جذور الفكر الصينى الى أكثر من خمسة وعشرين قرنا وقد تأسس على أيدى فلاســفة عظام وتعاليم أخـلاقية عملية جاءت من : الكونفوشية والطاوية والبوذية : والأولى هى العدالة فى كلمة وتنسب الى حكيمها الأخلاقى كونج فوتسى الذى ارتبط الصينيون به حتى أواسط هذا القرن ٠ والطاوية وغايتها أن ينصهر الواحد فى الكل ، فالانسان ليس أكثر من لحظة فى هذه الحياة السرمدية والمعرفة تتحقق عن طريق حـدس تأملى يجسد اتحاد الانسان بالطبيعة ، والبوذية تقوم على التأمل حتى الوصول الى درجة اليوجا أو النرفانا التى تنتهى عندها اللذة والألم ٠ ولاخلاص الا بالذوبان فى السرمدية ٠

ولم يهتم الصينيون يوما بالميتافيزيقا أو بالعالم الآخر أو باية أنظمة سماوية ، لكنهم شغفوا بحب الحياة ٠٠٠ الحياة بكل ما فيها : الأغنياء والفقراء ، الصالحون والطالحون ، اللصوص والقادة والملوك والصعاليك ٠٠٠ قوس قزح الساطع والقمر الشاحب والصور المنعكسة للقناطر فى البحيرات ٠٠٠ زهور اللوتس ، والشاى ونكهته ، والحرير وملمسه ، والعطور وشذاها ، والنساء الرشيقات ، والطعام الشهى ، والمراكب التى يداعب أشرعتها النسيم وهى تنزلق على صفحة الماء ٠٠٠

ونادى كونفوشيوس (٥٥١ ـ ٤٧٩ ق م) فى عهد الاقطاع بالاخلاق العملية ، وترك للبشرية خمسة مجلدات تعرف فى الصين بالملوك

الخمسة ، ولم يكن هو الذى ألف هذه الكتب . كل ما فعله أنه نقل حكمة الماضى التى لا تبارى الى الأجيال ، والتى ظل فكر الصين وثقافتها متأثرا بها حتى اليـوم .

ويتناول الروائيون فى الصين الحياة اليومية بكل ما تنطوى عليه من علاقات طيبة ، وولائم ، وثرثرة الصبيات الصغيرات،والسحب القاتمة على وجه القمر ، والبط البرى وهو يشق طريقه فى الماء ... والحفلات العائلية ، والزواج ، والمواليد ، والأبناء المخلصين ، وزوجات الأبناء المطيعات انهم يكتبون عن الجمال الأخاذ للحياة بمباهجها ومآسيها ، ولم يكن لدى الصينين وقت أو ميل للاهتمام بأمور كالخلود ، والحياة بعد الموت . لذلك نجد كونفوشيوس لم يخلق مذهبا فلسفيا ، بل أسس مدرسة للتفكير الواضح ، كما ركز اهتمامه على ارساء القواعد لسلوك الأفراد والحكومات . وآمن بأن السلوك المهذب للفرد هو المفتاح لعالم منظم ، وحياة هادئة مطمئنة . وعندما سئل :

- هل من كلمة واحدة يمكن أن تكون مرشدا عمليا للفرد طيلة حيـاته ؟

أجـاب :

- التكافل .

بمعنى « الدين المعاملة » ويقصد هنا تحقيق العلاقات الطيبة والتوافق التام بين جميع الناس .

وعندما سأله أحـدهم :

- ما تعقيبك على القول بضرورة مقابلة الشر بالخير ؟

أجـاب :

- فى هذه الحالة بماذا يقابل الانسان الخير ؟ قابل الشر بالعدل والخير بالخـــير .

ويأتى لاوتسى - « المعلم العجوز » ، ويقول :

- من واجبنا أن نعيش متواضعين ناكرين ذواتنا ، نحب الأرض قانعين بالتأمل الهادىء فى الطبيعة .

ان التمسك بالصبر وبالتسليم والخضوع لهذه القوة المستمدة من فكرة « انتظر لترى » ... هى التى سيطرت على أسلوب الحياة فى الصين ، بل فى حضارات الشرق الأقصى بصفة عامة . ان سر السعادة الدائمة يكمن فى نواميس الطبيعة ، والسير فى هدوء فى سبيل الأرض الهادئـــة .

وشيدت الصين أكبر أمة فى العالم ، أضخم سور على وجه الدنيا ٠ فأبعاد هذا الثعبان الحجرى مذهلة ، وتشعباته معقدة محيرة ، ومنظره وهو يخترق الجبال فى أعلى قممها يوحى بالوحشية والغرابة ، وتشق أبراجه (٤٠ ألف برج) عنان السماء ، ثم لا تلبث أن تهوى فجأة من هذا الشموخ الى سهول مهجورة تلفحها الرياح العاتية ، وتنحدر الى الأعماق السحيقة التى تسمع فيها صوت السكون ٠ ولو وضع السور العظيم فى خط واحد لأحاط بالكرة الأرضية عند خط الاستواء ٠

وتاريخ الصين رائع فى الواقع ، لأنه يجمع بصورة لا مثيل لها بين العظمة ، والشعر ، والمرح ٠ وعندما ارتقى أباطرة تانج عرش الصين (٦١٨ـ ٩٠٦) ، شهدت البلاد ، عصر ثقافة رفيعة ، وازدهار للشعر والشعراء ٠ فمن بين الأعمال الأدبية الرائعة التى تمت فيه : النسـخة المشروحة الضـخمة لمؤلفات كونفوشيوس ، الى جانب ٤٨٩٠٠ قصـيدة شعرية ، كما ظهر فى البلاد ١٢٣٠٠ من فحول الشعراء ٠ ووفد رهبان بوذا من الهند ، ودعاة الاسلام من الجزيرة العربية ، والمبشرون من ايران ، والمسيحيون النسطوريون من أواسط آسيا ، وظهر لى تاى بو ، أعظم شعراء الصين : « القمة الشاهقة التى تحلق فوق عشرة آلاف جبل وتل » ٠

ولقد ظلت فنون الكتابة والرسم تتطور جنبا الى جنب أكثر من ثلاثة آلاف عام فكان أروع ما حققوه من نجاح فى وصف الطبيعة بمناظرها الخـــلابة ٠

وكانت بكين مدينة لا تضارع فى زمانها ، وفى عهد الامبراطور يونج لو ، ثالث حاكم فى أسرة مينج (القرن الخامس عشر الميلادى) شيدت القصور التى فاقت فخامتها كل مبانى عصره ، والتى تتضاءل أروع قصور أوربا أمام عظمة التصميم الجرىء الرائع لها ٠ كما أقام المعابد والمذابح وأنشأ الحدائق والبحيرات ٠ وفى عام ١٢٧٩ ، أقامت الصين فى بكين أعظم مرصد لعلم الفلك ٠

والصين فى ثورة يمتد تاريخها الى خمسين قرنا من الزمان ، وهى مثال خارق لشعب يعيش وحدة الأرض على مر الزمن ، فهى لم تتشدق بالماضى ، ولم تحلم بالمستقبل ، بل عاشت على النقيض من أية دولة أخرى ، من أجل الحاضر بحكمة مكنتها من التغلب على مشاكلها جميعا ، وبصبر لا ينفد ٠ لقد خسرت آلاف من المعارك ، دون أن تمضى فى القتال حتى نهايته المريرة ٠ فحيوية الصين البالغة ، وقدراتها الهائلة على الاحتمال ، وغريزتها الفطرية التى تمكنها من الوصول الى الحلول الوسط ، وجنوحها الى الشك ، وقدرتها على التكيف هى جميعها من سماتها الراسخة الأكيدة ٠

الشحاذة (١)

كاتب مجهول من القرن السابع عشر

الفروع في ذلك الجانب من الســور
والازهار المائسة في هذا الجانب
تميل الى الأرض
تتلاعب بها الانســام المارة
لعل الفروع عارية ، لكنها ستطرح مزيدا من الازهار ···

أما الورود الهائمة
فقد لا تعود أبدا الى الأشــجار

هذه هي « اغنية الزوجة المنبوذة » لشاعر سالف الزمان · انها تشبه وضع الزوجة بالزهرة على فرع الشجرة : فالفرع قد يتجرد من الزهر ولكنه سيزدهر مرة أخرى في الربيع ، أما الزهرة التي تترك الفرع فلا تعود اليه قط ·

أيتها السيدات اذا كنتن ستنصتن لي ، فلتخدم كل واحــدة منكن زوجها قدر استطاعتها ولتتقاسم معه الفرح والترح وتتبعه الى النهاية · اما اذا كنتن تنوين ادخار التــوبة والنــدم للمستقبل فلا تزدرين الفقر ولا تطمعن في الثروة ولا تدعن عواطفكن تضلكن ·

فلاقصص عليكن نبأ رجل الدولة المشهور في عهد اسرة هان (٢) الذي تركته زوجته أيام ان كان مغمورا لأنها « لم تبصر جبل تاي رغم أن لها عينين » (٣) ، وندمت وقت لا ينفع الندم · تسألن من كان الرجل ومن أين أتى ؟

---

(١) عن الترجمة الانجليزية لسيريل بيرتش ·
(٢) اسرة هان من ٢٠٦ ق·م الى ٢٢٠ م ·
(٣) تقول الأساطير الصينية ان جبل تاي هو مصدر الحياة ، أي أنه يحكم القدر والمصير ، والمؤلف يريد أن يقول ان الزوجة فشلت في ادراك قدرات زوجها ·

حسن ، كان اسمه تشوماى تشن ، ويلقب باسم ونج-تزو ، وهو من منطقة هوى تشى فى الجنوب الشرقى ، ومن أسرة فقيرة · وكان يعيش هو وزوجته وحدهما فى كوخ متداع فى أحد الأزقة الحقيرة ·· وكان يذهب كل يوم الى التلال ليقطع الحطب ويبيعه فى السوق بنقود قليلة يستعين بها على مواصلة الحياة ، ولكنه كان مولعا بالاطلاع والكتاب لا يفارق يديه ، حتى حينما ينحنى ظهره تحت حمل حزمة الحطب ، وكان يقرأه بصوت مرتفع ويلوك الجمل فى فمه متغنيا به أثناء سيره ·

واعتاد سكان البلدة على أمره فكانوا اذا سمعوه يترنم بكلمات أسرعوا جميعا واشتروا حطبه اشفاقا على فقره ، ولم يكن هو يساوم قط ، لكن كان يأخذ ببساطة ما تريد أن تعطيه له · لذلك لم يكن يجد صعوبة فى بيع حطبه · لكن كانت هناك دائما جماعات من العاطلين والمتسكعين فى الشوارع متأهبة للسخرية منه عندما يأتى مترنما بروائع الآداب وهو يئن من ثقل الحطب فوق ظهره ·

لكنه لم يكن يلقى اليهم بالا أبدا · وذات يوم خرجت زوجته لجلب الماء فرأتهم وهم يسخرون منه فشعرت بالخزى · وعندما عاد الى البيت بدأت تلومه وتعنفه :

- اذا كنت تريد الدراسة ، فلتتك بيع الحطب ، واذا كنت تريد بيع الحطب فلتترك الدراسة للآخرين · فعندما يصل رجل الى سنك وهو فى كامل قواه العقلية ويتصرف على هذا النحو ، ويدع الأطفال يسخرون منه ، فانه لما يدعو الى العجب ، ألا تموت من الخجل ·

فأجابهـــا :

- اننى أبيع الحطب لننجو من العوز والفاقة ، وادرس لاكسب ثراء وقيمة - فلا يوجد تناقض فى ذلك ، وليضحك من يضحك ·

ولكن زوجته سخرت منه وقالت :

- ان كنت تنشد الثراء والجاه فلتترك بيع الحطب · فمن سمع بحطاب أصبح من العظماء ؟

- الثراء والفقر ، الشهرة وخمول الذكر كل له وقته · لقد أخبرنى عراف ان ارتقائى قد يبدأ عندما اتخطى الخمسين · انهم يقولون لا تقس ماء المحيط بكأس ·· فلا تحاولى ان تقيسى عقلى أو تزنيه بمقياسك ·

- ويا له من عراف ·· لقد عرف مدى سذاجتك واجتهادك فى ان

تجعل من نفسك اضحوكة للآخرين وكان من الأولى بك الا تعره انتباها ٠ فعندما تبلغ الخمسين ستكون كما انت حمالا للحطب ٠ وسيظل الجوع نصيبك فى الحياة ٠ انك لن تكون عظيما الا اذا كان ملك الجحيم يريد قاض آخر فى بلاطه ويحتفظ بالمنصب خاليا لك ٠٠

فأجاب ماى_تشن :

_ لقد ظل تشيانج تاى _ كونج يصيد السمك فى نهر ويى حتى بلغ الثمانين ، لكن الملك وين تشو عرف قدره واصطحبه فى عربته وشرفه فجعله مستشارا له وكونج سن هونج ، رئيس وزراء الأسرة الحالية ظل يرعى الخنازير بجانب المحيط حتى سن التاسعة والخمسين عندما قدمه القدر للامبراطور الحالى الذى جعله جنرالا ومنحه القاب النبالة ٠ واذا بدأت انا فى سن الخمسين فسوف ابدأ فى سن أكبر قليلا من « كان لو »(٤) بقليل ، فعليك بالانتظار والتذرع بالصبر ٠٠٠

فقالت الزوجـة :

_ لا داع لنبش التاريخ والتنقيب فيه ان صيادك وراعى خنازيرك كانا كاملى الموهبة والمعرفة فأين أنت منهما ؟ أما أنت فستظل كما أنت حتى وان بلغت المائة مادمت عاكفا على تلك الكتب عديمة النفع ٠ اهناك أمل فيك ؟ لقد كان من سوء حظى أن تزوجتك ، والآن ، يتبعك الأطفال ويهزأون بك _ لقد لوثت سمعتى أنا أيضا ٠ واذا لم تسمع نصحى وتلقى بهذه الكتب بعيدا لن أظل معك ، ولنفترق ٠ فقال ماى تشن :

_ اننى الآن فى الثالثة والاربعين أى اننى بعد سبع سنوات سأغدو فى الخمسين٠لقد فات الكثير وما بقى سوى القليل٠وما عليك الا الصبر٠٠ واذا هجرتنى هكذا فسوف تندمين فى الغد ٠

فردت الزوجـة قائلة :

_ ان الحطابين « على قفا من يشيل » ومثل « الهم على القلب » ، فما الذى سأندم عليه ؟ واذا بقيت معك سبع سنوات أخرى فسيجدون جثتك وجثتنى على قارعة الطريق من شدة الجوع ٠ وستحسب لك لا عليك لو سرحتنى الآن لأنك ستنقذ حياتى ٠

ادرك تشن ان زوجته قد وطدت العزم على تركه ٠ وهكذا قال وهو يتنهـد :

_ طيب ٠٠ طيب ٠٠ ولكنى آمل ان يكون زوجك القادم أفضل منى ٠

---

(٤) احد الأبطال الشعبيين ٠

فردت الزوجة فى سـخرية :

– مهما كان فلن يكون اسوأ منك بأية حال .

ثم انحنت فى احترام ، وخرجت من المنزل فرحة مسرورة دون أن تنظر وراءهـا .

وليتخفف من وطأة حزنه ، كتب تشوماى – تشن أربعة أبيات من الشعر على جدار كوخه :

اقترن بكلب ، شـايع كلب

اقترن بديك ، شـايع ديك

انها زوجتى التى هجـرتنى ،

ولست انا الذى نبذتها .

وعندما بلغ تشو ماى تشن يوم مولده الخمسين أصدر « واتى » امبراطور أسرة هان مرسوما يستدعى فيه أهل الجدارة من الرجال لخدمة بلدهم . وذهب ماى – تشن الى العاصمة الغربية ، وسجل اسمه ، وأخذ مكانه بين هؤلاء الذين ينتظرون التعيين . وعندما علم الامبراطور بمعرفته تشوماى – تشين الوثيقة بأهل بلده عينه حاكما على ولاية هوى – تشى ، وركب فى موكب لاستلام منصبه .

ولما علم المسئولون بقرب وصول الحاكم الجديد الى ولايتهم هوى – تشى ، تحركت أعداد غفيرة من المسئولين لحفظ النظام والأمن فى الطرق . وكان من بين هؤلاء الرجال الرجل الذى تزوج من زوجته السابقة التى وقفت الى جواره تقدم له الطعام ، وكانت حافية القدمين وشعرها منكوش وملبـد .

وعندما سمعت المرأة جلبة اقتراب الوالى الجديد وحاشيته ، حاولت أن تلقى نظرة عليه ، فرأت زوجها السابق ، تشو ماى تشين ، الذى رآها هو أيضا من عربته وتعرف عليها . فاستدعاها وأقعدها فى احدى عربات حاشـيته .

وفى المقر الرسمى ، لم تعرف المرأة أين تقف من الخجل . وسجدت معترفة بأخطائها . وأمر ماى تشين باستدعاء زوجها الثانى والمثول لحضرته، الشىء الذى لم يستغرق وقتا طويلا . انبطح الرجل على الأرض ولم يتجاسر على رفع عينيه ، فانفجر ماى تشين ضاحكا :

ـ رجل مثل هذا ... لا أراه أحسن بكثير من تشو ماى تشين ؟

وظلت زوجته السابقة راكعة على الأرض وقالت لقد كان لدى البصر لا البصيرة ، ولم اقدرك حق قدرك وقالت انها تود أن تعود كعبدة أو محظية متواضعة ، حتى تخدمه الى نهاية العمر . فأمر تشو ماى تشين باحضار جردلا من الماء ورشه على الأرض . ثم قال لزوجته السابقة :

ـ ان استطاع هذا الماء المرشوش أن يعود الى الدلو ، يمكنك اذن أن تعودى الى . ولكن لأجل ذكرى أيام خطبتنا فى شبابنا سوف أهبك قطعة أرض من ضياعى تكفى لاعالتك أنت وزوجك .

وعندما تركت المرأة المقر مع زوجها الثانى ، أخذ المارة يشيرون لبعضهم البعض اليها قائلين :

ـ انها زوجة الوالى الجديد .

ومع احساسها بالخزى المفرط ، ألقت بنفسها عند عودتها للبيت فى النهر المجاور ، وأغرقت نفسها .

وبعد هذه القصة التى تروى كيف تهجر الزوجة زوجها ، فلأقص عليكن الآن قصة زوج هجر زوجته . انها حالة مشابهة لاحتقار الفقر وتملق الغنى ، على حساب العدل والرحمة .

فى عهد الامبراطور « شاوهسنج » باتت مدينة « لين ـ ان » عاصمة لأسرة سونج (١١٣١ ـ ١١٨٣) ورغم ما أصاب المدينة من رفاهية ورخاء لكن أعداد الشحاذين الغفيرة لم تنقص . وكان رئيسهم شحاذ يدعى « الماجور المتشرد » يرعى شئونهم مقابل اتاوة يومية من حصيلة عملهم . فاذا أمطرت السماء أو هطل الثلج ، ولم يجد الشحاذون مكانا يمارسون فيه عملهم ، يقوم « الماجور المتشرد » بعمل عصيدة هزيلة ويطعم منها زمرة الشحاذين كلهم وكانت أسمالهم البالية وستراتهم المهترئة فى رعايته كذلك . ومن ثم أطاعه الشحاذون جميعا طاعة عمياء ، فلا يجسر واحد منهم أن ينبس أمامه ببنت شفه كما لو كان عبدا من العبيد ، ولا يجرؤ أى منهم أن يغضبه .

وهكذا حصل « الماجور المتشرد » على دخل منتظم ، وكقاعدة كان يقرض الشحاذين مبالغ من المال وينتزع فائدة ضخمة ولولا الميسر والاسراف فى شرب الخمر ، لكان بوسعه أن ينشىء مشروعا مربحا أكثر من ذلك . ولكنه كان يعتمد على هذا فى معيشته ، ولم يفكر أبدا ، ولا للحظة واحدة ، فى تغيير مهنته ولم يكن هناك الا عيب واحد فقط : فالماجور المتشرد لا يحمل سمعة طيبة . فبالرغم من أنه امتلك أراضى من مجهوداته ، وأن أسرته

عاشت فى رخاء لأجيال ، لكنه مازال رئيس الشحاذين ، ولا يقارن بالناس العاديين المحترمين · ولا أحد يحييه باحترام اذا ظهر خارج بيته ، لذا لم يكن أمامه الا أن يغلق على نفسه باب بيته ويلعب دور الرجل العظيم فى داخله ، ولا يستثنى من ذلك سوى المومسات ، والممثلين ومقاولى الأنفار والجنود ، ولا ندرج بينهم ، بالطبع ، الشحاذين ··· لأن العيب فى الشحاذين ليس ما بهم ــ من جراح وأوجاع ، بل افلاسهم · فهناك رجال مثل الوزير واتزوهو ، فى عهد تشون ــ تشيو الذى كان يلعب على مزماره ، فرارا من الاضطهاد ، ويشحذ طعامه فى السوق ، أو تشنج يوان ــ هو فى عهد تانج ، الذى كان يغنى أغنية الشحاذين ، ولكنه كون ثروة ومكانة رفيعة ، فيما بعد وغطى سريره بقماش مطرز بخيوط الحرير والذهب · هؤلاء كانوا رجالا عظاما ، رغم أنهم شحاذون · وقد ننظر للشحاذين نظرة ازدراء ، ولكننا لا يجب أن نقارنهم بالمومسات والممثلين وجامعى العمالة والجنــدية ·

دعونا لا نتمادى فى الاستطراد ، ونعود لنحكى أنه كان يوجد فى يوم من الأيام فى مدينة هانجتشو « ماجور متشرد » يدعى تشن لاو ــ تا · وعلى مدى سبعة أجيال طور أسلافه المهنة وحولوها الى عمل عائلى كامل ، وهكذا كان تشن لاو ــ تا يأكل أحسن الطعام ويرتدى أفخر الثيــاب ويعيش فى منزل فاخر ، ويزرع أرضا · وكانت مخازنه تذخر بالحبوب ، ومحفظته متخمة بالمال · وكان يقدم القروض ويحتفظ بالخدم والحشم · واذا لم يكن أغنى الناس ، فهو بالتأكيد واحد من الأثرياء · ولما كانت له تطلعات اجتماعية ، قرر أن يتخلى عن مركز « الماجور المتشرد » هذا ، ويسلمه لأحــد أقربائه تشــير « الوضيع » ، ليتمتع بثروته ويتجنب الشــحاذين ·

ولكن لسوء الحظ ، أن الجيران قد اعتادوا على الحديث عن « عائلة الماجور المتشرد » ، وظل الاسم ملتصقا به بالرغم من كل مجهوداته ·

كان تشن لاو ــ تا فوق الخمسين · وقد فقد زوجته ولم يكن له ولد ، ولكن بنتا وحيدة فقط ، وكان اسمها مرمر · وكانت مرمر جميلة ، كما يخبرنا عنها هذا النظم :

صفاؤها لا يقارن بالمرمــر
جمالها تخجــل منه الزهــور
فيهــا زينة القصـــور
انهــا تشــانج لى ــ هاو (٥) اخــرى

---

(٥) تشانج لى ــ هاو · هى محظية مشهورة بجمالها وحكمتها ·

وجعـل لاو ـ تا من ابنته جوهـــرة ، وعلمها منـذ الصغر القراءة والكتابة • وأتقنت عند بلوغها الخامسة عشرة الكتابة نثرا وشعرا ، كما كانت بارعة ، فى نفس الوقت ، فى المهارات النسائية ، وفى العزف على الهارب والفلوت : وكل شىء كانت تقوم به يفصح عن مهارتها • ودفع جمالها وموهبتها تشن لاو ـتا فى أن يبحث لها عن زوج من بين طبقة العلماء والمثقفين • ولكن الحقيقة كانت توجـد صعوبة فى العثور على زوج من العائلات ذات الاسم والمكانة السامية يقبل بالزواج من ابنة « ماجـور متشرد » • ومن ناحية أخرى لم يرغب لاو ـتا فى السعى الى الاقتران مع الحرفيين البسطاء غير الطموحين • وهكذا ، وصلت الفتاة الى سن السابعة عشرة دون زواج ، بينما أبوها متذبذب فى الرأى •

وفى أحد الأيام ، جاء رجل مسن من الجيران بخبر عن طالب اسمه موتشى ، كان يعيش تحت جسر تاى ـ بنج • كان فتى مثقفا فى التاسعة عشرة ، ولكنه لم يتزوج لأنه كان فقيرا يتيما • وعندما أنهى دراسته طمح فى الزواج من فتاة يجد عند أسرتها سكنا • وقال الجار :

ـ ان هذا الشاب يناسب ابنتك ، فلم لا تأخذه زوجا لها ؟

فقال تشين لاو ـتا :

ـ اذن قم بدور الوساطة ، خدمة لى •

وخرج الرجل المسن فى مهمته الى جسر تاى بنج مباشرة • وبحث هناك عن موتشى ، الذى قال له :

ـ هناك أمر أريد أن أسعد بافضائه اليك : أن أسلاف تشين لاو ـتا كانوا يتخذون حرفة « الماجور المتشرد » مهنة لهم • ولكن هـذا منذ زمن مضى : وابنته ، فتاة جميلة ، فوق ذلك • فيالها من عائلة ناجحة ثرية ! فكر فى الأمر ، فاذا لم يكن لديك مانع ، سوف آخذ على عاتقى أن ارتب العملية كلها فورا •

وقبل أن يعطى موتشى اجابته ، قلب الأمر فى داخله مفكرا :

ـ اننى لست متيسر الحال سواء فى الملبس أو المآكل ، ولست بالتأكيد فى وضع يسمح لى بالزواج بالطريقة العادية • لماذا لا أستفيد من هذا العرض ، وأتزوج من هذه العائلة ؟ انه كضرب عصفورين بحجر ، ولن التفت لأى سخرية •

والتفت الى الرجل المسن وقال :

ـ ياعمى ، ان ما تعرضه ليبدو فكرة مدهشة • ولكنى فقير ولا أملك ثمن شراء الهدايا العادية • فماذا تقترح ؟

فاجاب الرجل المسـن :

ـ وافق أنت وما عليك الا أن تترك الباقى على ·

وهكذا عاد ليبلغ تشين لاو ـ تا ، واختاروا يوما ميمونا ، وتكفلت عائلة تشين بكل شيء ، حتى ملابس العريس موتشى التى كان يرتديها فى حفلة الزفاف ·

وعندما دخل موتشى العائلة وانتهى الاحتفال ، وجد أن جمال مرمر ومواهبها تفوق أقصى آماله ·

وأصبحت هذه الفتاة الكاملة زوجته دون أن تكلفه حتى مليما واحدا ! ونعم بوفرة الطعام والثياب ونال كل ما كان يتمناه · حتى السخرية التى كان يخشاها من أصدقائه قد توقفت ، فالجميع راغبون فى التماس العذر لـموتشى ·

وعندما مضى شهر على زواجهما أقام تشين لاو ـ تا مأدبة فاخرة استطاع زوج ابنته أن يدعو اليها اصدقاءه الجامعيين ، وهكذا رفع من كرامة المنزل · واستمر الحفل أسبوعا · ولكن الأمر الذى لم يتوقعه أحد أن يضيق تشين « الوضيع » بهذا ، ويقول فى نفسه :

ـ انك « ماجور متشرد » مثلى تماما · الأمر الوحيد هو أنك اكتنزت المال سنوات وسنوات · ولكن اذا جئنا للأسلاف ، أليس أسلافك هم نفس أسلافى ؟ وعندما تتزوج قريبتى أتوقع أن تدعوننى لشرب نخبها ··· هاهم ضيوف كثيرون يشربون لمدة أسبوع احتفالا بنهاية الشهر الأول ، وأنا لم استلم بطاقة دعوة صغيرة · من هو زوج ابنتك هذا ؟ ··· انه جامعى متعلم أعرف ذلك ، ولكنه ليس برجل أعمال أو وزيرا ! ألست أنا عما للفتاة ، ولى مقعد فى حفلكم هذا ؟

واستمر قائـلا :

ـ طيب ·· طيب ، اذا كانوا هم على استعداد لان يتجاهلوا وجودى ، فسأذهب وانكد عليهم قليلا ، وأرى ان كان هذا يرضيهم ·

وعلى ذلك نادى خمسين أو ستين شحاذا وأخذهم الى منزل تشين لاو ـ تا ·· ويأله من منظر ···

قبعات رثة تآكلت زهـراتها
وقمصـان صرت على الأجسـاد
وخـرق قديمـة
وأعواد بامبو ·· وأكواز مكسرة

يصيحون : « أبى » ، « أمى » ، « يامحســـنين »

ياله من صــخب أمام البــوابة !

أفاع تتلوى وكلاب تنبح وقردة تتقافز

ما أشــد مكرهــم

انهم ينشــدون « يانج هوا » (٦)

فيصمون الآذان بصخبهم ، وتقرقع أقدامهم على البلاط ووجوههم مكسوة بالطباشير (٧)

فتؤذى العيــون

شرذمة من الغــوغاء لا قبل لأحد بها

حتى تشــونج كــوى (٨)

وعندما سمع شين لاو_تا الضجة التى قاموا بها ، فتح البوابة ، حيث شاهد جمهرة الشحاذين كلها والوضيع على رأسهم يندفعون بقوة الى الداخل ، ويحيلون المنزل الى فوضى . وأسرع الوضيع ملقيا بنفسه على أحد المقاعد ، وانتزع أفخر اللحوم والمشروبات ، وبدأ يزدرد الطعام ازدرادا وهو ينادى على العروسين السعيدين ليأتيا ويقدما فروض الاحترام أمام عمهمـا .

وروع أصدقاء العريس من الجامعيين ، حتى انهم تخلوا عن أماكنهم فى الحال وولوا هاربين ، ولحق بهم موتشى . كان تشين لاو_تا فى أسوأ حالاته ، وتوسل المرة تلو الأخرى قائلا :

_ ان زوج ابنتى هو المضيف اليوم ، وهذا الحفل لا يخصنى أنا . تعال فى يوم آخر ، وسأقدم لك كل ما تشتهى ، ونتبادل الحديث سويا .

وقام بتوزيع المال بين فرقة الشحاذين ، وأحضر جرتين من النبيذ الفاخر وبعض الدجاج والأوز الحى ، داعيا الشحاذين الى حفل خاص بهم فى منزل الوضيع ، ولكنهم لم ينصرفوا الا بعد لأى . وظلت مرمر فى غرفتها تبكى من الخجل والغضب .

وبقى موتشى فى تلك الليلة فى منزل صديق له ، لم يرجع الا فى الصباح . وعند رؤية زوج ابنته ، أحس تشن لاو _ تا بالخزى الشديد

(٦) يانج هوا : نداء الشحاذين فى الصين القديمة .
(٧) طلاء الطباشير يوحى بالوهن والجوع وهى حيلة كان يلجأ لها الشحاذون .
(٨) قاتل الشياطين فى الأساطير الصينية القديمة .

لما حدث ، واعترى وجهه علامات الخجل · كان موتشى يشعر بالاستياء الشديد بالطبع · ولكن لم يكن أى منهما تواق لقول كلما · حقا :

عندما يتذوق الأبكم مرارة خشب شجرة الفلين

فلابد أن يبتلع قرفة مع دوائه ·

ولنعد الى مرمر ، ولنر كيف تصرفت بعد أن لحق العار باسم أسرتها ، لقد أحست بالقلق على مستقبل زوجها فحثته على الانكباب على الدراسة · لم تتذمر أبدا من ثمن الأعمال الكلاسيكية والمعاصرة ، التى كانت تشتريها له ، ولا من نفقات ومصاريف الدروس الخاصة التى حصل عليها ، بل عملت أيضا على توفير التسلية لزوجها وكل ما يوسع دائرة معارفه ، مما ساهم فى ذيوع صيته يوما بعد يوم حتى نال درجتى الماجستير والدكتوراه ، وأخيرا جاء اليوم الذى جرى فيه الاحتفال بالخريجين وهم يرتدون الملابس الرسمية والقبعات السوداء ، وبعد الاحتفال استقل محفته وقفل عائدا الى بيت حماه · ولكن خرجت عليه فى الطريق جمهرة من أولاد الشوارع الأشرار ، يلوحون ويصرخون :

– انظر الى زوج ابنة « الماجور المتشرد » ! انه موظف الآن !

وسمعهم موتشى من موضعه المرتفع ولكنه لم يحرك ساكنا للحفاظ على وقاره · ولم يكن أمامه الا أن يتذرع بالصبر ويراعى الأدب فى تحيته لحماه ، رغم أن نفسه كانت متأججة بالغضب ، وقال لنفسه :

– كنت أعرف أنى سوف أنول هذا المراد ، ولكنى خشيت الا ترضى بى ، أى أسرة نبيلة أو بارزة ، زوجا لابنتهم ، هكذا تزوجت ابنة « الماجور المتشرد » · انها وصمة العمر ، بدون جدال · حتى أبنائى وبناتى سيكونوا أحفادا للماجور المتشرد ، وسأكون أنا موضع سخرية واضحوكة بين الرجال ! ولكن كل شىء تم الآن · علاوة على ذلك ، فان زوجتى حكيمة وفاضلة ، ومن المستحيل أن أطلقها لأى سبب من الأسباب السبعة (٩) · تزوج على عجل ، واندم على مهل ··· انه مثل حقيقى على كل حال !

أرغى وأزبد واضطرب عقله بمثل هذه الأفكار ، وظل يشعر بالضيق طوال اليوم وراحت مرمر تسأله عن سر هذا الضيق ، ولكنها لا تحصل على جواب ، وبقيت تجهل سبب شقائه · ولكن يا له من شخص سخيف ، موتشى هذا · الذى لا يهتم الا بنفسه ومقامه الرفيع الحالى ، لقد نسى

---

(٩) الأسباب السبعة : كان الزوج فى الصين القديمة له الحق فى طلاق زوجته لأحد الأسباب السبعة الآتية : الزنا ، الفشل فى انجاب ذكر ، عصيانها لأهل الزوج ، النكد والمضايقة ، السرقة ، الغيرة ، التقاط مرضى معد ·

أيام فقره • وذهبت مساعدة زوجته بالمال والجهد مع ثلوج السنة الماضية• يا لها من أعمال ملتوية تلك التى يقوم بها عقله •

وبعد فترة ، تعين موتشى فى وظيفة مسئول احصاء فى واوى-تشون • وأقام له حموه حفل رحيله ، وهذه المرة ، أعاقت الرهبة من الوظيفة الجديدة جماعة الشحاذين من الاغارة على الحفل •

وكانت الرحلة كلهـا من هانجتشو الى واوى-تشون فى النهر وأخذ موتشى زوجته معه ، وركبا مركبا شراعية للوصول الى مقر عمله • وبعد عدة أيام أوصلتهم رحلتهم النهرية الى دوامات وتيارات معاكسة تحت الصخرة الحجرية الملونة (١٠) ، فرسوا على الضفة الشمالية • وسطع القمر فى تلك الليلة فأحالها نهارا • ونهض موتشى الذى لم يستطع أن ينام ، وارتدى ملابسه ، وجلس فى مقدمة السفينة مستمتعا بضوء القمر • لم يكن أحد بجواره ، وأثناء جلوسه هناك مستغرقا فى التفكير فى علاقته مع « الماجور المتشرد » ، خطرت له فكرة شريرة • ان الطريقة الوحيدة أمامه للتخلص من وصمة العمر هو أن تموت زوجته وتأتى أخرى جديدة لتحل محلها • وتشكلت خطة فى ذهنه ، فدخل القمرة وأغرى مرمر بالخروج لترى القمر وهو فى قمة تألقه •

كانت مرمر مستغرقة فى النوم ، لكن موتشى كرر اغواءه لها بأن تستيقظ ، ولم تحب هى أن تعارضه • وارتدت ثوبها واتجهة خارج القمرة الى منظر القمر الساحر ، حيث رفعت رأسها لتتطلع الى لجين السماء • وأخذها موتشى على غرة وهى واقفة هكذا ، وسحبها الى مقدمة المركب ، ودفع بها الى النهر •

وبعدها أيقظ رجال المركب بكل تؤدة وهدوء ، وأمرهم أن ينطلقوا فى الحال وبأقصى سرعة ، وسيكافئهم بسخاء كلما أسرعوا • أقلع الرجال بالمركب وهم حائرون ، لكنهم جاهلون بما حدث وزادوا من سرعتها • وانتظر موتشى حتى قطعت المركب ثلاثة أميال كاملة قبل أن يرسوا ثانية، ويخبرهم بأن زوجته قد سقطت فى النهر أثناء تطلعها الى القمر • ولم تنجح أية محاولات فى انقاذها • وبذلك كافأ البحارة بثلاث أوقيات من الفضة • وفهم البحارة ما يقصده ، ولكن لم يجرؤ أحد منهم أن يفتح فمه • وقبلت الخادمة الغبية التى رافقت مرمر فى المركب قصة أن سيدتها قد سقطت فى النهر • وبكت مع زوج سيدتها قليـلا ، ثم غادرا المركب ، ولن نقول عنهما أكثر من ذلك •

---

(١٠) حسب الأسطورة ، لقد غرق الشاعر لى بو عند هذه الصخرة ، عندما غطس فى الماء لمعانقة انعكاس القمر •

اسم « الماجور المتشرد » يشقى عيشه ، فيدفعه الكبرياء ليتخلص من رفيقة عمره ولكن الرباط المقدس لا يكسر بسهولة ، وكل ما جناه هو اسم بغيض ٠

ولكن ألا توافق أنه يوجد شيء اسمه الصدفة ؟

فلقد حدث أن هسوتي ـ هو مفوض عام النقل والمواصلات « لهواى الغربية » المعين حديثا ، كان في طريقه أيضا الى مقر عمله ، وكانت مركبه راسية مقابل الصخرة الحجرية الملونة ، عندما اختفت مركب موتشى عن أبصارهم ٠ وكانت هي نفس البقعة التي قد دفع فيها موتشى بزوجته في الماء ٠ كان هسوتي ـ هو وامرأته قد فتحا النافذة ليستمتعا بضوء القمر ، ولم يناما بعد حيث كانا في حالة استرخاء مع شرابهما ٠ وفجأة تطرق الى سمعهما نحيب بشرى على ضفة النهر ٠ ومن الصوت تبينا أنها امرأة ، وفي حالة كرب واضحة ٠

فأمر هسو رجال مركبه أن يتقصوا الحقيقة في الحال ٠ وثبت بالفعل أنها امرأة وحيدة جالسة على الشاطىء ٠ فأمرهم هسو باحضارها على ظهر المركب وسألها من تكون ٠ ولم تكن المرأة سوى مرمر ، ابنة تشين ، وزوجة مسئول الاحصاء في واـوى ـ تشون ٠ وما حدث هو أنها عندما وجدت نفسها في الماء ، أصيبت بذهول شل تفكيرها ، فسلمت أمرها للموت ٠ ولكنها أحست فجأة بشيء في النهر يرفع قدميها ، بينما الأمواج تدفع بها الى الشاطىء ٠ فبذلت مرمر أقصى جهد لديها الى أن وصلت للشاطىء ، ولكنها عندما فتحت عينيها لم تجد سوى النهر الخالى ممتدا أمام عينيها ، ولا أثر لمركب مسئول الاحصاء ٠ وأدركت عندئذ ما قد حدث :

ـ لقد أثرى زوجي ونال مكانة عالية فنسى أيامه القاسية ٠ ودبر خطة لاغراق زوجته الوفية ، ليمهد الطريق لزواج أكثر منفعة ٠ لقد نجوت من الموت ولكن أين الملاذ ؟

وانخرطت في بكاء يرثى له ٠

وأمام استفسارات هسو أخذت تروى قصتها من البداية الى النهاية دون أن تخفى شيئا ، وأنهتها بنحيب طويل لا ينقطع ، مما أبكى هسو وزوجته بدورهما تأثرا ، وحاول هسوتي ـ هو أن يخفف عنها ، فقال :

ـ لا داعى لهذا الحزن كله ، واذا كنت توافقين على أن تصبحى ابنتى بالتبنى ، فسنرى ما يجب عمله من ترتيبات ٠

وقامت زوجة هسو بتغيير ملابس مرمر بالكامل ، وذهبت بها الى قمرة في مؤخرة السفينة حيث أشرفت على راحتها ٠ وأمر هسو الخدم

أن يعاملوها بكل احترام على أنها ابنته ، ومنع رجال المركب من افشاء أى شيء بهذا الخصوص • ولم تمض فترة طويلة الا ووصل لمقر عمله فى « هواى الغربية » • وتصادف أن تكون واـوى ـتشـون من بين الأماكن التى تحت نطاق امرأته وسيادته • وهكذا كان المسئول الأعلى لموتشى ، الذى ظهر مع زملائه لتحية المفوض العام الجديد • وعندما رأى هسو مسئول الاحصاء ، تنهد أسفا على شاب واعد مثله ، ينزلق الى ارتكاب مثل هذا العمل القاسى الفظيع •

ومرت عدة شهور ، خاطب بعدها هسوتى ـهو رجاله وموظفيه ، بالكلمات التالية :

ـ لى ابنة فى سن الزواج ، ذات ذكاء وجمال • وأبحث عن رجل يليق بها زوجا ، والذى أستطيع أن أدخله فى أسرتى • هل يعرف أحدكم مثل هذا الرجل ؟

لقد سمع كل موظفيه بترمل موتشى المبكر ، فأسرع الجميع بمدح براعته الفائقة وبترشيحه زوجا لابنة المفوض العام • فوافق هسو قائلا :

ـ أنا نفسى فكرت فى هذا الرجل لفترة من الوقت • ولكن شابا مثله أنهى دراسته فى مثل هذا السن الصغير لابد أن له طموحات أعلى • أنا لا أعتقد أنه على استعداد لمصاهرة عائلتى •

فأجاب الآخرون :

ـ انه من أصل متواضع • وسيكون أسعد حظا فى تحقيق رغبتك •

« ليتعلق كالنبات المتسلق بشجرة المرمر » ••• فليس هناك أدنى شك فى رغبته واستعداده التام •

فقال هسو :

ـ طالما أنكم تعتبرون الموضوع سهلا هكذا ، أود منكم أن تعرضوا الأمر على مسئول الاحصاء • ولكن قولوا له ان هذه فكرتكم أنتم لتكشفوا رد فعله • وقد تعرقلوا الموضوع لو أفشيتم رغبتى •

قبلوا ما قاله لهم المفوض العام ، وقاموا بعرض الأمر على موتشى ، معلنين أنهم يمكنهم القيام بدور الوساطة بين الطرفين • ولما كانت نية موتشى بالتحديد ، هى أن يصعد المجتمع ويبلغ أسمى المراتب ، فمصاهرته العائلية مع أحد رؤسائه الكبار ، لم تكن محل مساءلة • فأجاب وهو بالغ السرور :

– ساعتمد عليكم كلية فى اتمام هذا الأمر ، ولن أتوانى عن مكافاتكم ٠

فقالوا له :

– دع الأمر لنا ٠

وعليه قاموا بابلاغ هسو بما حدث ٠ ولكن هسو اعترض قائلا :

– ان مسئول الاحصاء راغب فى الزواج منها ، كما تقولون ، ولكن الحقيقة ان زوجتى وأنا نفسى قد شغفنا حبا بابنتنا وأنشأناها نشأة جعلتها نتوقع ألطف وأرق معاملة ٠ ولهذا السبب نريد أن تبقى معنا فى المنزل ، الذى هو منزلها ، بعد الزواج ولكنى أشك فى أن مسئول الاحصاء ، بنفاد صبر الشباب ، يتسامح فى ذلك ٠ وأى خلاف بسيط قد يظهر ، سيكون شديد الايلام على زوجتى وعلى ٠ فعليه أن يتمسك بالصبر فى كل شئ ، قبل أن أقبله صهرا فى عائلتى ٠

وحملوا هذه الكلمات الى موتشى ، الذى قبل بكل الشروط ٠

كانت ظروف مسئول الاحصاء الحالية تختلف تماما عنها أيام كان طالبا ٠ فعبر عن قبوله للخطبة بارساله الحرائر الجميلة والحلى الذهبية بوفرة بالغة ٠ وتم اختيار موعد ميمون ، وتلهف موتشى بشكل ملح لليوم الذى يصبح فيه زوج ابنة مفوض النقل والمواصلات العام ٠

ولكن دعونى أقص كيف أعطى هسوتى-هو تعليمات لزوجته لاعداد مرمر لزوجها ٠

قالت زوجة هسو لمرمر :

– لقد تأثر أبوك بالتبنى وأشفق عليك من ترملك ، ويرغب فى دعوة شاب قد حصل على شهادة الدكتوراه ليصبح زوجا لك ، ويدخل فى أسرتنا ٠ أرى ألا ترفضيه ٠

ولكن مرمر أجابت قائلة :

– انى أعى قواعد السلوك بالرغم من أنى من أسرة متواضعة ٠ وعندما أصبح موتشى زوجا لى ، أقسمت أن أظل مخلصة له كل حياتى ٠ ورغم أنه قد يكون تصرف بقسوة وتمرد على القانون ، ورغم أنه قد يكون نبذ بشكل مخلج رفيقة فقره ، فسأظل وفية مخلصة لالتزاماتى ٠ ولن أتخلى ، بأى حال من الأحوال ، عن فضيلة الطبيعة الأنثوية بالزواج مرة أخرى ٠

ومع هذه الكلمات انهمرت دموعها كالمطر · واقتنعت زوجة هسو باخلاصها ، وقررت أن تخبرها بالحقيقة ، فقالت :

ــ ان الشاب الجامعي الذى يتكلم عنه زوجي ما هو الا موتشى نفسه · ان زوجي هالته فعلته الحقيرة ، وتواق أن يراك مرتبطة به مرة أخرى ، قدمك على أنك ابنته وأخبر موظفيه أنه يبحث عن زوج لابنتـه يدخل أسرتنا · وجعلهم يبلغون موتشى ، الذى فرح فرحا شديدا بالاقتراح · وسيأتى الينا الليلة ، ولكن عندما يدخل حجرتك ، يجب عليك أن تعطيه ظهرك ····

وبعدما أن اطلعت مرمر على خطتها ، جففت الفتاة دموعها · وزينت وجهها وغيرت ثوبها ، وأخذت تستعد للاحتفال القادم ·

ومع الليل ظهر موتشى مسئول الاحصاء ، كما ينبغى على عليه القوم، بقبعة وحزام صفوة كبار الموظفين : وكان يرتدى قماشا موشى بالأحمر حليات ذهبية تزين عباءته وامتطى جوادا جميلا مطهما بسرج مزخرف ، وسارت أمامه فرقتان من قارعى الطبول والموسيقيين ·

وجاء أقرانه بأعداد غفيرة وسار فى موكب بهيج حقا ·

فى تلك الليلة زين المقر الرسمى لمفوض النقل العام بالزهور والسجاد ، ومع عزف المزامير ودقات الطبول انتظر الجميع وصول العريس · وعندما جاء مسئول الاحصاء بجواده الى البوابة نزل مترجلا ، وخرج هسوتى ـ هو لاستقباله ، وسار موتشى مباشرة الى سكنهما القاص ، حيث جاءوا بالعروس فى وشاحها الأحمر تعينها وصيفاتها من على الجانبين · وأخذهما رئيس المراسم من عند عتبة الباب لاتمام الطقوس والشعائر · وقام الخطيبان السعيدان بانحناءات احترام للسماء والأرض ، ولوالدى العروس ، وعندما انتهت الشعائر الاحتفالية ، قادوهما الى غرفة العرس لوليمة الزفاف · وكان موتشى فى هذه اللحظة فى حالة سعادة لا توصف · انه النعيم ··· بل الجنة ··· كانت روحه تحلق فى مكان ما فوق السحب · ودخل غرفة العرس ، مرفوع الهامة تغمره نشوة الانتصار ·

وما أن دخل حتى ظهرت بغتة سبع أو ثمان وصيفات صغيرات ومربيات مسنات من مخابئهن على كلا الجانبين وكل واحدة منهن مسلحة بخيزرانة خفيفة أو ثقيلة · وبدأن يضربنه بلا رحمة وبلا هوادة · فانخلعت قبعته الحريرية ، وانهمرت الضربات على كتفيه مثل المطر ، فأخذ يصرخ ويولول ، وحاول قدر استطاعته أن يفلت من هذا المطر المنهمر من لسعات الخيزران وضرباته ، لكنه لم يقدر ·

وانهار مسئول الاحصاء تحت وابل الضربات ، ليرقد مكوما فى رعب

على الأرض ، مناديا حماه وحماته لانقاذه · فسمع عندئذ ، من داخل الغرفة نفسها أمرا لطيفا صادرا من أنعم وأرق الأصوات :

ـ لا تضربنه أكثر من ذلك ، سيدنا المحترم صاحب القلب القاسى ، بل أحضرنه أمامى ·

وأخيرا توقف الضرب ، وتشبثت الوصيفات والمربيات المسنات بأذنيه وشددنه منهما ، وجررنه من ذراعيه مثل اللصوص الستة (١١) وهم يعذبون اميندا بودا (١٢) ، فى الحكاية القديمة ذات المغزى الأخلاقى، وأوقفته ، فلمست قدماه الأرض بالكاد ، ممتثلا أمام العروس ·

فتمتم مسئول الاحصاء بصوت متكسر :

ـ ما هو ذنبى ؟

ولكنه عندما فتح عينيه ، كانت تجلس العروس منتصبة مرفوعة الرأس فى مستوى أعلى منه ، اشراقة ضوء الشموع وتألقه ، لم تكن العروس الا زوجته السابقة ، مرمر ·

وبدأ عقل موتشى يدور ، وصرخ عاليا :

ـ انه شبح ! انه شبح !

فضحك الجميع ، الى أن جاء هسودى ـ هو من خارج الغرفة وخاطبه قائلا :

ـ لا تنزعج ، يا ولدى ، انه ليس شبحا ، بل ابنتى بالتبنى ، التى جاءت لى من عند الصخرة الحجرية الملونة ·

وتوقف قلب موتشى عن دقاته · وسقط على ركبتيه وأطبق يديه على صدره فى ضراعة ، وقال :

ـ أنا موتشى ، أعترف بجريمتى ، انى أتضرع اليك طالبا عفوك ·

فأجاب هسو :

ـ ان هذا ليس من شأنى ، الا اذا كان عند ابنتى ما تقوله ···

بصقت مرمر فى وجه موتشى ولعنته قائلة :

---

(١١) اللصوص الستة ، رمز للحواس الست : السمع والبصر والشم والذوق واللمس والتفكير ·

(١٢) اميندا بودا ، حامى البشرية العظيم ، بودا طائفة الماهايانا ، شكل من البوذية تطور ونشأ فى الهند متأخرا فى القرن الثانى الميلادى ، ولا يزال موجودا فى الصين واليابان حتى الآن ·

ـ أيها البائس القاسى ! ألم تفكر أبدا فى كلمات سونج هونج ؟
« لا تبتعد بعقلك عن أصدقاء فقرك ، ولا تقصى من منزلك زوجة شبابك. »
لقد جئت لعائلتى فى البداية صفر اليدين ، وبفضل مالنا استطعت أن تدرس وتدخل المجتمع ، وبدلت اسمالك ورفلت فى الثروة التى تتمتع بها الآن ومن ناحيتى ، تطلعت لليوم الذى أشاركك فيه مجدك . ولكنك ... أيها الجاحد نسيت حبنا القديم !

رددت المعروف بالاساءة وألقيتنى فى النهر لأغرق . فترفقت بى السماء وأرسلت لى منقذا ، وأصبحت ابنة لـه بالتبنى . ولكن كيف طـاوعتك نفسك أن تتخذ زوجة جديدة ... لو كنت قد غـرقت .. كيف يمكن لقلبك أن يكون بهذه القسوة ؟ والآن ، كيف أحط من قدرى وأرتبط بك ثانية ؟

وانتهى حديثها بالدموع والانتحاب ، وهى تصرخ :

ـ أيها القاسى ، أيها القاسى !

اكتسى وجه موتشى بالخجل ، ولم يجد أى كلمة يتفوه بها ، غير أنه سـجد على الأرض أمامها يلتمس الغفـران . وارتاح هسـوتىـهو لانتفاضة غضبها والتعبير عنه ، وأنهض موتشى على قدميه ، وحث مرمر بالكلمات التالية :

ـ هدئى من غضبك ، يا بنيتى . لقد تاب زوجك الآن عن جريمته ، وعلينا أن نتأكد من أنه لن يعاملك بسوء أبدا . ورغم أنكما قد تزوجتما من سنوات ، الا أنه بالنسبة لعائلتى زفاف جديد لكمـا ، فى كل شئ ، لذلك ، لتكف عن تبادل الاتهامات هنا والآن .

والتفت الى موتشى وقال :

ـ يابنى ، ان جريمتك تحملها فوق رأسك ، ولا تضع أى لوم على الآخرين . واليوم أطلب منك أن تتحلى بالتسامح ، والقدرة على الاحتمال . وسأرسل لك زوجتى لتوفق بينكما .

غادر الغرفة ، وجاءت زوجته اليهما بعد قليل . وأخذت تتوسط بينهما وتحاول اصلاح ذات البين حتى تصافى الاثنان .

وفى اليوم التالى ، أقام هسوتىـهو مأدبة لزوج ابنته الجديد ، وفى أثنائها أعاد جميع هدايا الخطبة ، من الحرائر الفاخرة والحلى الذهبية، قائلا لموتشى :

ـ ليس هناك داع أن تقبل العروس هدايا خطبتين . ولقد قدمت

مثل هذه الهدايا لعائلة تشين فى المناسبة السابقة ، ولا أستطيع أن أقبل هذا مرة أخرى الآن ٠

فأحنى موتشى رأسه ولم يقل شيئا ، واستمر هسو قائلا :

ـ أعتقد أن ضيقك بوضع حميك الاجتماعى المتدنى هو الذى وضع نهاية لحبك وكاد أن يدمر زواجك ، فما رأيك حاليا فى وضعى الاجتماعى؟ أخشى أنه دون طموحاتك ؟

احمر وجه موتشى وتحول الى اللون القرمزى ، واضطر للتراجع عدة خطوات واعترف بأخطائه ٠

ومنذ ذلك الوقت وموتشى ومرمر يعيشان سويا فى حب ووئام ٠ وعامل هسوتى-هو وزوجته مرمر كابنتهما وموتشى كزوج ابنتهما حقا ، وكانت مرمر تتصرف نحوهما وكأنهما والداها تماما ٠ حتى قلب موتشى قد حن وتعطف واستقبل تشين لاو-تا « الماجور المتشرد » ، فى مقره الرسمى ، واعتنى به حتى آخر أيامه ٠ ومع مرور الوقت ، وعند وفاة هسوتى-هو وزوجته ، ارتدت مرمر أثقل ملابس الحداد من الكتان الخشن على كل منهما جراء عطفهما عليها ، وأجيال من أحفاد مو ، وهسو تعاملوا على أنهم أبناء وبنات عمومة ولم تنقطع صداقتهما ٠



القطار الأخير [1]

لاوشى

ولد لاوشى فى عام ١٨٩٩ فى بكين ، وكتب العديد من الروايات والقصص القصيرة المشهورة بظرفها وفكاهتها ، وتمكن مؤلفها من الحس اللغوى واللهجات • وقضى بعد الوقت خارج الصين محاضرا فى معهد لندن للدراسات الشرقية •

أقلع القطار منذ فترة طويلة ، وها هى عجلاته تدمدم فى أنين حزين على طول القضبان • وأخذ الركاب يتنهدون ويعدون الساعات : الساعة السابعة ، الثامنة ، التاسعة ، العاشرة ••• على الساعة العاشرة سيصل القطار ، وسيكونون فى بيوتهم بحلول منتصف الليل • لعل الوقت ليس متأخرا ، أما الأطفال فسيكونون قد ذهبوا للنوم • انه يوم رأس السنة الجديدة ، وجميعهم يتعجلون عودتهم الى بيوتهم • ونظروا الى المعلبات ، والفاكهة واللعب المكومة فوق الأرفف ، واستطاعوا أن يسمعوا الأطفال يصيحون :

ـ بابا ، بابا !

تاهوا فى أفكارهم ، ولكن كان هناك آخرون مدركون تماما أنهم لن يكونوا فى بيوتهم قبل طلوع النهار • وأخذوا يتأملون رفقاءهم الركاب ، واكتشفوا ، لروعهم ، أنه لا يوجد فرد واحد ، يمكنهم أن يدعوا أدنى معرفة به • وعندما يصلون بيوتهم ستكون السنة الجديدة قد حلت بالفعل ! وهناك آخرون أخذوا يلعنون القطار ، بسبب تحركه البطىء جدا • وبالرغم من أنهم كانوا بأجسامهم فى عربة القطار ، يدخنون ويحتسون الشاى ، ويتثاءبون ، ويضغطون بأنوفهم على زجاج النافذة ، ولا يرون الا لجة من ظلام الخارج ، الذى يتعذر فهمه ، ولا يسبر غوره ، الا انهم لم يكونوا بعقولهم فى القطار على الاطلاق ••• لقد ذهبوا لبيوتهم

---

(١) عن الترجمة الانجليزية ل : يوان تشيا ـ هو ، وروبرت باين •

وعادوا مئات المرات ، منذ أن غادر القطار المحطة • وها هم قد أحنوا رءوسهم ، ويتثاءبون ، ويحاولون اخفاء دموعهم فى عيونهم •

لم يكن هناك ركاب كثيرون فى عربة الدرجة الثانية • فهناك السيد تشانج البدين والسيد تشايو النحيف ، وهما يجلسان فى نفس المقصورة متقابلين وعندما ينهضان ، يفردان بطانيتيهما فوق مقعديهما ليظهرا لأى دخيل بأنه غير مرغوب فيه • وعندما أقلع القطار ، وجدا لدهشتهما ، أنه يوجد عدد قليل من الركاب بالفعل ، وجعلهما هذا يشعران بالحزن أكثر من أى وقت لأنهما يسافران فى قطار فى يوم رأس السنة الجديدة • كان هناك أوجه شبه أخرى بين الراكبين : فكلاهما يحمل تذاكر مجانية ، وكلاهما لم يستطع الحصول على التذكرة حتى اليوم السابق ، ولذلك فهما يتفقان أن من يعطى التذاكر المجانية له الحق الكامل، وان كان بنية حسنة ، فى مضايقة من يمنحهم تلك التذاكر فيتركهم معلقين الى آخر لحظة ، ولكن ذلك لم يحل دون سخطهما على هذه المعاملة ، لأن الأصدقاء فى الأيام الطيبة الخوالى كانوا أصدقاء حقيقيين ولذلك هزا رأسيهما وألقيا اللوم على هؤلاء الذين يدعون بالأصدقاء والذين منعوهما من الوصول الى بيتيهما قبل يوم رأس السنة •

خلع السيد تشانج المسن معطفه المصنوع من فرو الثعلب ، وأثنى ساقيه تحت جسمه ، ولكنه اكتشف أن المقعد ضيق ولا يسمح له بجلسة مريحة بهذا الوضع • وفى هذه الأثناء ، ارتفعت درجة الحرارة فى العربة ، وبدأت قطرات العرق تتدحرج من فوق جبينه ، فصرخ قائلا :

– مناشف يا ولد !

ثم وجه كلامه للسيد تشاو قائلا :

– انى أتعجب لماذا يشغلون جهاز التدفئة بشدة هكذا فى أيامنا هذه •انها لن تكون بهذه الحرارة لو كنا مسافرين بالطائرة •

كان السيد تشياو قد خلع معطفه من فترة طويلة ، وكان يرتدى تحته ثوبا محلى بفرو غنم ومن فوقه جاكيت بلا أكمام من الساتان الأسود اللامع ، وقال :

– يستطيع المرء أن يحصل على تذكرة مجانية على الطائرة أيضا • انها ليست صعبة •

وابتسم ابتسامة باهتة ، وقال السيد تشانج :

– من الأفضل عدم المخاطرة بالسفر جوا •

وأخذ يحاول بصعوبة أن يحتفظ بساقيه معقودتين تحته ، ولكنه نجح فقط بصعوبة كبيرة ، ثم صرخ قائلا :

ـ مناشف يا ولد !

كان « الولد » فوق الأربعين ، وعنقه رفيعة مثل العصاة ، رفيعة لدرجة أن المرء يتخيل أنه من السهل أن يقتلع رأسه ثم يزرعها مرة أخرى. يمكنك أن تراه مسرعا للخلف وللأمام على طول الممر ، ويداه محملتـان بالمناشف المشبعة بالبخار ، كان خدوما شغوفا بالخدمة ، ولكنه لا يفهم لماذا تجبره الادارة على أن يعمل فى يوم مقدس مثل هذا ... عندما وصل الى المقصورة المقابلة ، وجد تسوى الصغير فراح يسرى عن نفسه بالحديث معه وقال :

ـ استمع الى هذا ! لقد كنت فى الخدمة فى اليوم السابع والعشرين والثامن والعشرين ، على أمل أن آخذ اليوم عطلة . ولكن فى آخر لحظة يأتى مستر ليو ويقول لى :

« اسمع ، سوف يكون عنـدك رحلة سريعة فى يوم رأس السـنة الجديدة » ... هذا ما يقوله لى . وهناك ستون ساع يعملون على هذا الخط، ولكنهم لا يزعجون الا اياى . اللعنة ، فأنـا لا أهتـم بيوم رأس السنة الجديدة ، ولكن هذا شىء خسيس وحقير ! وعندما انتهى من كلامـه ، مد عنقه فى اتجاه السيد تشانج البدين ، ولكنه ظل فى مكانه ، وفك المناشف الملفوفة ، وقدم واحدة منها الى تسوى الصغير قائلا :

ـ تفضل واحدة .

ومضى مستمرا فى شكواه :

ـ لقد قلت للسيد ليو أننى لا أهتم بيوم رأس السنة ، ولكنه يجب أن يفهم أنه كان دورى فى يوم الراحة . وقلت له اننى عملت السنة كلها، ويجب أن أحصل على يوم راحة . وازدرد شيئا ما فى حلقه ، فبرزت منه تفاحة آدم مثل الفقاعات فى الماء عندما تنقلب قنينة رأسا على عقب فجأة . فاختنق لدرجة أنه لم يقدر على الكلام للحظات ، ثم قال وهو يزدرد ريقه :

ـ لقد سئمت الدنيا ... وكل شىء باطل هذه الأيام .

وارتسمت على وجـه تسـوى الصـغير الأصفر الشـاحب شىء يشبه الابتسامة . أراد أن يميـل رأسه قليـلا ليظهر تعاطفـه ، ولكن لسبب ما وجد نفسه ، غير قادر على فعل هذا . كان لديه صعوباته الخاصة . كل شخص فى السكة الحديد يعرفه ... حتى رجال المحطة وسائقو القطار . كانوا أصدقاءه كلهم . كان وجهه الأصفر الشاحب مساو لتذكرة

درجة ثانية : لا تجرؤ وزارة المواصلات نفسها أن تشكك فى صلاحيتها ٠ وكل شخص يعرف أنه يسافر دائما ومعه مائة أو مائتين أوقية أفيون فى أمتعته ، وكل شخص يسلم بأنه مخول لعمل ذلك ٠ وفى نفس الوقت ، كان تسوى الصغير حريصا على ألا يرغم أحدا ، ولا يتحيز فى التوزيع على حساب مصلحته ، خوفا من أن يثير غيرة الناس ٠ وكان يفهم أحزانهم تماما ، ويرغب فى اظهار تعاطفه ومشاركته الوجدانية ٠ ولأنه لم يسىء لأحد ، فهو لا يخشى أحدا ، وهذه هى الحكمة العليا للحياة ، التى يمكن قراءتها على تذكرته ٠٠٠ أو بالأحرى ، على وجهه ٠ وتذمر قائلا :

ــ كلنا مشغولون ، وفى غاية الانشغال ٠ قال ذلك على أمل أن سرد مشاكله قد يريح « الولد » بعض الشىء ٠ واستمر قائلا انه كان عليه أن يقوم بهذه الرحلة مرغما تماما ، وأنه يفضل كثيرا أن يبقى مرتاحا فى البيت ، ولكنه فى اليوم التالى مباشرة كان عليه أن يقابل فتاة مصاصة دماء قد تسلبه كل ماله ٠ وابتسم ، مبديا أسنانا سوداء ، ثم نفخ وجنتيه ، وبصق على الأرض ٠

وبدأ ما قاله يؤثر على « الولد » ، الذى ظهر أنه تناسى أحزانه وأخذ يومىء برأسه وكأنه يقدر الظروف وبدأت المناشف تبرد فى يده ، لذا عاد الى حجرته وأعاد نقعها فى الماء ٠ وعندما طلع ، مر على تسوى الصغير بدون أن يتفوه بكلمة ، وبدون أن يتطلع اليه ، مغلقا عينيه بوهن وكأنه يريد أن يقول أنه لم ينس ما أصابه بالرغم من تعزية تسوى الصغير ومواساته٠ وتأرجح جسده مع حركة القطار المهتزة ، ومال بجسده نحو الراكب السيد كوا ، قائلا :

ــ أتريد منشفة ياسيدى ؟ انها تحاول السفر فى هذا الوقت من السنة ٠

كان يود أن ينفس عن أحاسيسه لمستمع جديد ، ولكن لأنه لا يعرف السيد كوا ، مر على أوجاعه مرور الكرام منفسا عنها بطريقة غير مباشرة ٠

كان السيد كوا يرتدى ملابس فاخرة فهو يرتدى معطفا من الصوف الغامق الثمين له ياقة من فراء القندس ، وقبعة من الحرير سوداء على شكل الشمامة ٠ ولم يخلع معطفه ولا قبعته ، وتيبس فى جلسته كما لو كان رئيسا فوق منصة ينتظر فى وقار اللحظة التى سيخاطب فيها جمهورا غفيرا ٠ أخذ المنشفة ، وفرد زراعه الى أقصى حد ممكن ، آخذ فى الاعتبار ألا يثنى كوعه ، ورسم نصف دائرة بالمنشفة الى أن وصلت الى وجهه ٠ عندئذ دلك وجهه بشكل شديد الحساسية وملفت للأنظار ٠ وعندما برز وجهه من سحب المنشفة الدوارة ، لمع وتألق وأكسب شخصه بهاء مستجدا ووقارا نيرا ٠ وأومأ للنادل ، دون أن يبدى أسباب سفره فى يوم رأس السنة الجديدة ٠

فقال النادل :

ـ انه لشيء سيىء ٠٠٠ أن تكون قائما على خدمة الزبائن فى قطار ٠

قالها محجما عن أن يدع السيد كوا يأخذ راحته بهذا الشكل ٠ فهو يعرف أنه ليس من المستحسن تكرار ما قد قاله لتسوى الصغير ٠ فمن الضرورى التكلم بترو مدروس ليبدو وقورا وحميما ، فاستمر قائلا :

ـ الناس لابد وأن ترتــاح فى يوم رأس السنة الجديــدة ٠ ولكن لا راحة لنا ٠ ولا نستطيع أن نفعــل شيئا ٠ وبعدمـا استرد المنشفـة المستعملة ، قال :

ـ واحدة أخرى ياسيدى ؟

فهز السيد كوا رأسه ٠ كان من الواضح الأن أنه قد تأثر بمحنة النادل ، ولكنه لا يرغب فى الدخول فى أى محادثة ٠ وكل فرد على الخط يعرف أنه صديق المدير ، ومن امتيازاته أنه يتمتع بالركوب مجانا فى عربة الدرجة الثانية فى أى وقت يشاء ٠ وما كان عليه الا ابراز بطاقته الشخصية ، دون الدخول مع النــادل فى محادثات جانبيــة بلا منهــج أو هدف ٠

كان النادل فى حيرة ، أثناء ذلك ، لايفهم لماذا كان السيد كوا يهز رأسه ، ولكنه لم يستطيع أن يفعل شيئا ، لأنه كان يعرف تمام المعرفة أن الرجل صديق للمدير ٠ وبدأت العربة تهتز ثانية ، فدفعته حركة العربة وقذفت به بشدة فى الممر ٠ وبعد أن تماسك وثبت نفسه ، فرد منشفة وأمسك بها برقة من طرفيها وقدمها السيد تشانج قائلا :

ـ أتحب واحدة ، يا سيدى ؟

فتناولها الرجل بكفه البض من وسطها الذى يحتفظ بأعلى حرارة ٠ وضغط بها على وجهــه ، داعكا اياه بشدة وكأنه يقــوم بتنظيف مرآة وبعدها ناول واحدة أخرى للسيد تشايو ، الذى لم يبد حماسا ملحوظا ، لكنه أخذ المنشفة وبدأ ينظف منخاريه وأظافره برقة ٠ وعندما أعادها للنادل ، كانت قد أصبحت كلها زلقة وسوداء ٠

واستطرد النادل قائلا :

المفتشون على وصول الآن ٠

بدأ حديثه ، معتقدا أنه لا توجد سياسة أسوأ من تقديم حديث عن مشاكله ومحنه الشخصية ٠ وقرر الهجوم الجانبى ، فقال :

– وعند انصرافهم ، ستحتاجون للراحة ، واذا أراد أحد منكم أيها السادة وسادة ، فليعلمنى بذلك فقط ٠

ثم أضاف بعد قليل قائلا :

– يوجد مسافـرون كثيرون ، وستستطيعون جميعـا الاستمتـاع باغفاءة مريحة ٠ انه لشيء مثير للشفقة أن تقضوا ، أيها السادة ، يوما مثل هذا فى قطار ، ولكننا نحن الندل ٠٠٠٠ وتنهد مدركا أنه قد تكلم أكثر من اللازم ٠ وكان عليه أن يكتشف الى أين تهب الرياح ٠ وناول السيد تشانج منشفة أخرى ٠ ولاحظ السيد تشانج أن منشفته كانت تأخذ كثيرا من وقته ، ولكنه تذكر أنه لم يدلك شعره ، الذى كان قد حلقه منذ فترة قريبة فقط ٠ وبالرغم من صعوبة تدليك فـروة رأسه ، الا أنه عزم على القيام بهذه المحنة ، وعندما انتهى تنهد فى ارتياح ٠ ومع ذلك ، رفض السيد تشاو عرضا ثانيا ، وأخذ يسلك أسنانه برقه بأظافره المنظفة حديثا ٠

وسأل السيد تشانج ، بعدما انتهى من المنشفة وأعادها :

– ما بال نظام التدفئة هذا ؟

فأجاب النادل :

– لا أنصحك بفتح النافذة ، فستصاب بالبرد فى الأرجح ان ادارة السكة الحديد ادارة فاسدة ٠

هكذا سنحت الفرصة له ومن وسع ، فاستطرد مسرعا :

– انهم يجعلونك تعمل طوال السنة ، ولا يدعونك ترتاح فى يوم رأس السنة الجديدة ٠

وفى هذه الأثناء توقف القطار فى محطة جانبية صغيرة ٠ ونزل من عربات الدرجة الثالثة بعض المسافرين مع حقائبهم وسلالهم ، وأسرعوا فى اتجاه باب الخروج ٠ وتوقف بعض منهم مترددين ، وكأنهم يتساءلون اذا كانـوا قـد تركوا أو نسوا أى شيء فى القطـار ٠ أما الذين بقوا فى القطار ، فكانوا يضغطون أنوفهم على زجاج النافذة وينظرون من خلالها ، فتعترى وجوههم ملامح الحسد والقلق ٠ ولم يغادر القطار أحد من الدرجة الثانية ، ولكن دخل بعض الجنود المقصورة ٠ ودوت أحـذيتهم الثقيلة كالرعد على الأرض ، ولمعت أحزمتهم الجلدية فى النور ، وكانت أمتعتهم تحتوى على أربعة صناديق كبيرة من الألعاب النارية والصواريخ ملفوفة فى ورق قرمزى ومزينة بأحرف من ورق مذهب ٠ كانت الصناديق كبيرة جدا لدرجة أنهم ظلوا مترددين لفترة طويلة ما الذى سيفعلونه بها ٠ وفى هذه الأثناء ، طرقعت الأحذية الثقيلة ، وانطلق الرجال فى سرعة وهياج ،

وازدادت أصواتهم ارتفاعا ، وظل سؤال أين يضعون كومة الألعاب النارية مدة طويلة بلا جواب ·

وأخيرا قال رجل يشبه قائد سرية ان الحمل يجب أن يوضع على الأرض · وكرر القائد الأمر ، فانحنى جميع الرجال مرتين وقاموا بتنفيذ الأمر ،وبعد ذلك ، نهضوا فى صلابة وصفقوا كعوبهم ورد قائد السرية ، التحية وأمرهم بالانصراف فدوت الأحذية بصوت مرعد مرة أخرى ، وهبت سحابة من أغطية الرأس الرمادية والزى الرمادى وكساء الساق الرمادى · وبعدها قال أحدهم :

ـ اسرعوا :

اختفوا طاعة للأمر · وانطلقت صفارة القطار فى صوت مخنوق ، فخفتت الأضواء وحامت الظلال ، وبدأت العجلات فى الدمدمة وانطلق القطار قاصفا خارجا من المحطة ·

وأخذ النادل يمشى من أول العربة الى آخرها ، وكان فى ذهنه أمر ما · واسترق نظرة على الجنديين ، ثم على كومة الألعاب النارية الملقية على الأرض فى طريقه ، ولكنه لم يجرؤ على أن يقول شيئا ، واندمج فى حديث استطرادى مع تسوى الصغير ، عازفا على نفس النغمة القديمة ، مكررا ما قد قاله من قبل ، ولكنه مضيفا تفاصيل أكثر وصفا وأكثر ارضاء له عن محنه وابتلاءاته · وبدأ تسوى الصغير يتكلم عن صديقاته ·

ولكن النادل كان مازال متوترا بسبب وجود الألعاب النارية · وترك تسوى الصغير ، واستأنف جولاته المختلسة بين المقصورات · كان قائد السرية راقدا متعبا ومسدسه على المنضدة الصغيرة التى فى جانب العربة · ولم يجرؤ قائد الجماعة أن يقلده ، ولكنه خلع غطاء رأسه وكان وقتها يحك فروة رأسه بعنف · اهتم النادل بألا يوقظ الضابط الكبير ، ولكنه ابتسم ملء شدقية للضابط الأصغر ، وقال مترددا بنبرة شبه تبريرية :

ـ ماذا كنت سأقول ؟ أوه ، أجل ، كنت سأقترح أنه من الأفضل وضع الصواريخ فوق ، على الرف ·

فأجاب الضابط من طرف فمه وهو يحك رأسه :

ـ لماذا ؟

فأجاب النادل وهو يطأطىء رأسه بين كتفيه على غرار السلحفاة :

ـ انت عارف ، خشيت أن يطأها الناس ·

فأجاب الضابط ، وعينيه الخرزتين الصغيرتين منحرفتين :

– لا أحد يجرؤ أن يلمسها ! لماذا يلمسونها ؟

فقال النادل ، وهو يرسم ابتسامة واسعة رغم احساسه بالتضاؤل وكأنه تحت ثقل صخرة ضخمة غير مرئية :

– هذا صحيح تماما ! ولا يهم أحد على الاطلاق · هل لى أن أعرف الى أين أنتم مسافرون ؟

فصرخ الضابط فجاة :

– اذا تسببت فى ازعاجى أكثر من ذلك ،فسوف نحسم الموضوع بمعركة ، ما رأيك ؟

كان الضابط ، وقد حطمت حدة مزاج رئيسه أعصابه ، على أهبة النزال تماما ·

ولكن النادل لم يكن فى حاجة للقتال ، فتلاشى على الفور ، وعندما مر على السيد تشانج ، قال :

– المفتشون سيكونون هنا حالا يا سيدى ·

كان السيد تشانج ، والسيد تشيو ينميان أواصر صداقة حميمة · وبدأ التفتيش على التذاكر · كان هناك مفتشان يتبعهما ثلاثة رجال آخرين · كان الأول يرتدى غطاء للرأس له جديلةذهبية · وكان أبيض البشرة ، متجهم شامخ الأنف · والثانى كان يرتدى أيضا غطاء للرأس له جديلة ذهبية ، لكنه كان شبيه بالقزم ، أسمر ، مشرق الوجه ، ورغم ذلك كان بوسعه أن يستميل كل هؤلاء الذين تضايقوا من صرامة الأول · وأثناء مرورهم عبر عربات الدرجة الثالثة ، كانت ترتسم على وجوههم امارات الأسى والاكتئاب ، ولكن عندما دخلوا الدرجة الثانية كان المفتش القزم مشرقا بالابتسام ، وعندما وصلوا عربات الدرجة الأولى ، كان كلاهما يبتسم ملء شدقيه · وكان الرجل الثالث عملاقا من تينتسن ، يحمل مسدسا فى حزامه المكدس بالطلقات · وكان الرابع عملاقا من شانتونج ، يتمنطق أيضا بحزام ذخيرة ومسدس ، وكذلك يتمنطق بسيف طويل · والخامس كان النادل ، الذى كانت رأسه تزعجه ··· لأنها كانت نافرة الى أعلى دائما ، وكان يجد صعوبة عظيمة فى الحفاظ عليها فى مكانها الصحيح ·

وجاءت المجموعة حيث يجلس تسوى الصغير·انهم جميعهم يعرفونه . وجهه الأصفر الشاحب وأسنانه الداكنة ، التى تظهر عندما يبتسم فى ود المعارف الحميمين · وكانت لحظة حرجة ·

تطلع المفتش الأول فى الهواء الى لا شىء وكانه مندمج فى التأمل ، وظل يقرع آلة تثقيب التذاكر التى يمسكها بيده على فخذه مرة بعد مرة • وحيا الثانى تسوى الصغير بايماءة من رأسه • وابتسم له عملاق تينتشن ، ثم قطع ابتسامتــه فى الحــال ، بالضبط وكأنــه قــد ضغط على زر • أما عملاق شانتونج فلمس طرف غطاء رأسه بيده ، وبدت عيناه الفصيحتان تقولان :

ـ لدى قصة طويلة أقولها لك ، ولكن انتظر حتى ينتهى كل هذا الهراء •

وشعر النادل أن التفتيش قد طال ، وعندما تحركت المجموعــة ، قال :

ـ رجاء الجلوس • لا يوجد ركاب كثيرون ••• وسينتهى كل شىء فى لحظات ، وساعود اليكم •

ووجد تسوى الصغير نفسه بمفرده مع طيف يحوم عبر جبينــه ، وجلس أخيرا مستكينا راضيا •

ولحق النادل بهم فيما بعد ، ولكنــه لم ينضم لهم فى مهمتهــم ، بل مرق مسرعا نحو السيد كوا ، وقال :

ـ السيد كوا ، يا سيدى •

ولكن قائد الموكب ضاق بعض الشىء بتدخله ، وأعطى يده للسيد كوا ، وقال :

ـ كيف حال المدير هذه الأيام ؟ أليس الوقت متأخرا من السنة لبدء رحلة طويلة ؟

ولم تفسد هذه المجابهة وقار السيد كوا ، بل زادته وقارا على وقار، فابتسم بوهن وتمتم بصوت غير مسموع ، وانحنى ، ثم ابتسم ثانية • وكان الحارسان واقفين منتصبين كالسهم المشرع ، وفى ثبات تام ، وقد أحسا أنه لا شأن لهما بما يدور أمامهما • فمركزهما المتدنى فى الحياة ينكر عليهما امتياز الدخول فى أى محادثة • ولكنهما يتحايلان للحفاظ على كرامتهما بنفخ صدريهما والوقوف انتباه •

وفى هذه الأثناء ، انتهز النادل هذه الفرصة ، لابلاغ السيد تشانج والسيد تشيو أن يبرزا تذكرتيهما مقدما له • انتابته الدهشة عنــدما تحقق من أنهما تذكرتان مجانيتان ، بل أصــبح توقيره للسيدين أعظم عما قبل • وأعاد تذكرة السيد تشانج فى الحال ، ولكنه غامر باحتجاز

تذكرة السيد تشيو للحظة ، لأنه مسجل عليها بكل وضوح أن حاملهـا سيدة · رغم أن هناك دليلا قاطعا على أن السيد تشيو رجل · وانتحى المفتشان جانبا ، وأخذا يتهامسان سويـا · وبعد قليل أومأ كل منهمـا للآخر ، وكان من الواضح أنهما قد توصـلا لفهـم مشترك بأنه فى يوم رأس السنة الجديدة قد ينتحل الرجل صفة المرأة تجاوزا · وأعاد النادل تذكرة السيد تشيو بكلتا يديه بشكل اعتذارى ·

كان قائد السرية فى سبات عميق وبدأ غطيطـه يعلو ، أما قائـد الجماعة فحالما لاحظ اقتراب المفتشين منه ، وضع ساقيه على المقعد ، مبديا كل علامات المعارضة على ازعاجه · وانتبه المفتشان على التو الى كومة الألعاب النارية التى تعترض الممر · وهز عمـلاق شـانتونج رأسـه فى اعجاب ، لطول الألعاب النارية وصلابتها · ومروا عبر المقصورة ، ولم يلتفت المفتش الأول الى النادل ، الا عندما وصل للباب ، وقال له :

— من الأفضل أن تقول لهم أن يضعوا الألعاب النارية على الرفوف ·

ولانقاذ النادل من أى ارتباك آخر ، أضاف المفتش الثانى قائلا :

— من الأفضل أيضا ، لو أنك قمت بذلك بدلا منهم ·

وأومأ النادل بعنقه النحيل الذى يشبه بندول الساعة ، بدون أن يقول شيئا ، ولكنه كان يسأل نفسه طول الوقت :

— ليست لديك الشجاعة لاخبارهم ··· هذا هو الحال ·· وماذا فى يدى أن أفعل ، غير أن أهز رأسى ؟ ··· علاوة على ذلك ، هناك فرق عظيم بين هز الرأس والفعل ·

وبزغت الحقيقة فى رأسه · يجب عدم تحريك الألعاب النارية ·

وعندما عاد الى تسوى الصغير ، اندهش ليجد الرجل الصغير غارقا فى تعاسة وألم ، وأدرك على الفور أنه فى حاجة الى كوب من الماء · فأحضر غلايـة الماء دون أن ينبس بكلمـة · وأخـرج تسوى الصغير شيئـا من جيبه ···لم يره النادل ، ولكنه ارتـاب بشكل مبهـم فى أنها قد تكون قطعة أفيون ··· وضغط عليها فى كفه الأيسر بطرف ابهامه ، وكشر تكشيرة تنم عن ألم ، واصبح وجهه شاحبا يشبه الصفحة البيضاء · وكان يتصبب عرقا ، ويتصاعد من وجهه ما يشبه البخار ، فاصبح كالبصلة الزلقة الملساء فى الصوبة الزجاجية · ثم غطى فمه بيديه وبدأت الأصابع تموج فى موجات لطيفة · وأغلق عينيه وارتشف رشفة من الكوب ونفخ وجنتيه · وبعد ذلك فتح عينيه وطافت ابتسامة غير مشكوك فيها فوق وجهه الأصفر الشاحب ·

وقال تسوى الصغير فى دهشة :

ـ انه أهم من الطعام !

فأومأ النادل وقال :

ـ أوه أجل ، أهم بكثير ·

بيتك ··· بيتك ··· بيتك ··· بيتك · أخذت العجلات تزمجر كلها فى آن واحد ، ولكنها كانت بطيئة جدا · وأخذت السماء المبدورة بالنجوم تتموج · والتلال ، والاشجار ، والقرى ، والقبور تومض فى عناقيد وضمم ··· ويندفع القطار ناهبا الأرض نهبا فى لجة الظلام · انطلق الدخان والسناج والشرر فى غضب ، ثم اختفى وتلاشى · انطلق القطار وأنفاسه تتسارع ليمزق الظلام مزقا وتوهجت مساحات من الثلج وسلاسل من التلال المتخفضة ثم اكفهرت · بيتك···بيتك···بيتك · تالقت الأضواء واشتد وهج الحرارة ، وأناخ الارهاق بكلكلة على الركاب وما من سبيل للنوم · بيتك ··· بيتك ··· بيتك · شعائر وداع العام الماضى ، القرابين والأضحيات لله ، الهدايا والاعانات للأقارب ، الكتابة على أوراق النباتات المائية ، المفرقعات النارية ،الزلابية ، الحلوى ، المآدب والنبيذ ··· لقد أصبح كل ذلك حقيقيا لهم فجأة ، يملأ عيونهم وآذانهم ، وحلوقهم ، وأنوفهم · وضياء ابتسامة تنبعث فوق شفاههم ثم تختفى فى الحال ، وتزول عند تذكر انهم مازالوا بأجسادهم فى القطار · بيتك ··· بيتك ··· بيتك ··· بيتك · ظلام ، ظلام ، ظلام · وتتموج السماء ذات النجوم · وترتفـع مسـاحات من الأراضى المغطـاة بالثلج ثم تنخفض · لا أصوات بشر ولا اشارات مرور ، ولا شىء مرئى أو منظور · يتراجع الظلام بلا نهاية ، ويحتضن الطريق ، الطويل حتى السأم · القطار المضىء باحكام ، فيصارعه بحنق وغضب لينتزع نفسه من براثن الظلام المهيمن · ومع ذلك لا يتحـلل الظـلام عن القطـار أبـدا · بيتك ··· بيتك ··· بيتك ···

أنزل السيد تشـانج من الرف زجاجتين من النبيذ وقال للسيد تشـاو :

ـ لقد أصبحنا مثل الأصدقاء القدامى · ما رأيك فى رشفة من هذا ؟ ونستمتع أيضا بيوم رأس السنة الجديدة ··· أجل ، لم لا ؟

وناوله كوبا من النبيذ قائلا :

ـ انه نبيذ ينكو الأصـلى · معتق لمدة عشرين سنة · لا يمكنك الحصول عليه من السوق · اشرب ·

ولم يرفض السيد تشيو تادبا · وسأل نفسه ما الذى يمكن أن يقدمه لمستر تشانج فى المقابل··

احتفظ بعينيه طوال الوقت مثبتتين على الكوب ، وكانت يداه قلقتين متململتين · وشب الى الرف ، وأنزل رزمة كبيرة ، وفضها برفق وأخرج منها رزما أصغر ، وأخذ يضغط عليها الواحدة تلو الأخرى ، وأخيرا نحى ثلاث رزم جانبا ، تأكد أنها تحتوى على لتشية (٢) مجففة ، وبلح محفوظ ، وصلصلة الصويا المتبلة · ثم فضها بعد ذلك وقدمها للسيد تشانج قائلا :

ـ اننا مثل الأصدقاء القدامى · لا نقاوم أى احتفال ·

والتقط السيد تشانج ثمرة من التشية المجففة ، التى انفجرت تحت ضغط أصابعه ، فاعجبه الصوت · انه صوت مناسب ، يذكره بيوم رأس السنة الجديدة وراقب السيد تشاو وهو يحتسى النبيذ ، وانتظر صديقه حتى ابتلعها كلها ، وسأله :

ـ حسن ، هل أعجبك الصنف ؟

فبلل السيد تشياو شفتيه ، وقال :

ـ رائع ! رائع ! لاشيء يضارعه فى أى مكان ·

وملأ كل منهما كوب الأخر ، وتحول وجهيهما بالتدريج الى اللون القرمزى · وانطلق لسان كل منهما ، فتكلما عن عائلتيهما ، وعملهما ، وأصدقائهما ، ومشقة كسب المال ، والتذاكر المجانية · وصلصلت أكوابهما ، وصلصل قلباهما ، ودمعت عيناهما ، وتخللهما الدفء · وكان هذا هو وقت أحدهما ليكون فيه كريما · ففض السيد تشياو رزمة أخرى تحتوى على برتقال محفوظ · وتطلع السيد تشانج الى الزجاجتين الباقيتين ، وقال :

ـ حسن ، علينا أن ننتهى منهما · كل واحد منا واحدة ، على ألا يبقى نقطة واحدة · انناأصدقاء قدامى الآن · هيا · اشرب !

ـ اننى لست ذواقة للخمر ·

ـ هراء مشروب معتق منذ عشرين سنة لا يتسبب فى فقدان وعيك · انها ارادة الله أن نصبح أصدقاء · اشرب ! ·

لقد عومل السيد تشياو بكرم عميق وأحسنت وفادته · وتطلع السيد تشانج الى زجاجته ··· لم يبق فيها حاليا الا القليل ، وحل ياقة قميصه ، ونفرت حبات العرق فوق جبينه ، وكانت عيناه محتقنتين بالدم ولسانه يابسا · ومع ذلك لا يزال كثير الكلام · وتحول كلامه الى مجرد هذيان ،

(٢) فاكهة أسيوية ذات لب ، هلامية حلوة ·

ولكنه لم يفقد تحكمه فى نفسه تماما ، اذ كان يمكنه أن يضع لجاما على حافزه الداخلى العجيب الذى قاده أو كاد يقوده الى أن يسب ويلعن أمام صديقه الجديد • وأخذت محصلة هذه القوى شكلا ، ليس هو بالعراك ، أو الفظاظة ، ولكن بما يشبه الحبور والجذالة والمدح • ومن ناحية أخرى لم يستطع السيد تشياو أن يبتلع سوى نصف الزجاجة المخصصة له ، ولكن وجهه سبق وتحول الى لون الموت الشاحب • وأخرج علبة سجائر وألقى سيجارة الى السيد تشانج • أشعل كل منهما سيجارته • واضطجع مستر تشانج على مقعده ، والسيجارة فى فمه ، وتدلت ساقاه بلا مبالاه • وتلهف على الغناء ، ولكن حنجرته كانت جافة خشنة ، وأخذ يتنفس بصعوبة من خلال منخاريه مثل الثور الغاضب • مال السيد تشياو أيضا وقد اضطجع الى الخلف والسيجارة فى يده ، وثبتت عيناه على أرجل المقعد المقابل له ، وقلبه يدق بعنف • وأصابه الفواق وأصبح وجهه شاحبا ، وشعر بحكة خفيفة فى كل بدنه •

بيتك ••• بيتك ••• بيتك ••• بيتك • دمدمت العجلات فى أذنى السيد تشانج ، وكأنها تسير بسرعة خطيرة الى أبعد حد • ودق قلبه بسرعة ، وفجأة بدأ كل شىء يطن • وأخذت رأسه تدور وتدور فى الهواء ، وتطن مثل الذبابة الزنانة • وكانت كل الأشياء تتراقص • وتتوهج فى دوائر حمراء • وعندما توقف الطنين ، بدأ قلبه يدق مرة أخرى حسب طقوسه المعتادة ، وفتح عينيه على مهل ، واستعاد قوته جزئيا • تظاهر بأنه لم يحدث شىء ، وتلمس طريقه الى علبة الثقاب ، وأعاد اشعال سيجارته المنطفئة • ثم ألقى بعود الثقاب بعيدا • وفجأة اندلعت نار خضراء على المنضدة ، رائحتها كحول ، وأخذ لهبها يدور بين الأكواب والزجاجات مصفقا ومرفرفا • جفل السيد تشياو وخرج من أحلامه ، عندما اشتعلت السيجارة التى فى يده فجأة ولسعت النار أصابعه • فألقاها بعيدا • وضرب المنضدة بكلتا يديه ، لاطفاء النار ، مما أدى الى وقوع الأكواب والزجاجات ، ولعقت السنة قوس قزح الرزم غير المفتوحة • واختفى وجه السيد تشانج فى اللهب • فكر السيد تشياو فى الفرار • وارتفعت ألسنة اللهب التى فوق المنضدة عاليا ، وبدت الرزم التى فوق الأرفف وكأنها تحاول النزول للامساك بأعمدة اللهب المتصاعدة • وبدأت ألسنة اللهب تتزاوج من بعضها البعض • وأصبح السيد تشياو نفسه مشتعلا • لقد وصلت النار الى حاجبيه فتفحما ، ونهشت شعره الذى أخذ يئز أزيزا متتاليا ، وانارت الكحول الذى فوق شفتيه وحولته الى مسخ غريب الشكل أنفاسه من نار •

وفجأة : بوب ، شوب ، بوب ••• انها تشبه صوت طلقات المدفع الرشاش • وما كاد قائد الجماعة يفتح عينيه ، الا ومفرقعة من الألعاب

النارية تنفجر فى أنفه وترسل شررا ودماء طائرة فى رذاذ ناعم · فقفز ناهضا وبدأ يركض بهستيريا · وانتشرت الانفجارات فى كل مكان ، وتحت قدميه ، وحول جسده · وكانت الضجة مصمة للآذان ، وكأنهم قد خطوا فوق حقل ألغام · وابتلعت النار قائد السرية قبل أن يستطيع فتح عينيه · كان يحاول فتح عينيه عندما استقبلت عينه اليمنى قذيفة مباشرة من احدى القذائف النارية المتفجرة ·

وهب السيد كوا واقفا · وألقى بنظرة سريعة على أمتعته التى على الرف · كانت بعض الرزم قد شبت النار فيها بالفعل ، وكانت النار تحاصره من كل الجوانب ··· ومن فوق ، ومن تحت ، وحتى من بعيد · وبدأت ألسنة اللهب تلعقه ، فسنحت له فكرة خاطفة ، فالتقط فردة حذاء من الأرض وقذف بها زجاج النافذة · وأراد أن يقفز من النافذة · ولكن عندما كسر الزجاج ، اندفعت عاصفة هوجاء ، وتحولت النار الى وحش كاسر · واشتعلت النار فى فرو القندس الذى يكلل سترته ، وخمسة صناديق ، وملابسه ··· واستمر القطار فى نهب الأرض ، والريح تزمجر ، واستمرت المفرقعات النارية فى انفجاراتها · وركض السيد كوا كالحيوان الهائج ·

كان تسوى الصغير مسافرا متمرسا · لقد سمع الأصوات ، لكنه كان كسولا حتى لفتح عينيه · وأخيرا وصلت النار لقدميه وانتشرت متصاعدة الى جسده · وشعر بحرارة ، فنهض جالسا · ولم ير الا الدخان والنار · واستمرت المفرقعات فى الانفجار ، وبدأ الأفيون الذى يحمله حول جسده يذوب ويحترق · وأغارت الرائحة اللذيذة على منخاريه ، فشعر بحرارة لاسعة ، ولم تستطع ساقاه أن تتحركا · وانتشرت النار فوق صدره · والتف جسده الرابض فى اللهب ، وتحول الى كرة ضخمة مزبدة من عجينة الأفيون المتصاعد منها الفقاقيع ، الى أن تضاءلت فى شكل شرنقة ·

وهكذا لم يتحرك تسوى الصغير بعد ذلك ··· ومات السيد تشانج مخمورا ، ورقد هناك مثل كتلة الخشب · أما السيد تشياو ، والسيد كوا ، وقائد الجماعة ، فكانوا يركضون فى كل الاتجاهات ، فى جنون صارخ مزهول · وركع القائد على ركبتيه وهو يولول وينتحب · لقد توغلت النار بالفعل فى كل ركن من العربة ، وكانت رائحة الكبريت خانقة · ولم تعد المفرقعات النارية تنفجر ··· حيث احترقت كلها تماما · وتلاشت الضجة ، ولكن ازداد الدخان كثافة · وأخيرا ، لم يعد الذين يركضون ، يركضون ولم يعد الذين ينتحبون ، ينتحبون· وبدأت النار تلتهم الأثاث · استمر القطار فى اندفاعه واستمرت الريح فى عويلها · وألسنة

اللهب الحمراء تتصارع داخل سحب الدخان الكثيفة ، تأمل أن تجدلها مخرجا • وتحول الدخان الى مادة كاللبن الحليب ، وبدأت اللهب تلسع النوافذ بسياطها • وكانت العربة كلها تتحمم في نور شفاف ، والسنة النار تجرى هاربة مثل آلاف من المشاعل تحترق فى الريح •

خفف القطار من سرعته ، عندما اقترب من محطة صغيرة ، ولكنه لم يقف • وأدار عامل السكة الحديد التحويلة وقال لنفسه :

– حريق !

وأومض عامل الاشارة مصباحه الأخضر وقال لنفسه :

– حــريق !

ووقف الحراس فى انتباه ، وقالوا لأنفسهم :

– حــريق !

وكان مدير المحطة متأخرا فى الوصول ، وعندما وصل كان القطار قد غادر لتوه ، ولكنه رأى فى قتامه خدره المخمور ، أنه كان يوجد قطار مشتعل • وفضل أن يعتقد أنها مجرد هلوســة • وأطفأ عامل الاشــارة مصباحه ، وحول عامل التحويلة الخط ، وأعاد الرافعة لمكانها ، وبهذا تعود القضبان الى وضعها الطبيعي ، وعاد الحراس ببنادقهم الى أماكنهم السابقة ، واحتفظ كل واحد منهم فى ذهنه بصورة الحريق ، ومع ذلك ، لم يود أحد منهم أن يعترف بأنه قد شاهدها • وبالتدريج زالت فكرة الحريق من أذهانهم ، وتحول اهتمامهم فقط حول كيفية استمتاعهم بالاحتفال • وأشعلوا الألعاب النارية ، وشربوا ، ولعبوا لعبة المهجونج (٣) • وكان كل شيء تماما مع العالم •

وعندما غادر القطار المحطة ، ازدادت سرعته • وعوت الريح ، وطقطقت النار ، وانطلقت الصواريخ الساطعة فى رذاذ • وكان الليل مظلما وكان القطار سلسلة من الفوانيس تسكب لهب لاعقة • ولم يبق من عربة الدرجة الثانية الاهيكلها • ولم يبق شيء تتغذى عليه اللهب ، فتحركت تجاه الأمام ، وأخيرا دخلت عربة الدرجة الثالثة • جاء الدخان أولا ، باعثا رائحة لاذعة وحلوة بعض الشيء للحم وأثاث مشوى ، وتبع هذا النار •

فصرخ الجميع فى ذعر مخيف :

– حريق ! حريق ! حريق !

---

(٣) لعبة صينية يلعبها عادة اربعة اشخاص ، تشبه الدومينو •

وطار صوابهم · وكسروا النوافذ فى محاولة للقفز منها ، ثم ترددوا · بدأ البعض يركض ، ثم تساقطوا فوق بعضهم البعض · وجلس البعض الآخر بلا حراك فى مقاعدهم ، غير قادرين حتى على الصراخ · اضطراب · هلع · وكل مجهود يثبت عقمه · لقد عووا وولولوا ، وأحاطوا رءوسهم بأذرعتهم ، وضربوا اللهب بملابسهم ، وركضوا ، وقفزوا خارج العربة ···

واكتشفت النار مستعمرة جديدة ، ذات موارد غنية وتعداد بشرى عظيم · فجنت من الفرح · ولعقت باحدى السنتها ، وضربت بآخر ، وأخفت فى الدخان بثالث ، وفجأة قذفت برابع من النافذة · وتجول خامس بدون هدف محدد · وجاء السادس وأوصل كل الآخرين سويا · وبدأت مئات من اللهب الرقص على أكثر الايقاعات خيالا · ودحرجت نفسها فى كرات ، وانطلقت كالشهب ، وتجمعت فى برك حمراء وخضراء من النار · وتوهجت ، وتضاءلت ، وزحفت فى أعقاب الدخان ، ثم اختفت · ثم فجرت الدخان فى سيول · وصرصرت ، ودمدمت وهى تحرق اللحم البشرى وتشوى الشعر البشرى ·

عوت المجاميع وزمجرت الريح ، وطقطقت النار · وأصبحت كل العربة فى النار · والدخان كثيفا · انها محرقة ممتازة لجثث الموتى ·

ووصل القطار الى المحطة التالية ، حيث ينبغى أن يتوقف · ووقف · وهاهم رجال الاشارة ، ومفتشو التذاكر ، والحراس ، وناظر المحطة ومساعد ناظر المحطة ، والموظفون ، والطفيليون كلهم تطلعوا الى العربات المشتعلة فى ذهول ، ولم يستطيعوا أن يفعلوا شيئا ، لأنه لا توجد سيارة اطفاء ، ولا أى وسيلة لاخماد النيران ·

وكانت عربة الدرجة الثانية وعربتا الدرجة الثالثة الملحقتان من الأمام والخلف خامدة صامتة · ويتصاعد منها بطريقة لولبية ذيل من الدخان الأزرق ، وسار الهوينا فى دعة ورفاهية ·

وأعلن بعد ذلك ، انه تم العثور على اثنتين وخمسين جثة فى القطار ، وتم العثور على احدى عشرة جثة أخرى ، للذين قفزوا ، وقتلوا أنفسهم على طول الخط ·

وبعد احتفال الفوانيس ··· الذى يعقب رأس السنة بخمسة عشرة يوما ، وصل مفتش حيث حضر الاستقبالات الرسمية مدة الثلاثة الأيام الأولى ، ولم يتبق له وقت طويل للتحقيق · وانقضت الثلاثة الأيام التالية فى البحث عن بعض المهام الشخصية ، التى لا يمكن تأجيلها · وبعدها بدأ التحقيق ·

ولم يعرف الحراس شيئا · والمفتش الأول لم يعرف شيئا · والمفتش

الثانى لم يعرف شيئا · ولا عملاق تينتسن ، ولا عملاق شـانتونج ، ولا النادل يعرفون أى شىء عن سبب الحريق · وتتطابقت تقارير المحطات المختلفة عن عدد التذاكر المباعة مع عدد التذاكر المحصلة ، واضعين فى الاعتبار التذاكر الثلاث وستون · المفقودة · وتوافق هذا بالضبط مع عدد المصابين الذين لابد وأنهم احترقوا · ولم تعلن أى محطة عن بيع تذاكر للدرجة الثانية ، وبالتالى فلابد أن الدرجة الثانية كانت خاوية ، ولذلك لا يمكن أن يكون الحريق قد بدأ فى عربة الدرجة الثانية ·

وأخيرا ، أعيد استجواب النادل · وأعلن أنه لا يعرف شيئا بخصوص الحريق ، الذى لابد وقد شب عندما كان فى عربة الأكل · وقررت المحكمة بشكل لا يقبل النقض أنه مخطىء ، ويجب أن يعاقب لأنه ترك مكان عمله · وبالتالى أعفى من الخدمة ·

رفع المفتش تقريره مع الوقائع التفصيلية للمأساة ، مكتوبا بأسلوب غاية فى الروعـة ·

وقال النادل لزوجتـه :

ـ أنا لا أهتم على الاطلاق · يضعونك فى الخدمة فى يوم رأس السنة الجديدة ، وبعدها ، عندما يختل كل شىء ، يعتقدون اننا سنتضور جوعا اذا تركنا سكتهم الحديدية الملعونة ·

فأجابت زوجتـــه :

ـ ما هذا الهـراء !

ان هذا لا يزعجنى · ان ما يزعجنى هو الكرنب الذى احترق ·





الأرملة (١)

لوســين

قضى تشو شوجين ـ الشهير باسم لوسين (١٨٨١ ـ ١٩٣٦) طفولته فى فقر مدقع ، وقضى بقية حياته فى محاولته لاصلاح بعض الأخطاء الموجودة فى الصين التي عاصرها . فهاجم بضراوة فى كتاباته المحتالين والمخادعين للطبقات المعدمة ، كما هاجم هؤلاء المعدمين الذين يتمسكون بالعادات التي تبقيهم على حالهم . وبالرغم من انه حاول الابتعاد عن السياسة ، لكن السياسة ظلت تطارده .

وقال قبل وفاته بقليل :

« اشعر ، من الآن فصاعدا ، أنه ليس لدى ما اقوله . وعندما يزول الارهاب ، لا أدري ماذا سيأتي ؛ ربما شيء ليس بطيب .

ومات كما بدا ، فى فقر شديد ، اثناء محاولته توحيد شعبه ضد اليابانيين .

تنتهى السنة طبقا للتقويم القديم ، على غرار ما يجب أن تنتهى عليه السنة ، لأن روح عطلة العيد لا تنعكس على حياة الناس فقط ، بل يبدو أنها تتخلل الجو نفسه . وتضيء سحب المساء الرمادية الكثيفة بومضات متكررة ، يتبعها انفجار متموج من المفرقعات النارية المنطلقة تمجيدا لاله المطبخ (٢) . وتلك التي تطلق في المنطقة تنفجر بطبيعة الحال فى ضجة أعلى ، وقبل ما يخبو رنين الصوت المصم للآذان ، يتعبأ الهواء بشذا لاذع لدخان كبريتي . وذهبت فى هذه الأمسية الى زيارة قريتي ومسقط رأسى ، لوتشين . وحيث انه لم يعد لدينا بيت هناك ، نزلت عند سيادة لو الرابع . نسيبى ، وعمى الرابع ، الذى يكبرنى بجيل واحد ... وهو جامعي قديم ، صالح وأخلاقى جدا . انه لم يتغير كثيرا عما كان عليه فى زيارتى له

---

(١) عن الترجمة الانجليزية لـ : تشى ـ تشن وانج .

(٢) هو اله أهل البيت ، فى الميثولوجيا الصينية ، الذى يبعث تقريره سنويا الى السماء عن سلوك كل فرد من أفراد العائلة .

السابقة . لقد ظهر عليه الكبر ، لكن لم تكن له لحية بعد . وبعد ما تبادلنا التحية ، أبدى ملحوظة بأننى زدت بدانة ، وبعدها بدأ فورا فى تقريع مسهب ضد حركة الاصلاح . وكنت أعرف ، مع ذلك ، أن تقريعه ، لم يكن موجها ضدى ولكن ضد المصلحين القدامى ، فى عقد التسعينيات ، أمثال كانج يو - وى . على أية حال ، لا نستطيع أن نقول أننا فهمنا بعضنا البعض ، وبعدها بقليل تركنى بمفردى فى حجرة المطالعة .

استيقظت متأخرا فى اليوم التالى . وبعد وجبة الغداء ، ذهبت فى زيارة الأصدقاء والأقارب . وفى اليوم الثالث فعلت نفس الشىء . ولم يتغير أحد منهم كثيرا ، مجرد أنهم كبروا فى السن . وكان الجميع منشغلين فى التجهيزات لابتهال البركات ، أكثر الاحتفالات وقارا واتقانا فى السنة كلها ، والتى يقدمون فيها أكرم الأضحيات لاله البركات ويدعو للحظ الطيب للعام القادم . وتذبح الطيور الداجنة من دجاج وبط ، ويذهبون بالخنازير الى محلات الجزارة . وتقوم النساء (اللاتى تصبح أيديهن وأذرعتهن ، المحلاة بالأساور الفضية ، حمراء اللون من طول انغماسها فى الماء) بغسلها بعناية ، ثم سلقها بعد ذلك وتزويدها بالعيدان الخشبية(٣)، وتقدم مع الشموع والبخور فى ساعة مبكرة للتهجد الخامس . ويشترك الأفراد الذكور من العائلة فقط فى الاحتفال ، الذى يختتم عادة بالمفرقعات النارية . وهذا ما يحدث كل سنة فى العائلات التى لديها المقدرة ، وهكذا كان الحال هذه السنة .

ازدادت السماء المدثرة بالسحب ظلاما فوق ظلام ، وبعد الظهر بدأ هطول الثلج . وأعطت نتف الثلج الراقص التى فى حجم زهور البرقوق ، والدخان المتصاعد من البخور المشتعل ومن المداخن ، وصخب الناس قرية لوتشين الجو الاحتفالى . وعندما عدت الى حجرة مطالعة عمى الرابع كانت الأسطح بيضاء ، مما جعل الحجرة أكثر نورا عن المعتاد فى مثل هذه الساعة . وكانت احدى اللفائف المصنوعة من الرق قد تركت ملفوفة على المنضدة الطويلة المقابلة للحائط ، أما التى مازالت معلقة على الحائط فكانت تعبر عن رقة الشعور « السلام يأتى مع الفهم » وتمشيت الى المكتب القريب من النافذة وتفحصت الكتب . ولم تكن سوى مجلدات قاموس كنج هسى وطبعة الحاشية التفسيرية لأنالكتس (٤) .

وقررت أن أغادر اليوم التالى ، مهما حدث وأكثر ما أحزننى هو مقابلتى مع الأخت هسيانج لين فى اليوم السابق . لقد التقيت بها بعد

(٣) يستخدم الصينيون العيدان الخشبية لتناول طعامهم بدلا من الملاعق .

(٤) انالكتس ، مجموعة من التعاليم والحكم الأساسية لكونفوشيوس (٥٥١ - ٤٧٨ ق م) .

الظهر أثناء عودتى للبيت بجانب النهر بعد زيارتى لبعض الأصدقاء فى الجزء الشرقى من القرية ، ومن نظرتها الخالية من التعبير التى كانت ترمقنى بها ، عرفت أنها كانت تقصدنى • ومن الناس الذين قد رأيتهم فى لوتشين فى هذه الزيارة لم يتغير أحد كثيرا مثلها • فشعرها الذى ضرب فيه الشيب من خمس سنوات قد تحول الى أبيض تماما ، انها لم تكن أبدا مثل أى امرأة فى الأربعين فقط من عمرها • كان وجهها مسحوبا ونحيلا بشكل مفرط ، لقد فقد سيمته الحزينة الآسفة وأصبح الآن بدون تعبير وكأنه منحوت من خشب • كانت حركة عرضية فقط من عينيها تدل على أنها لا تزال مخلوقا حيا • وكانت تمسك فى احدى يديها سلة من الخيزران بها وعاء خاو ، وكانت تتساند بيدها الأخرى على عكاز من الخيزران • من الواضح أنها أصبحت شحاذة •

ووقفت ، متوقعا أن تطلب حسنة ، ولكنها سألت :

ــ هل عــدت ؟

ــ أجـــل •

ــ أنا سعيدة جدا • انك عالم من العلماء الكبار ، وانك سافرت الى العالم الخارجى وتعلمت أشياء كثيرة ، وأريد أن أسألك عن شىء ما •

وفجأة أطل النور من عينيها الباهتتين أثناء تقدمها عدة خطوات نحوى ، وخفضت من صوتها وقالت بطريقة جادة وحميمة جدا :

ــ انها هذه : هل توجد حياة أخرى بعد هذه ؟

فوجئت بهذا السؤال غير المتوقع ، وأعطتنى النظرة الحرون التى فى عينيها ، والمثبتة على عينيى احساسا زاحفا بألم فى ظهرى ، وجعلتنى أشعر بتوتر أكثر مما تعودت عليه فى المدرسة عندما نفاجأ بامتحان يفرض علينا ، والمدرس بجانبنا يراقبنا فى حذر • اننى لم أشغل بالى أبدا بما بعد الحياة • كيف لى أن أجيب عليها الآن ؟ معظم الناس هنا يؤمنون ببقاء الروح ، وفكرت بسرعة وأنا أعد نفسى للاجابة ، لكن هذه المرأة تبدو عليها الشكوك • لعله أمر يتعلق بأمل عندها ، الأمل فى أن هناك حياة أخرى ، وأن هذه الحياة الأخرى ستكون أفضل من هذه • لماذا أضيف مزيدا من التعاسة لهذه المرأة البائسة ؟ من الأفضل أن أقول ، من أجلها ، لان هناك حياة أخرى بعد هذه الحياة • فقلت متلعثما بدون ايمان راسخ :

ــ ربما توجد ••• أعتقــد •

ــ اذن سنوجد جهنم أيضا ؟

ــ أوه ! جهنــم ؟

لقد أخذت على غرة ثانية ، وهكذا قلت مسايرا :

ـ جهنم ؟ ··· ان هذا يبدو منطقيا ··· بالرغم من أنه ليس من الضرورى وجودها ··· ولكن من يشغل نفسه بهذه الأمور ؟

ـ اذن سنقابل أفرادا من عائلتنا بعد الموت ؟

ـ ار ، ار ، هل نقابلهم فعلا ؟

وأدركت عندئذ أننى لازلت رجلا جاهلا ، ومهما كانت قدرتى على المسايرة والتفكير ، فلن أستطيع مجابهة امتحان الأسئلة الثلاثة · وأصبحت أقل ثقة فى نفسى ووددت أن أسحب كل ما قد قلته :

ـ هذا ··· ولكن فى الواقع ، أنا لا أستطيع أن أقول ··· لست أدرى اذا كانت الأرواح تحيا أم لا ·

وقبل أن تسأل مزيدا من الأسئلة ، فررت عائدا الى منزل صبى الرابع، وأنا فى غاية الاضطراب وقلت لنفسى ربما تتسبب اجابتى فى اتعاسها وأتحمل مسئولية ما قد يحدث · ربما شعرت المرأة بوطأة الوحدة والتعاسة فى وقت كان الجميع يحتفلون فيه ·

ولكن هل هذا كل ما فى الأمر ، أم أنها قد عقدت العزم على أمر معين ؟ ثم ضحكت على نفسى لأخذ أمر تافه هكذا بمثل هذه الجدية ، والقيام بتحليله والتمعن فيه مليا · وقد يسمى علماء النفس بدون شك هذا الاهتمام المرضى بالخوف الباثولوجى · علاوة على ذلك ، ألم أقل بصراحة : « لست أدرى » ··· وهكذا ألغى كل اجاباتى وأريح نفسى من كل المسئوليات ؟

« لست أدرى » : انه تعبير مفيد جدا · ان الشباب غير المحنك كثيرا ما يندفع فى تقديم اجابات لمشاكل الحياة العويصة ويصفون العلاج للآخرين ، وهكذا يعرضون أنفسهم صراحة للوم والعتاب عندما تسوء الأمور · ومع ذلك ، فلو أنهم دعموا أقوالهم وختموها بهذا التعبير « لست أدرى » فسيؤمنون لأنفسهم حياة آمنة سعيدة · وعندئذ أدركت أهمية هذه الجملة ، التى لا غنى عنها ، حتى عندما يتكلم المرء مع شحاذة ·

ولكن قلقى تمكن منى وبقى على ما هو عليه ، وظللت أستعيد بذاكرتى المقابلة مع توجس خيفة · وفى هذا اليوم المعتم الكئيب الملبد بالغيوم والثلج الكثيف ، وفى حجرة المطالعة الحزينة الموحشة هذه ، أصبح قلقى أقوى · وشعرت أنه من الافضل أن أخرج وأقضى يوما فى الريف · وتذكرت مطعم فوهسنج لو وزعنفة سمكة القرش الممتازة المطهية فى المرق اللذيذ بدولار واحد فقط ، وتساءلت ترى هل زاد السعر ؟ وبالرغم من

انتشار أصدقاء الأيام الخوالى هنا وهناك ، الا أنه يجب ألا تفوتنى هذه الأكلة اللذيذة المترفة ، حتى لو اضطررت أن آكلهـا بمفردى ٠ ومهما يحدث ، لابد لى أن أغادر هذا المكان غدا ، وكررت هذا مرارا بينى وبين نفسى ٠

ولأننى كثيرا ما رأيت أمورا تحدث كنت آمل ألا تحدث ، ومع ذلك كنت أقول لنفسى أن حدوثها ليس ضرورة ، ولكنها مع ذلك تحدث ٠ وكنت خائفا جدا أن يكون الوضع هكذا فى هذه المناسبة ٠ ويقينا قد حدث شىء بالفعل ، لأننى سمعت قرب المساء ، مناقشة فى الباحة الداخلية ٠ وتوقفت برهة وبعد فترة صمت استطعت أن أميز صوت عمى الرابع ، وهو يقـــول :

ـ طبعا ، أمر كهذا لابد أن يختار من كل الأيام ، يومنا هذا !

لقد تحيرت فى البداية ، ثم شعرت بعدم ارتياح ، لأن الكلام رن فى اذنى وكأنه له علاقة بى ٠ وتطلعت من الباب ولكنى لم أر أحدا أستطيع ســؤاله ٠٠٠ الى أن جاء الخادم الذى يعد الشاى قبل موعد العشاء وجاءت الفرصة لطرح استفساراتى ، فسألت :

ـ مع من كان عمى المبجل يتشاجر منذ برهة وجيزة ؟

فأجاب بكل بســاطة :

ـ من غير الأخت هسيانج ـلين ؟

فقلت وأنا أحثه على الكــلام :

ـ الأخت هسيانج ـلين ؟ ماذا فعلت ؟

ـ ماتــت ٠

ـ ماتــت ؟

وغاص قلبى وكدت أقفز ٠ ولابد أن وجهى قد امتقع لونه ٠ ولكن الرجل لم يرفع رأسه ، ولهذا لم يلاحظ ذلك ٠ وهدأت نفسى واستطردت قائــلا :

ـ متى ماتــت ؟

ـ متى ؟ ليلة أمس أو فى الصباح الباكر ٠ لا أســتطيع القول بالضـــبط ٠

ـ وكيــف ماتـــت ؟

فاجاب الرجل بطريقة خشـنة :

ـ كيف ماتت ؟ وهل هناك سبب آخر غير الفقر ؟

ومضى دون حتى أن يرفع رأسه للنظر الى ٠

وكان فزعي عابرا ، لانى أدركت أنه طالما ما كان سيحدث قد حدث ولا مفر ، لم يعد هناك داع لانزعاجي بشأن مسئوليتى ٠ واستعدت رباطة جأشي تدريجيا ، غير أنه كان يتطفل عنوة احساس بالأسف وعدم الراحة من حين لآخر ٠ والتهينا من العشاء ، الذى شاركنى فيه عمى الرابع ٠ وأردت أن أعرف المزيد عن الأخت هسيانج ـلين ، ولكنى كنت أعلم بالرغم من أنه قد قرأ أن « الأشباح والأرواح ما هى الا تجليات لمبادىء الطبيعة الأساسية ٠ الا أن هذا الموضـــوع كان لا يزال يندرج تحت كثـير من المحظورات ، فمواضيع مثل المرض والموت يجب تجنبها تماما فى وقت طلب بركات السنة الجديدة ، واذا كان ولابد من ارضاء فضولى ، فلابد أن ألجأ لاستبدال كلمات محل كلمات واستخدام اللطيف منها للتعبير عن الأمور البغيضة ٠ ولما كنت لسوء الحظ لست حاذقا فى هذا المجال ، احتفظت بالسؤال الذى كان على طرف لسانى وبدأت أتخيل ، من نظرة التعاسة التى على وجهه ، أنه قد يعتبرنى « كذلك » لحضـــورى لازعاجه فى مثل هذا الوقت ، وأختار من كل الأيام ، يومنا هذا ، ولهذا أسرعت لابعث الراحة الى نفسه وأخبرته أننى سأغادر لوتشين اليوم الثانى ٠ ولكنه لم يلح على فى البقاء ٠

أيام الشتاء قصيرة فى أحسن الأحوال ، ومع سقوط الثلج يحتوى الليل القرية سريعا ويضمها فى حضنه ٠ وكان كل أمرىء مشغولا بجانب ضوء المصباح ، ولكن كل شىء فى الخارج كان هادئا ساكنا ٠ وتصدر ندف الثلج الساقطة على حشية الجليد السمكية خفيفا خفيفا يجعل المرء يشعر بمزيد من الوحشة والاكتئاب ٠ وأخذت أفكر وأنا جالس بمفردى تحت الضوء الأصفر لمصباح الزيت ، فى قدر المرأة المسكينة البائسة ، التى ألقوا بها فى مقلب النفايات كدمية منبوذة ، ولا تزال حتى اليوم تذكر الناس بوجودها البائس فى مقلب النفايات مما يدعو هؤلاء الذين لديهم سببا فى اعتبار الحياة جديرة بالعيش للدهشة والعجب ٠ والآن ، لقد قبضت روحها من قبل من لا يمكن التنبؤ به ٠ ولست أدرى هل تستمر الأرواح فى الوجود أم لا ؟ولكن الذى أدريه فعلا ، هو أن المرأة لم يكن لديها سبب فى اعتبار الحياة جديرة بأن تحياها ، لم تعد تحياها فعلا ٠ أما هؤلاء الذين كانوا يضيقون بمرآها ، فليطمئنوا لأنهم لن يروها بعـد ذلك ٠ انه لأمر طيب لها وللآخرين ، وبينما كنت أنصت لوشوشة ندف

الثلج وحفيفه فى الخارج ، رحت أقلب أفكارى على هذا النحو ، فشعرت بقدر من الراحة والهدوء ٠

وبدأت أجمع شتات ما قد سمعت عنها ، الى أن أصبحت قصتها وحدة مترابطة تماما ٠

لم تكن الأخت هيانج_لين مواطنة من لوتشين ٠ ففى احدى السنين فى أوائل الشتاء ، احتاج منزل عمى لخادمة جديدة ، فأحضرتها وى العجوز ٠ كانت ترتدى ثوبا أسود ومعطفا أزرق مخططا وصدرية زرقاء فاتحة ، وكان شعرها مربوطا بأشرطة بيضاء اشارة للحداد ٠ كانت فى حوالى السادسة والعشرين من عمرها ، ذات ملامح سمراء شاحبة مع بارقة لون خافت فى وجنتيهـا ٠ وكانت العجوز وى تنـاديت الأخت هسيانج_لين ، والت انها جارة لأمها ، وان زوجها قد توفى مؤخرا ، وجاءت تبحث عن عمل ٠ وعبس عمى الرابع ، وعرفت زوجة عمى سبب هذا العبوس ، انه لا يحب الأرامل ٠ ولكن المرأة لها ملامح عادية وقوية وكبيرة اليدين والقدمين ٠ كما أنها هادئة وطيعة ، ويبدو عليها أنها ستكون خادمة مخلصة ومجدة ٠ احتفظت بها زوجة عمى الرابع رغم عبوس عمى الرابع ٠ وخلال فترة الاختيار كانت تعمل طوال النهار ، كما لو كانت تشقى اذا تركت دون عمل٠كانت قوية ويمكنها أن تقوم بكل ما يقوم به الرجال وفى اليوم الثالث قرروا الاحتفاظ بها بأجر شهرى ٥٠٠ كاش (٥) ٠

ولم يسأل أحـد عن لقبها فالكل ينادونها الأخت هسيانج_لين ، ولكن حيث ان الوسيطة كانت من ويتشيشان وقالت انها كانت جارة لأمها ، فمن المحتمل أن يكون اسمها وى ٠

لم تكن كثيرة الكلام ، وكانت تكتفى الرد على الأسئلة الموجهة اليها وغالبا باختصار ٠ وعرف بالتدريج ، وبعد حوالى عشرة أيام من وصولها بأن لها فى بلدها حماة قاسية ، وأخا لزوجها عمره حوالى عشر سنوات ، وقادر على الخروج لجمع الحطب ٠ وأن زوجها المتوفى فى الربيع كان أصغر منها بعشر سنوات وكان يقتات من قطع الحطب ٠ هذا كل ما عرف عنها ٠

ومرت الأيام سراعا ولم تظهر المرأة أى علامة كسل أو تراخ ، ولم تشتك أبدا بخصوص الأجر ولم تبخل بقوتها ٠ وتكلم الناس عن المرأة التى تساعد فى منزل السيد المبجل لو التى كانت أكثر مقدرة واجتهادا من الرجال ٠ وعلى مدار السنة ، كانت تعمل كل شىء من تنظيف ،

---

(٥) العملة الصينية التقليدية معروفة بهذا الاسم للأجانب ، وهى عبارة عن العملات النحاسية ٠ وبعد بدء التجارة الأوربية استخدمت الدولارات المكسيكية الفضية للتحويلات الرئيسية ٠ وكان الدولار يساوى ألف كاش ٠

وكنس ، وذبح الدجاج والبط والطهو ، وأصبح لا داع بالفعل لأى معونة أو مساعدة خارجية مؤقتة • وبدت هى سعيدة أيضا ، فامتلأ وجهها أكثر ، وظهرت آثار الابتسامات حول زوايا فمها •

ولكنها رجعت فى أحد الأيام بعد رأس السنة بقليل ، من غسيل الأرز عند النهر شاحبة مضطربة ، وقالت انها قد رأت رجلا يشبه ابن عم زوجها يتسكع على الضفة المقابلة من النهر ، وخشيت من أن يكون يراقبها واستجوبتها زوجة عمى الرابع ولكنها لم تستطع أن تعرف منها المزيد • وعندما سمع عمى الرابع بهذا الموضوع عقد جبينه وقال :

ـ أنا لست مستريحا لهذا • وأخشى من هروبها من البيت •

الحقيقة انها جاءت دون اذن حماتها ، ولم تمض مدة طويلة قبل أن يصبح هذا الافتراض حقيقة •

وبعد حوالى عشرة أيام ، عندما كادوا ينسون هذا الموضوع ، ظهرت فجأة السيدة وى العجوز ومعها امرأة فى حوالى الثلاثين من العمر ، وقدمتها على أنها حماة الأخت هسيانج-لين • والرغم من أنهـــا كانت ترتدى ملابس نساء قرى الجبل ، الا أنها كانت رابطة الجأش ، لبقة فى الحديث • واعتذرت لاقتحامها وتطفلها ، وقالت أنها جاءت لتأخذ زوجة ابنها ، وتعود بها لتساعدها فى العمل خلال فصل الربيع لأنها تعيش بمفردها مع ابنها الصغير فقط ولا أحد غيرهما فى البيت •

فقال عمى الرابع :

ـ وماذا فى يدنا غير ذلك ، طالما أن حماتها تريد أن تستعيدها ؟

ولذلك تسلمت حماتها أجرتها ، التى وصلت الى ١٧٥٠ كاش والتى لم تنفق من شئا ، وأخذت المرأة ملابس الأخت هسيانج-لين ، وعبرت عن امتنانها ومضت •

لم تكن الأخت هسيانج-لين حاضرة عندما تم هذا ، ولم يخطر ببال عمى الرابع وزوجته أن يستدعوها • وظل الحال هكذا الى أن جاء وقت الظهيرة وبدأت زوجة عمى الرابع تشعر بالجوع ، فتذكرت فجأة أن الأخت هسيانج-لين قد ذهبت لغسل الأرز وتعجبت لتأخرها وخشيت أن يكون قد حدث لها شىء ، وصرخت قائلة :

ـ اى يا ! أين الأرز ؟ ألم تخرج الأخت هسيانج-لين لغسل الأرز ؟

وبدأت تبحث عن سلة الغسيل ، أولا فى المطبخ ، ثم فى الباحة ، ثم فى حجرة النوم ، ولكن لم تجد لها أثرا • وبحث عمى خارج البوابة

ولكنه لم يراها أيضا · ولم ير السلة الا بعد أن ذهب الى النهر فرآها تستقر فى سلام على الضفة وكوم من الخضروات الطازجة بجانبها ·

عندئذ علم من شهود عيان ما قد حدث · لقد رسى مركب مغطى فى النهر طوال الصباح ، ولكن لم يعره أحد أى انتباه · وعندما جاءت الأخت هسيانج-لين لغسل الأرز ، قفز منه رجلان يشبهان أهل الجبال ، وأمسكوا بها وهى منهمكة فى عملها وسحباها الى المركب · وصرخت هسيانج-لين صرخات معدودة ، ولكنها سكتت على الفور ، ربما لأنها كممت · ثم نزلت سيدتان ، واحدة غريبة والأخرى السيدة وى العجوز · والبعض يقولون أنهم رأوا الأخت هسيانج-لين راقدة مقيدة فى قاع المركب ·

وقال عمى الرابع :

ـ الأوغاد ! ولكن ···

فى ذلك اليوم قامت زوجة عمى الرابع بطهى الغداء بنفسها ، بينما ساعدها ابنها نيو ـ ايره فى اشعال النار ·

وعادت السيدة وى العجوز بعد الغداء · فقالت زوجة عمى الرابع فى عنف متقد ، وهى تغسل الصحون :

ـ ماذا تقصدين بسلوكك الشائن ؟ لقد أحضرتها هنا بنفسك ، ثم تتآمرين معهم لاختطافها ، وتتسببين فى مثل هذه الفضيحة · ماذا سيقول الناس ؟ هل تريدين أن تجعلى منا أضحوكة ؟

ـ اى‌يا ، اى‌يا ! لقد خدعت ، حقا ، حقا ، وها أنا عدت لأشرح الوضع · لقد جاءت لى وطلبت منى أن أجد مكانا لها · كيف كان لى أن أعرف أن هذا كان دون علم حماتها · ؟ سامحينى · انها غلطتى ، فأنا امرأة عجوز وضعيفة · كان يجب أن أكون حريصة أكثر · ومن حسن الحظ أن منزلك مشهود له بالكرم وأعرف أنك لا تعاملين أمثالنا من الناس واحدة بواحدة ، فأنت صاحبة قلب رحيم · وسوف أجد لك خادمة ممتازة بالتأكيد حتى أكفر عن غلطتى ·

وهكذا أسدل الستار عن هذا الجزء من التراجيديا ، ونسى بعد ذلك بقليـــل ·

وكانت زوجة عمى الرابع فقط ، التى وجدت صعوبة فى العثور على خادمة تسد الفراغ الذى تركته الأخت هسيانج-لين ، فمن خلفنها كن كسولات ، أو لا يجدن الطهى ، أو الاثنين معا ، فكانت زوجة عمى الرابع تقـــول :

ـ ترى ماذا حل بهـــا ؟

وكلها أمل أن تعود ٠ ومع بداية العام التالى فقدت هذا الأمل ٠

ومع ذلك ، وعند نهاية الشهر الأول ، جاءت السيدة وى العجوز لتقدم تهانىء العام الجديد ٠ كانت ثملة بعض الشىء من النبيذ ، وقالت انها قد تأخرت فى الحضور ، لأنها قد قامت بزيارة أمها فى ويتشياشان لعدة أيام ٠ وتحول الحديث بطبيعة الحال الى الأخت هسيانج ـ لين ٠

فقالت السيدة وى العجوز فى حبور :

ـ تلك المرأة ٠ لقد دخلت فى سنواتها المحظوظة ٠ فعندما جاءت حماتها لتأخذها ، كانت قد وعدت بأن تزوجها لهو لاو ـ لوى من بلدة هوتشياتسن ، وهكذا بعد عودتها بأيام قليلة وضعت فى محفة العرس ونقلوها ٠

فقالت زوجة عمى الرابع مندهشة :

ـ اش ! يالها من حماة !

ـ انك تتكلمين كسيدة من عائلة عظيمة ٠ أما عندنا نحن الفقراء الذين يعيشون فى الجبال ، فهذا لا شىء ٠ انهم كانوا بحاجة للمال لكى يزوجوا أخا زوجها الأصغر ، وكان هذا الزفاف من أجل الحصول على المال المطلوب ٠ ان احماتها امرأة قادرة وبارعة ٠ انها تعرف كيف تدبر الأمور ٠ لقد زوجتها فى الجبال ٠ لأنها لم تكن لتحصل فى القرية على الكثير مقابل الأخت هسيانج ـ لين ، ولكن لا توجد فتيات كثيرات يتزوجن فى الجبال لذلك حصلت على ٨٠٫٠٠٠ كاش ٠ والآن تزوج ابنها الثانى ٠ وأنفقت ٥٠٫٠٠٠ فقط وبقى لها ما يزيد عن ١٠٫٠٠٠ ربح صاف بعد جميع النفقات ٠ هل ترين ؟ أنها كانت صفقة طيبة ؟

ـ ولكن كيف يمكن أن توافق الأخت هسيانج ـ لين على مثل هذا الأمر ؟

ـ وهل لها رأى ؟ فأى عروس ستقوم بمشهد تمثيلى ، ولكن كل ما هو مطلوب هو ربطها ، وحشرها فى المحفة ، وحملها الى منزل العريس ، ووضع قبعة العرس على رأسها ، ومساعدتها خلال الحفل ، ووضعها فى حجرة الزفاف ، واغلاق الباب ٠٠٠ وترك الباقى على العريس ٠ ولكن الأخت هسيانج ـ لين كانت مختلفة ، وصعبة بشكل غير عادى ٠ وقال الناس ربما لأنها اشتغلت فى منزل أحد العلماء ، فهى تتصرف بشكل مختلف عن الناس العاديين ٠ تاى تاى (٦) ، لقد رأينا كل الأنواع منهن ٠

---

(٦) سيدتى [باللغة الصينية] ٠

انهن نساء أولا وأخيرا · لقد رأينا المرأة التى تبكي وتصرخ ، والتى تحاول الانتحار ، والتى تفسد حفل الزفاف بقلب الأشياء وتكسيرها · ولكن الأخت هسيانج ـ لين كانت أسوأهن جميعا · لقد أخبرونى أنها سبت ولعنت طول الطريق ، حتى فقدت صوتها عندما وصلت الى قرية هيو · وعندما سحبوها من السيارة ، لم يكف ثلاثة رجال للامساك بها أثناء الحفل · وعندما أرخوا قيدها للحظة ··· فياللهول ··· دخلت برأسها فى ركن منضدة الزفاف ، فأصابت نفسها بجرح بالغ الخطورة · ونزف الدم بغزارة حتى ان حفنتين من رماد البخور ، وضمادة لم تستطع ايقافه · واستمرت فى السب واللعن بعدها سحبوها الى حجرة الزفاف ، وأغلقوا عليها مع رجلها · اى يا ـ يا ، أنا عمرى ··· وهزت رأسها ، وأرخت عينيها وظلت صامتة للحظة ·

فسألت زوجة عمى الرابع :

ـ وبعـــد ؟

فأجابت رافعة عينيهـا :

ـ قالوا انها لم تخرج طوال اليوم التالى ·

ـ وبعد ذلـك ؟

ـ حسن ، خرجت آخر الأمر وعلى نهاية السنة وضعت طفلا ولدا · وزار أحد معارفنا قرية هيو عندما كنت عند أمى وقال بعد عودته انه رأى الأم وطفلها ، وأن كليهما ممتلىء الجسم وفى صحة جيدة · فليس لها حماة من فوقها ، ورجلها قوى وعامل مجتهد · ولهما منزل ملكهما · أى ـ أى ، لقد دخلت سنواتها المحظوظة ·

بعد ذلك لم تذكر زوجة عمى الرابع الأخت هسيانج ـ لين · ولكن فى خريف أحد السنين ··· لابد أنه بعد سنتين من نبأ زواج الأخت هسيانج ـ لين الذى جلبته السيدة وى ··· ظهـرت مرة أخـرى فى باحة منزل عمى الرابع · ووضعت على المنضدة سلة مستديرة فى شكل كستناء الماء ، وتركت فى الخارج تحت الافريز حزمة فراشها · وكانت ترتدى نفس ما كانت ترتديه فى زيارتها الأولى : شرائط الشعر البيضاء ، ثوبا أسود ، ومعطفا أزرق مخططا ، وصدرية زرقاء فاتحة وكانت بشرتها سمراء شاحبة كمـا كانت من قبل ، ولكن غاضت منها الدماء ، حيث حفرت الدموع أخاديد ، التى يمكن ملاحظتها حول عينيها ، اللتين انطفأت حيويتهما المعهودة · ورافقتها مرة أخرى السيدة وى العجوز ، والتى حكت لزوجة عمى الرابع :

ـ ان هذا ما يطلق عليه حقا ، عواصف السماء التي لا يمكن التنبؤ بها ، كان رجلها قويا ، ثابتا ، لا يعرف الاستسلام · ومن كان يفكر لحظة فى أنه يموت من الانفلوانزا ؟ كانت قد تحسنت صحته ، ولكنه أكل قصعة أرز بارد وعادت له الانفلونزا ثانية · ولحسن الحظ كان لديها ابنها ، كما أنها امرأة بارعة ، يمكنها تقطيع الخشب ، وقطف الشاى ، وتربية دود القز · وسارت أمورها على خير · ولكن من كان يفكر ان طفلها يخطفه ذئب ؟ كان الربيع على وشك الانتهاء ومع ذلك ظهر ذئب فى القرية · من كان يفكر فى مثل هذا الأمر ؟ والآن هى وحيدة · وأخو زوجها الأكبر استولى على منزلها وطردها · لقد تقطعت بها السبل ، وليس أمامها أى طريق آخر ، سوى اللجوء الى سيدتها القديمة · والآن هى خالية الوفاض وليس لديها أى ارتباطات ، وطالما أن تاى تاى مازالت فى حاجة الى خادمة ، فلقد أحضرتها · وأظن أنها طالما تألف كل شىء هنا ، فستكون أفضل كثيرا من أى يد غريبة ·

ورفعت الأخت هسيانج ـ لين عينيها الذابلتين ، وقالت :

ـ كنت حمقاء حقا ، كنت أعلم أن الحيوانات الضارية تنزل الى القرية للبحث عن طعام عندما لا يجدون شيئا فى الجبال خلال موسم الجليد ، ولكنى لم أعلم أنها تنزل فى الربيع · استيقظت مبكرة ، وفتحت الباب ، وأعطيت ابننا سلة من الفاصوليا ، آه ماو ، وقلت له يجلس على عتبة البوابة ويقشرها · كان طفلا مطيعا يفعل كل شىء أقوله له · وخرج وخرجت وراء المنزل لقطع الخشب وغسل الأرز · وبعدما وضعت الأرز فى القدر ، أردت أن أضع الفاصوليا فيه لطبخها · فناديت آه ماو ، ولكنه لم يجب · فذهبت الى البوابة وتطلعت · رأيت الفاصوليا ملقاة على الأرض ولكنى لم ار آه ماو · انه لا يذهب مطلقا ليلعب عند الجيران ، ولكنى ذهبت عندهم وبحثت عنه · ولم أجده · فارتعبت ، وطلبت من الناس أن يذهبوا ويبحثوا عنه · وبعد الظهر ، عثروا على فردة حذائه فى نبات العليق · وقالوا جميعهم بأنه لا يوجد أمل ، وأن الذئب لابد قد خطفه · وذهبوا الى الدغل ، فوجدوه راقدا فى العشب ، وكل أحشائه قد اختفت ، ولا تزال يده ممسكه بيد السلة بأحكام ···

وانخرطت فى النحيب ·

ترددت زوجة عمى فى البداية ، ولكنها بعد سماعها للقصة أحمرت عيناها ، وقالت للأخت هسيانج ـ لين بأن تأخذ السلة وحزمة فراشها الى حجرة الخادمة · وتنهدت السيدة وى العجوز فى ارتياح ، وبدت الأخت هسيانج ـ لين فى حالة نفسية أفضل مما كانت عليه ساعة وصولها · ولما كانت تعرف المنزل تمام المعرفة ، ذهبت ووضعت أغراضها فى أماكنها

بنظام بدون أى توجيه ، ومنذ ذلك الحين أصبحت خادمة فى لوتشين مرة أخرى ٠

وكل فرد أخذ يناديها الأخت هسيانج ـ لين ، كما كان يناديها من قبل ٠

ولكن هذه المرة قد تغير حظها بشكل كبير ٠ بعد يومين أو ثلاثة تحقق مستخدموها أن يديها ليستا ماهرتين قادرتين كما كانتا فى السابق ، وأن ذاكرتها ضعفت ، وأن وجهها الشاحب كالموت لا يظهر ظل ابتسامة مطلقا ٠ ولم تستطع زوجة عمى أن تخفى استياءها ٠ وكان عمى الرابع يعبس كالمعتاد عندما تأتى ، ولكنه لم يحتج اطلاقا ، لأنه يعلم صعوبة العثور على خادمة مريحة ، لكنه حذر زوجته ، قائلا ان هؤلاء الناس يستحقون الشفقة والرثاء ولكن هذه المرأة مجلبة للشؤم ، ومع ذلك لا بأس أن تساعد فى كل الأعمال العادية على ألا تلمس أى شىء يخص قرابين الأسلاف ٠ فهذه يجب أن تجهزها زوجة عمى الرابع بنفسها ، والا لأصبحت غير نظيفة ولن يلمسها الأسلاف ٠

وكان اعداد قرابين الأسلاف أهم حدث فى منزل عمى الرابع ، واعتادت الأخت هسيانج ـ لين أن تكون فى أقصى حالات انشغالها فى مثل هذا الوقت ٠ والآن ليس لديها ما تفعله ٠ وعندما وضعت المائدة فى منتصف البهو والستارة أمامها ، بدأت فى ترتيب النبيذ وعصيان الأكل الخشبية ، كعادتها فأسرعت زوجة عمى الرابع لتقول :

ـ أخت هسيانج ـ لين ، من فضلك اتركى هذه الأشياء ٠ سأقوم بترتيبها ٠

فرفعت يديها فى ارتباك ، وذهبت لاحضار عصيان الأكل الخشبية ٠

فقال زوجة عمى الرابع بتسرع :

ـ أخت هسيانج ـ لين ، اتركى هذا وشأنه ٠ سأقوم أنا بذلك ٠

وبعد ما حامت حول المكان لبرهة وجيزة ، انسحبت أخت هسيانج ـ لين فى ارتباك وحيرة ٠ والشىء الوحيد الذى سمحوا لها أن تفعله فى ذلك اليوم هو اشعال النار فى المطبخ ٠

وكان الناس فى القرية مازالوا ينادونها أخت هسيانج ـ لين ، ولكن نبرة أصواتهم كانت مختلفة ، ومازالو يتحدثون معها ، ولكن بازدراء ، غير أنها فيما يبدو لم تلحظ التغير ، كانت تحملق فقط فى الفضاء فى انشداه ، وتسرد القصة التى لم تستطع نسيانها ليلا أو نهارا ٠٠٠

ـ كنت حمقاء ، حقا ٠٠٠

وتفيض دموعها ويزداد صوتها ارتعاشا ٠

كانت قصة مؤثرة جدا ، حتى الرجال يكفون عن الابتسامة وينصرفون في ارتباك ، أما النساء فيتعاطفن معهـا وتتلاشى نظرة الازدراء من على وجوههن ، بل ويشاركنها البكاء وقد تأتى لها بعض النساء المسنات اللاتى لم يسمعن سردها ، وينصتن لها حتى يتهدج صوتها ، فيطلقن العنان لدموعهن التى قد تجمعت فى عيونهن بالتدريج ، ويجشن ببعض التنهدات ويذهبن مشبعات راضيات ٠ وكانت موضوع حديثهن الرئيسى ٠

واستمرت الأخت هسيانج ـ لين تكرر قصتها وغالبا ما تجتذب ثلاث أو خمس مستمعات ٠ ولكن القصة أصبحت بعد فترة مألوفة لكل فرد ، وتوقفت حتى أكثر السـيدات المسنات حنانا وصـبرا عن ذرف الدموع ٠ وأصبحت كل امرأة فى القرية تستطيع أن تسرد قصتها ، وتضجر منها ٠ وقد تبدأ أى امرأة سردها فتقول :

ـ كنت حمقاء ، حقا ٠٠ حقا ٠

وقد يوقفنها ويرددن :

ـ أجل ، كنت تعلمين أن الحيوانات الضارية تنزل الى القرية للبحث عن طعام ، عندما لا تجد شيئا فى الجبال ٠

ويمضين فى حال سبيلهن ، وتقف هى محدقة فاغرة فاها لبرهة ، ثم تمضى فى حال سبيلها هى الأخرى ، مرتبكة بعض الشىء ٠ ومازالت تحاول عرض قصة آه ماو بحيلة أخرى ٠٠٠ فاذا رأت مثلا طفلا عمره سنتان أو ثلاث سنوات ، فقد تقول له :

ـ أى ـ أى ، لو كان ابننا آه ماو حيا لكان بهذا الكبر ٠٠

وكان الأطفال يخافون منها ومن النظرة التى فى عينيها ، فيتشبثون بملابس أمهاتهم ويحثونهن على الابتعاد عنها ٠ وهكذا انعزلت الأخت هسانج ـ لين وتركت وحيدة تائهة ٠ وأدرك الناس حيلتها الجديدة على الفور ، فيتسابقون ويبادرونها ، عند وجود أطفال قائلين :

ـ أخت هسيانج ـ لين ، لو كان ابنك آه ماو حيا ألم يكن فى كبر هـــذا ؟

قد لاتكون أدركت أن أساها بعد أن لاكته بفاها ، واستطابته لمدة طويلة ، قد تحول الآن الى رواية مهلهلةممجوجة ، كالبصقة ، ولكنها كانت قادرة على الاحساس باللامبالاة والتهكم فى السؤال ، وأن تدرك أنه ليس من الضرورى الاجابة عليه ٠

تستمر احتفالات العام الجديد مدة طويلة فى لوتشين ، وبدأت فى اشغال الناس بعد العشرين من الشهر الأخير من السنة · وفى منزل عمى الرابع ، كان لابد لهم أن رجلا ليساعدهم بشكل مؤقت ، ولكن العمل كان أكثر من طاقته واستأجروا امرأة أخرى · ولكنها ، ليا ـ ما ، كانت نباتية قانتة مخلصة ، فلا تقوم بذبح الدجاج والبط ، وتغسل الأطباق فقط · أما الأخت هسيانج ـ لين فلم يكن لها أى عمل تقوم به سوى رعاية النار · فكانت تجلس وتراقب ليا ـ ما وهى تغسل الأطباق ، عندما يتساقط ثلج خفيف فى الخارج وتأخذ فى مناجاة نفسها بعد أن تتطلع الى السماء ، مغنية :

ـ أى ـ أى ، كنت حمقاء حقا ·

فتطلعت اليها ليا ـ ما بنفاد صبر قائلة :

ـ أخت هسيانج ـ لين ، ها أنت تعودين ثانية دعينى أسألك ، ألم تشجى رأسك عندما ضربت بها فى مائدة الزفاف فى ذلك الوقت ؟

فأجابت بتملص : :

ـ م م م م ·

ـ دعينى أسألك ، لماذا استسلمت فى النهاية ؟

ـ أنا ؟

ـ أجل ، أنت · أظن أنك كنت راغبة · والا ···

ـ آه ··· آه ، ولكنك لا تعرفين كم هو قوى ·

ـ لا أظن ذلك · لا أظن أن امرأة قوية مثلك تعجز عن أن تقاومه · لابد كنت راغبة فى النهاية ، رغم أنك الآن تضعين اللوم على قوته ·

فقالت فى ابتسامة :

ـ آه ··· آه ··· كان لابد أن تحاولى مقاومته بنفسك ·

وتضحك ليا ـ ما ، فيتغضن وجهها المتجعد مثل نواة الخوخ ، وتتحول عيناها الجافتان الدقيقتان من الندبة التى على جبين الأخت هسيانج ـ لين الى عينيها ، فتنغص عليها ، فتزم شفتيها ابتسامتها ، وتحول عينيها لتنظر الى نتف الثلج ·

وتقول ليا ـ ما فى غموض :

ـ أخت هسيانج ـ لين ، لقد أخطأت التقدير بشكل سيىء · كان يجب أن تقاومى حتى النهاية ، أو تخبطى رأسك حتى تموتى · هذا ما كان

يجب أن تفعليه · ولكن الآن ؟ لقد عشت مع رجلك الثانى سنتين فقط وحصلت مقابل ذلك على اسم مشئوم بشع · فكرى فقط ، عندما تذهبين الى العالم السفلى ، سيتقاتل شبحا هذين الزوجين عليك · فلمن منهما سيعطونك ؟ لن يكون أمام الملك ينلو العظيم (٧) الا أن يقسمك بالمنشار الى نصفين بينهما ····

هنا تصيب الرعدة الأخت هسيانج – لين : فهذا الأمر لم تسمع به فى الجبـال ·

– وأعتقد أنك يجب أن تكفرى عن جريمتك قبل أن يفوتك الوقت · هبى عتبة باب لمعبد تو – تى ترمز لشخصك البغيض ، حتى تطؤك أقدام ألف رجل ، ويتخطى من فوقك أرجل عشرة آلاف رجل كنوع من التكفير عن خطيئتك العظيمة · عندئذ قد تتجنبين ألوان العذاب المدخر لك ·

ظلت الأخت هسيانج – لين صامتة ولكنها حتما ، قد تأثرت تأثرا عميقا ، أرقها طيلة الليل · وبعد الافطار ذهبت الى معبد تو – تى فى الحدود الغربية للقرية ، لتقديم عتبة الباب · وفى البداية لم يقبل الحارس الهدية ، ولكن دموعها وتوسلاتها انتصرت أخيرا ، وقبل منها القربان مقابل ١٢٫٠٠٠ كاش ·

لم تكن قد تحدثت مع أحد لمدة طويلة ، لأنها أصبحت منبوذة بسبب قصة ابنها آه ماو المملة ، ورغم ذلك ، بعد حديثها مع ليا – ما ··· الذى يبدو أنه أذيع وانتشر فورا ··· بدأ الناس يجدون فيها متعة جديدة ، ويحاولون أن يلاطفوها لتتكلم · أما الموضوع ، فهو بالطبع موضوع جديد ، يتركز على الندبة التى على جبينها ·

فيقول أحدهـم :

– أخت هسيانج – لين ، دعينى أسألك ، لماذا استسلمت أخيرا ؟

وقد يردد آخر ، وهو يتطلع الى ندبتها :

– أى ، خسارة كبيرة ، كسرت رأسك مقابل لا شىء ·

وأدركت من وجوههم وأصواتهم أنهم يسخرون منها ، فكانت تحملق فى انشداه فقط ولا تقول شيئا ، وفيما بعد ، لم تكن حتى تلفت رأسها ، وتلجم فمها · وأصبحت تقوم بتأدية أعبائها··· من كنس وغسل الخضروات والأرز ، والركض وراء المهام الصغيرة ، حاملة ندبة عارها فوق جبينها ·

---

(٧) الملك ينلو فى الميثولوجيا الصينية هو سيد جهنم الخامسة (يوجد ثمانية عشر) وقاضيها ·

وبعد سنة تقريبا ، حصلت على أجورها التى كانت زوجة عمى الرابع تحفظها لها ، فحولتها الى دولارات مكسيكية ، وطلبت السماح بالخروج للذهاب الى الحدود الغربية للقرية • وعادت فى الحال وأخبرت زوجة عمى الرابع أنها وهبت عتبة بابها الى معبد تو - تى • وظهرت فى حالة نفسية أفضل عما كانت عليه لمدة طويلة وبدت فى عينيها علامات الحياة •

وعملت بجد غير عادى فى اعداد قرابين الأســلاف عند الانقــلاب الشتوى • وبعد ما راقبت زوجة عمى الرابع وهى تملأ الأطباق بالذبائح والقرابين ، ووضع آه نيو المائدة فى منتصف البهو ، ذهبت بكل ثقة لاحضار كاسات النبيذ وعصيان الأكل • فقالت زوجة عمى الرابع فى صــوت مذعــور :

- لا ، لا تزعجى نفسك ياأخت هسيانج - لين فسحبت يديها وكأنها مست حديدا ساخنا ، ووجهها أسود شاحب مثل الفحمة المحروقة • ولم تحاول أن تأتى بعصيان الأكل • ووقفت فقط وكأنها تائهة ، ولم ترحل حتى جاء عمى الرابع لاشعال أعواد البخور وصرفها •

وفى هذه المرة ، كان التغير الذى طرأ عليك غريبا • وفى اليوم التالى غاضت عينيها وكأنهما عزقتا فى قاع نهر ، وبدت وكأن عقلها قد فارقها كلية • وأصابها خوف مروع بشكل مفزع ، لا من الليل والظلام فقط بل ومن الناس أيضا ، حتى مستخدميها • فكانت تتسلل فى هدوء ، مرتعدة مثل الذى تجاسر وجازف بالخروج من جحره فى وضح النهار ، وتجلس شاردة مثل الوثن الخشبى • وفى أقل من نصف عام أصبح شعرها أشيب ، وساءت ذاكرتها ، حتى انها كانت تنسى أحيانا الذهاب لغسل الأرز فى النهــر •

فتقول زوجة عمى الرابع ، أحيانا ، لتسمعها ، كانذار لها :

- ماذا بك يا أخت هسيانج - لين ؟ كان لا يجب أن نحتفظ بها من البـــداية •

ولكنها استمرت على نفس الحال ، ولم تظهر أى اشارة لاسترداد علقها • وبدأوا فى التفكير فى ابعادها ، وأمروها بالرجوع الى الســيدة وى العجوز • وعندما كنت أعيش فى لوتشين ، اعتادوا أن يتكلموا عن ابعادها ، ولكنهم كانوا يتكلمون فقط ، ومما رأيته فى زيارتى هذه المرة ، كان من الواضح أنهم نفذوا تهديدهم بالفعل أخيرا •

ولكن هل أصبحت شحاذة فور تركها منزل عمى الرابع ، أم أنها ذهبت الى السيدة وى العجوز أولا ثم أصبحت شحاذة ، لم أستطع الجزم •

لقد ايقظتنى فى فزع الانفجارات القوية للمفرقعات النـارية فى الناحية • وبينما كنت أنظر بعينين نصف مفتوحتين لشعلة المصباح الصفراء التى فى حجم حبة الفاصوليا ، سمعت طرقعة سلسلة من المفرقعات النارية ••• وكان احتفال العام الجديد فى منزل عمى الرابع ، وعلمت أنه لابد وأن يكون التهجد الخامس تقريبا • وبعينين طارفتين ، سمعت كالحلم الطرقعة المستمرة تأتى من بعيد ، وبدت وكأنها تشكل سحابة كثيفة من أصوات بهيجة فى السماء ، مختلطة مع نتف الثلج وتضم القرية كلها فى حضن كبير • بين ذراعى الصوت البهيج ، شعرت بتبدد الهم وبالارتياح ، وانقشعت المخاوف والانقباضة التى قد انتابتنى طوال اليوم السابق والجزء الأول من الليل ، مع هذا الجو المشع ابتهاجا وسعادة روحية • ورأيت بخيالى أن الآلهة وحكماء السماء من فوقنا والأرض من تحتنا ، نشوى فى عبق البخور ويقرابين النبيذ واللحوم ، فكانوا يتمايلون مترنحين فى السماء ، فى أهبة لمنح بركات غير محدودة على سـكان لوتشـين •



دود قز الربيع [1]

ماو تون

ولد شين ين ـ بنج فى عام ١٨٩٦ وكتب تحت اسماء مستعارة عديدة ، أكثرها شهرة هو ماو تون • وفى قصص مثل « دود قز الربيع ، يصف بثراء وبتفاصيل حقيقية اصـــيلة حالة الفلاحين الصـــينيين واوضاعهم • ويصور برشاقة بارعة ، واناقة فنية ، وقوة هائلة ، وفن عظيم معاناة بلدة وشعبها » •

جلس تونج باو على صخرة تحف ضفة القناة ، وظهره الى الشمس ، وغليونه طويل الساق يميل بجانبه • وكانت الشمس قد اتقدت ، رغم أن فترة « الزاهر الصحو » (٢) قد هلت ، فشعر بالدفء كمجمرة النار • وازداد احساسا بالحر ، عندما رأى مقتفى أثر شاوهنج منطلقين باجتهاد فى صفوفهم ، وحبات العرق الكبيرة تتساقط من جبينهم ، رغم قمصانهم المفتوحة • كان تونج باو لا يزال مرتديا ملابسه الشتوية ، فلم يتكهن بنوبة الحر المباغتــه ، ولم يفكر فى استرداد ثوبــه الخفيف من دكان الرهنيات •

وتمتم تونج باو وهو يتفل فى القناة :

ـ حتى الطقس تغير ••

لم تمر مراكب كثيرة هكذا من قبل ، كما ولم ير من قبل مثل هذه الموجات والدوامات الرقراقة التى تنبثق من حين لآخر فتتكسر السطح الذى يشبه المرآة للمياه المائلة للاخضرار ، التى تشوب الانعكاسات الوديعة للضفاف الطينية ، والصفوف الأنيقة لأشجار التوت • وحاليا يمكن للمرء أن يميز الأشجار ثانية ، وهى تتارجح من جانب الى جانب فى البداية مثل الرجال السكارى ، ثم تصبح بلا حركة واضحة ومتميزة كما كانت من

---

(١) عن الترجمة الانجليزية لـ : تقى ـ تشن وانج •

(٢) فصل الربيع •

قبل ، و قد أنبتت براعمها التى تشبه قبضة اليد أوراقا دقيقة رقيقة ٠

مازالت الحقول مشققة جافة ، لكن أشجار التوت قد اتخذت شكلها الطبيعى ٠ وبدا أنه لا نهاية للشقوق على طول الضفاف ، وكان يوجد بستان آخر واسع خلف تونج باو ٠ وبدت الأشجار وكأنها تزدهر على دفء نور الشمس وتنمو أوراقها الرقيقة بشكل مرئى كل ثانية ٠

وكان هناك مبنى أبيض رمادى ، ليس ببعيد من حيث يجلس تونج باو ، يستخدمه مشترو الشرانق أثناء الموسم ، ولكنه مهجور تماما الآن٠ وهناك اشاعات تقول بأن المشترين لن يأتوا على الاطلاق هذه السنة ، لأن مصانع شنغهاى قد عطلتها الحرب ، ولكن تونج باو لا يصدق هذا ٠ لقد عاش ستين عاما ، ولم ير الوقت بعد ، الذى يسمح لأوراق التوت أن تذوى على الأشجار أو تستخدم كعلف ، الا اذا لم يفقس البيض بالطبع ، كما قد يحدث أحيانا ، حسب نزوات السماء غير المتوقعة ٠

وداعب تونج باو الأمل ، ففكر ثانية :

– ياله من طقس دافىء ، لهذا الوقت من السنة ! فمنذ أكثر من أربعين سنة مضت ، وبعد ربيع دافىء مثل هذا ، تم جنى واحد من أفضل محاصيل الحرير الذائعة الصيت ٠ انه يذكرها جيدا : فهى سنة زواجه أيضا ٠ وكان خط عائلته عندئذ فى صعود ٠ فكان أبوه يعمل مثل الثور العجوز المخلص ، يعرف كل شىء ويفعل كل شىء ، وجده ، الذى كان أسير تايبنج(٣) فى عصره ، مايزال نشيطا ، بالرغم من كبر سنه ٠ وفى ذلك الوقت أيضا ، لم يكن نجم منزل تشين قد بدأ فى أفوله بعد ٠ لأنه بالرغم من أن السيد الاقطاعى العجوز قد مات ، الا أن السيد الصغير لم يكن قد أدمن الأفيون بعد ٠ وكان لدى تونج باو شعور غامض بأن حظ عائلة تشين وحظ عائلته متضافران بشكل ما ، رغم أن الأول كان من أغنى أسرة فى البلدة ، بينما أسرته أسرة فلاحين مستورين لا أكثر ٠

وكان كل من جده والسيد الكبير من أسرى ثوار تايبنج ولقد فر كلاهما قبل قمع الثورة ٠ والحدوتة المحلية تقول ان السيد الاقطاعى العجوز ، قد انسل هاربا حاملا كمية معتبرة من ذهب تايبنج ، وأن ذهبه هذا هو الذى ساعده فى العمل فى مجال الحرير ، وجمع ثروة هائلة ٠ وأثناء ذلك ، انتعشت أسرة تونج باو أيضا ٠٠ وسنة وراء سنة ، كان محصول الحرير طيبا جدا ، واستطاعت أسرته فى غضون عشر سنوات ، الحصول على عشرين موا (٤) من أراضي الأرز ، وأكثر من عشرة فدادين

---

(٣) أسير تايبنج : سجين ثوار تايبنج ٠ وكانت ثورة تايبنج (١٨٥١ – ١٨٦٤) أهم الثورات فى القرن التاسع عشر ضد أسرة مانتشو (١٦٤٤ – ١٩١٢) ٠

(٤) المو : حوالى سدس فدان ٠

من أشجار التوت • فكانوا أكثر عائلات القرية رخاء ، وكانت عائلة تشين أغنى العائلات فى البلدة •

ولكن انهارت العائلتان بالتدريج ، ولم يعد تونج باو يمتلك أرضا للأرز بالاضافة الى أكثر من ثلاثة آلاف دولار دين • أما بالنسبة لعائلة تشين ، فقد « انتهت » منذ فترة طويلة • وقيل أن السبب لانهيارهم السريع هو أن أشباح ثوار تايبنج قد قاضوهم فى محاكم العالم السفلى ، وكفلهم الملك ينلو (٥) ووعدهم بجمع ما لديهم • وكان تونج باو يميل لتصديق هذه الفكرة ، والا لماذا أدمن المالك الصغير الأفيون فجأة ؟ ومع ذلك فلا يستطيع فهم سبب انهيار حظ أسرته فى نفس الوقت • لقد كان على يقين من أن جده لم يهرب بأى ذهب من تايبنج • ولكن أليست عائلته تكفر عن ذلك لأنها أدت خدمات للثوار الموتى ، حسب ماتذكر ؟ انه لم يعرف الكثير عن جده ، ولكنه عرف والده كرجل شريف ومكافح ولا يمكن أن يفكر فى أى شىء قد فعله هو نفسه يستحق سوء الحظ الذى قد وقع عليه • وابنه الأكبر آه سو ، وزوجته كلاهما مجتهد ومعاف ، وابنه الأصغر آه دو ليس سيئا ، على الرغم من أنه طائش أحيانا مثل كل الشباب فى سنه •

ورفع تونج باو وجهه الأسمر المتجعد وعاين المنظر الذى أمامه • القناة ، المراكب ، بساتين التوت على جانبى القناة ••• كل شىء هو نفسه كما كان من أربعين سنة مضت • ولكن العالم قد تغير : انهم غالبا ما يعيشون على القرع ولا شىء غيره ، وعليه أكثر من ثلاثمائة دولار دين •

وفجأة سمع عدة صفرات من صفارة بخارية من ناحية منعطف فى القناة • وفى الحال اندفعت قاطرة بسرعة أمام البصر فى جلال ، وكانت تقطر ثلاثة مراكب وراء بعضها البعض • ركضت المراكب الصغيرة فى القناة هاربة بعيدا عن هذا الوحش اللاهث ، ولكنها دخلت فى الحال فى مجال الأثر الواسع الذى تخلفه القاطرة ومقطوراتها الثلاث الجارية فى المياه ، متأرجحة لأعلى ولأسفل بينما أصبح الهواء معبأ بصوت المحرك ورائحة الزيت • وأخذ تونج باو يراقب القاطرة بكراهية ، وهى تختفى عن الأنظار فى المنعطف الثانى • انه كان دائما يضمر عداوة عميقة لمثل هذه الشعوذة الأجنبية كالمراكب البخارية وما شابهها • انه لم ير أجنبيا أبدا فى حياته ، لكن أباه قال له ان المالك القديم قد رأى بعضهم ، وان لهم شعورا حمراء وعيونا خضراء ، ويسيرون بركب مفرودة • ولم يستخدم المالك القديم الأجانب أيضا ، وكان يقول انهم هم الذين سلبوا الناس أموالهم ، وجعلوهم فقراء • ولم يكن لدى تونج باو شك فى صواب رأى

(٥) الملك ينلو : هو حاكم جهنم الخامسة ، فى الميثولوجيا الصينية (ويوجد ثمانية عشر) •

المالك القديم . وعرف من خبرته الشخصية ، أنه منذ ظهور الغزل والقماش الأجنبي والكيروسين في البلد والمراكب البخارية في النهر ، وهو يتحصل على أقل الأجور مقابل الأشياء التي ينتجها بجهده وعمله ، وعليه ان يدفع أكثر وأكثر للأشياء التي يشتريها هو . وبهذا الشكل أصبح أفقر وأفقر حتى انه ليس لديه الآن من أرض الأرز التي تركها له والده شيء بجانب أنه أصبح مدينا . أنه لا يكره الأجانب دون سبب ! ولقد اشتهر عنه بين القرويين شدة عدائه للأجانب .

ومن خمس سنوات مضت ، قالوا له انه يوجد تغيير جديد في الحكومة وان هدف الحكومة الجديدة هو انقاذ الناس من القهر الأجنبي . لم يصدق تونج باو ذلك ، لأنه لاحظ في رحلاته الى المدينة أن الشباب الذين يهتفون « فليسقط الأجانب » جميعهم يرتدون ملابس أجنبيـة . وكان لديه شك في أن هؤلاء الشباب على علاقة سرية بالأجانب ويتظاهرون فقط بأنهم أعداؤهم لكي يخدعوا الناس الشرفاء من أمثاله . بل حتى كان أكثر اقتناعا بأنه كان على صواب عندما سقط شعار « فليسقط الأجانب »، وأصبحت الأشياء أغلى وأغلى ، والضرائب أفدح وأفدح . وكان تونج باو متأكدا أن للأجانب يدا في هذه الأمور .

وكانت القشة التي قسمت ظهر البعير بالنسبة لتونج باو ، هي أن اليرقـات التي تفقس من بيض أجنبي بسـعر يزيد عشـرة دولارات للبيكول (٦) . لقد كان دائما على وفاق مع زوجة ابنه ، ولكنهما تشاجرا بخصوص هذا الأمر . لقد أرادت أن تستخدم البيض الأجنبي السنة الماضية . وانضم اليها أبنه الأصغر آه دو ، وكان زوجها من نفس الرأي ، رغم أنه لم يفصح عن ذلك . وكان على تونج باو أن يتنازل أخيرا ، لأنه لم يقدر أن يتحمل ضغوطهم ، وسمح لهم باستخدام طبقة واحدة من البيض الأجنبي من ثلاث قرروا أن يقوموا بتفقيسها هذا العام .

وقال لنفسه :

– العالم يتحول من سيء الى أسوأ . وبعد بضع سنين ، حتى أوراق التوت لابد أنها ستكون أجنبية ! انني سئمت كل هذا !

واستمر الطقس في الدفء ، وأوراق التوت الرقيقـة التي تشبه الأصابع أصبحت الآن في حجم الأيدي الصغيرة . وبدت الأشجار ، حتى التي تحيط بالقرية نفسها ، أفضل . ومع نمو الأشجار ، كان ينمو الأمل في قلوب الفلاحين . وكانت القرية كلها تتحرك في الاعداد لدود القز . وكانت الأدوات المستخدمة في التربية مأخوذة من حطب الوقود ، لتغسل

---

(٦) وحدة وزن صينية ، من حوالي ١٣٣ الى ١٤٣ رطلا .

ويعاد اصلاحها . وكانت تصطف النساء والأطفال المنشغلون فى هذه العمليات على الغدير المار عبر القرية .

لم يكن يبدو على أحد من النساء أو الأطفال الصحة الجيدة ، حيث كان عليهم من بداية الربيع أن ينقصوا من طعامهم الهزيل ، وكانت ثيابهم كلها بالية قديمة . انهم فى مظهر أفضل قليلا من الشحاذين . ومع ذلك ، فهم ليسوا قنطين ، أو مثبطى الهمة ، بل صامدين بقوة تحملهم العظيمة وأملهم العظيم . وفى عقولهم البسيطة ، كانو يشعرون يقينا ، بأنه طالما لا يحدث مكروه لدود قزهم ، فكل شىء يهون . وعندما كانوا يفكرون كيف تتحول فى غضون شهر الأوراق الخضراء اللامعة الى شرنقات بيضاء كالثلج، وكيف تتحول هذه الشرنقات الى دولارات فضية مجلجلة ، كانت قلوبهم تصخب بالضحك ، بالرغم من أن بطونهم تئن من الجوع .

وكانت من بين النساء سو ـ دا ـ نيانج زوجة ابن تونج باو ، مع ابنها هسياو باو والذى كان فى الثانية عشرة من عمره . لقد انتهوا من غسل صوانى التغذية وسلال التفريخ ، وكانوا يمسحون جباههم بأطراف ستراتهم .

وسألت احدى النساء سو ـ دا ـ نيانج :

ـ سو ـ ساو هل تستخدمين بيضا أجنبيا هذا العام ؟

فأجابت سو ـ دا ـ نيانج بانفعال ، وكأنها مستعدة للشجار :

ـ لا تسأليننى ! فالوالد هو الذى يقرر ... والد هسياو باو فعل ما يقدر عليه لاقناع الرجل الكبير ، ولكن فى النهاية نقوم بتفريخ طبقة واحدة فقط من البيض الأجنبى . فالعجوز يكره كل شىء أجنبى ، وكأنه عدوه المؤكد ، مع أنه لا يبالى على الاطلاق عندما يأتى الأمر الى « النقود الأجنبية » (٧) .

وأثارت المقارنه نوبة من الضحك .

وسار رحل عبر الحقل المفاوح فى الجهة الأخرى من الغدير . وأثناء عبوره للجسر الخشبى نادت عليه سو ـ دا ـ نيانج :

ـ أخ دو ، تعال وساعدنى فى أخذ هذه الأشياء الى البيت . ان هذه الصوانى فى ثقل الكلاب الميتة عندما تكون مبتلة .

ورفع آه دو مجموعة الصوانى وحملها على رأسه مؤرجحا ذراعيه مثل مجدافين . كان شابا ظريفا ، ومستعدا دائما لمد يد المساعدة للنساء ،

---

(٧) « النقود الأجنبية » ، أدخل التجار الأوربيون الدولار الفضة المكسيكى الى الصين .

عندما يحتجن للمساعدة فى تحريك الأشياء الثقيلة أو انقاذها من الغدير • وبدت الصوانى من فوقه مثل قبعة خيزران أكبر من المعتاد • وانطلقت نوبة أخرى من الضحك ، عندما هز وسطه بطريقة نساء المدينة •

فقالت لوتس ، زوجة لى كنج ـ شنج ، جار تونج باو المجاور ، وهى تضحك مع الأخريات :

ـ آه دو ! عد الى هنا واحمل لى شيئا للبيت أنا أيضا •

فأجاب آه دو دون أن يقف :

ـ نادينى بشىء ألطف اذا أردت أن أحمل لك أغراضك •

فقالت لوتس بضحكة عالية :

ـ اذن فلأدعوك ابنا بالمعمودية !

كانت لا تشبه بقية النساء بسبب ملامحها البيضاء غير العادية ، ولكن وجهها كان مفلطحا جدا وعيناها مجرد شقين •

لقد كانت عبدة عند احدى العائلات فى المدينة ، واشتهر عنها عبثها مع الرجال ، رغم أنها كانت متزوجة من كنج ـ شنج قليـل الكلام من نصف سنة فقط •

فتذمرت احداهن على الجانب الآخر من الغدير وتمتمت :

ـ قلة حياء !

عندها جحظت عينا لوتس الشبيهة بعينى خنزير وهى تصرخ :

ـ عمن تتكلمين ؟ تعالى وقوليها على الملأ ان كنت تجرؤين !

ـ هذا ليس من شأنك ! ان من لا حياء لها تعرف تماما عمن أتكلم • وحتى الرجل الميت يعرف من ركل كفنه بأصابع قدمه ، فلماذا تزعجين نفسك ؟

ورشرش بعضهن الماء • واشتركت بعض النساء فى تبادل الكلمات ، بينما ضحك الأطفال وصاحوا فى استنكار ولم ترغب سو ـ دا ـ نيانج أن تورط نفسها ، فالتقطت السلال المتبقية ، وذهبت الى البيت مع هساو باو • وكان آه دو قد أنزل الصوانى فى الرواق وأخذ يراقب الهزل •

وخرج تونج باو من الحجرة ، ومعـه قوائم الصوانى ، التى كان يقوم باصلاحها • فاكفهر وجهه عندما أمسك بآه دو واقفا هناك بلا عمل يراقب النساء • انه لم يرض مطلقا عن تبادل آه دو المزاح من نساء القرية ،

خصوصا مع لوتس ، التى كان يعتبرها اثما من الآثام التى تجلب الحظ السيىء لأى شخص يتعامل معها فى أى شىء ٠

وصرخ فى ابنه :

ـ هل تستمتع بالمنظـر يا آه دو ؟ ان آه سو يعنى بالشرانق فى الخلف ، اذهب وساعده !

لم يرفع نظرته المستنكرة عن ابنـه الى أن ذهب ٠ ثم عاد للعمـل متفحصا ثقوب الدود فى القوائم وقام باصلاح ما يحتاج منها لاصلاح ٠ لقد قام بأعمال نجارة عديدة فى شبابه ، ولكن أصابعه قد تيبست الآن مع مضى الزمن ٠ وبعد فترة ، كان عليه أن يريح أصابعه قليلا ، وأثناء ذلك رفع بصره الى الملاءات البيضاء الثـلاث ، المعلقة من عامود خيزران فى الحجرة ٠

وجلست سو ـ دا ـ نيانج تحت الافريز تلصق الورق فوق سلال التفقيس ٠ لقد استخدموا الجرائد القديمة فى العام الماضى لتوفير بعض النقود ، ولم يكن دود القز فى حالة صحية جيدة ، فقال تونج باو ان هذا نتيجة استخدام الورق الذى عليه حروف كتابة ، وأنه لشىء مدنس ٠ ولكى يشتروا ورقا خاصا للغرض نفسه هذا العام ، كان عليهم أن يوفروا وجبة من وجبات طعامهم ٠ ورفع تونج باو رأسه من عمله ، وهو يتنفس بصعوبة أثناء حديثه لزوجة ابنه قائلا :

ـ سو ـ دا ـ نيانج ، لقد أتت أحمال أوراق الشجر العشرين التى اشتريناها على الثلاثين دولار التى اقترضناها بضمان أبيك ٠ ماذا سنفعل بعد انتهاء أرزنا ؟ ان ما لدينا يكفى يومين فقط ٠

لقد اقترضوا المال بفائدة ٢٪ فى المائة شهريا ٠ وهى تعتبر فائدة منخفضة ، وذلك لأن والد سو ـ دا ـ نيانج كان مستأجرا قديما للدائن ، والا لما استطاعوا أن يحصلوا على مثل هذه النسبة المعقولة ٠

واشتكت سو ـ دا نيانج ، وهى تضع السلال لتجف :

ـ لم تكن فكرة جيدة أن نضع كل المال فى أوراق الشجر ٠ وقد لا نستطيع أن نستخدمها كلها كما حدث فى العام الماضى ٠

ـ ما هذا الذى تتحدثين عنه ! انك تجلبين سوء الحظ علينا حتى قبل أن نبدأ ٠ هل تتوقعين دائما أن نكون مثل العام الماضى ؟ اننا لن نستطيع تجميع أكثر من عشرة أحمال من أشجارنا ٠ فكيف يكفى هذا لثلاث طبقات من البيض ؟

فأجابت سو ـ دا ـ نيانج فى الانفعال :

ـ أجل ، أجل ، انك دائما على حق · وكل ما أعرفه أنك تستطيع أن تطبخ أرزا عندما يوجد بعض منه لطبخه ، وعندما لا يوجد فعليك أن تجوع !

فاكفهر وجه تونج باو ولم يقل شيئا ·

وعندما اقتربت أيام الفقس ، أصبحت القرية كلها ، المكونة من حوالى ثلاثين أسرة ، متوترة بين الرجاء والقلق ، حتى نسيت على ما يبدو الجوع القارس ·

واقترضوا وسعوا للاستدانة من كل مكان وأكلوا أى شىء يستطيعون الحصول عليه ، وغالبا لا شىء الا القرع والبطاطس · ولا أحد لديه أكثر من حفنة أرز فائضة · لقد كان المحصول جيدا فى العام السابق ، ولكن ما العمل مع مالك الأرض ، والدائنين ، والضرائب الاعتيادية والضرائب الخاصة المقدرة ، لقد استنفد كل هذا مخزونهم منذ فترة طويلة · ويكمن أملهم الوحيد حاليا فى دود القز ، وكانت جميع ديونهم مؤمنة بوعد سدادها بعد « المحصول » ·

وعندما تقترب فترة « تكاثر التفريخ » ، يتحول البيض الى اللون الأخضر ويصبح هذا موضوع حديث السيدات أينما التقين ·

ـ لوتس تقول انهم سيدفئون طبقة البيض غدا ·

أنا لا أفهم كيف يمكن ذلك بهذه السرعة ·

ـ ذهب هوانج تاو ـ شيه الى العراف · والكلمات التى رسمها تدل على أن أوراق التوت ستتصل هذا العام لأربعة دولارات للبيكول !

وقلقت سو ـ دا ـ نيانج لأنها لم تكتشف أى لون أخضر على طبقات البيض الثلاث الخاصة بهم · ولم يستطع آه سو العثور أيضا على أى أثر للون الأخضر عندما أخذ الطبقات للضوء وتفحصها بعناية · ولحسن الحظ أن قلقهم لم يدم طويلا ، اذ بدأت البقع الخضراء تظهر فى اليوم التالى · فاحتضنتها سو ـ دا ـ نيانج فى الحال ، لتدفئها ، وجلست فى هدوء وكأنها تطعم رضيعا من ثديها · وفى الليل كانت تنام معهم ، ولا تجرؤ على التحرك ، بالرغم من أن البيض الدقيق الملاصق لجسدها يدعوها الى الحك ! وكانت سعيدة وخائفة كما لو كانت تترقب ولادة طفلها الأول !

وكان الموضع الذى سيغزل فيه الدود شرانقه قد أعد قبل ذلك بأيام · وفى اليوم الثانى « للتدفئة » لطخ تونج باو رأس ثوم بالطين

ووضعها فى ركن الحجرة • اذ كان من المعتقد أنه كلما زادت الأوراق التى على التوم فى يوم فقس دود القز ، أصبح المحصول أفضل • وأصبحت القرية كلها مشغولة بهذه التدفئة • ولم تظهر الا أعداد قليلة من النساء عند جداول المياه أو فى الأراضى المفلوحة • وظهرت فى الوجود حالة طوارىء غير معلن عنها • حتى أفضل الأصدقاء وأعز الجيران يحجمون عن زيارة بعضهم البعض ، لأن ازعاج الآلهة الخجولة الحساسة التى تحمى دود القز ليس بالهزل • وكانوا يتكلمون بايجاز وفى همسات عندما يلتقون فى الخارج • لقد كان موسما مقدسا •

وأصبح الجو أكثر توترا عندما بدأت « السيدات السواداوات » تخرجن من البيض •

وكان هذا دالا على توقيت الفقس ، وظهر الجيل الأول ، فى منزل تونج باو ، قبل اليوم المحدد مباشرة ، ولكنهم استطاعوا أن يتجنبوا حدوث كارثة بنفل الأقمشة من صدر سو ــ دا ــ نيانج الدافىء الى حجرة دود القز • واسترق تونج باو نظرة خاطفة الى التوم وقلبه يتوقف عن الدق ، فوجد فصا أو فصين فقط قد تبرعما • ولم يجرؤ أن يسترق نظرة أخرى ، ولكنه تضرع فقط للأفضل •

وجاء أخيرا يوم حصاد « االسيدات السوداوات » • كانت سو ــ دا ــ نيانج قلقه ومضطربة ، تراقب باستمرار خروج البخار من القدر ، لأن اللحظة المناسبة لبدء العملية هو عندما يتصاعد البخار مستقيما فى الهواء • وأشعل تونج باو البخور والشموع ووضعها بتبجيل ووقار أمام اله المطبخ (٨) • وذهب آه سو ، وآه دو الى الحقول لجمع الزهور البرية ، بينما أخذ هسياو يقطع عشب فتيل المصباح الى قطع صغيرة دقيقة للخليط المستخدم فى تجميع الدود المفقوس حديثا • وعند الظهر كان كل شىء جاهزا للحظة الكبرى • ولما بدأ الوعاء يغلى بقوة ، والبخار يتصاعد مستقيما فى الهواء ، قفزت سو ــ دا نيانج عاليا ، لاصقة فى شعرها زهرة من الورق مهداة لدود القز ، وزوج من ريش الأوز ، ودخلت الغرفة مع تونج باو الذى يحمل معه عامودا من الصلب ، ومزجها مع الخليط المعد من الزهور البرية ، وعشب فتيل المصباح • وفصلت سو ــ دا ــ نيانج طبقتى البيض ونثرت الخليط عليهما • ثم أخذت العامود من تونج باو وفردت القماش فوقه ، وأخذت ريشة الأوز وبدأت تفرش « السيدات السوداوات » بلطف داخل السلال المجهزة • وتم اتباع نفس الاجراءات

---

(٨) اله المطبخ ، اله العائلة فى الميثولوجيا الصينية ، الذى يرفع تقريره للسماء سنويا عن سلوك كل فرد من أفراد الأسرة •

مع الطبقة الثانية . أما الثالثة ، التي تحتوى على البيض الأجنبى ففرشتها برفق داخل سلال منفصلة . وعندما تم عمل كل شيء ، أخذت سو ــ دا ــ نيانج الزهرة الورقية والريشتين ولصقتها على طرف أحد السلال .

كان هذا من الطقوس المبجلة والجليلة ، يمارس لمئات ومئات من السنين . انها مناسبة جليلة مثل التضحية فى ساحة الوغى ، لأنها تدشن صراع شهر قاس لايلين ، ضد طقس ردىء ، وحظ عاثر ، حيث لا توجد راحة لا ليل ولا نهار . وبدت « السيدات السوداوات » فى حالة صحية جيدة ، وهن يزحفن متجولات فى السلال الصغيرة ، وكان لونهن كما يجب أن يكون . وتنهد كل من تونج باو ، وسو ــ دا ــ نيانج فى ارتياح ، رغم أن وجه الأول قد اكفهر عندما استرق نظرة لرأس الثـــوم ، لأن البراعم لم تنم بشكل ظاهر . هل يمكن أن يكون الحال مثــل الســنة الماضية ثانية ؟

ولحسن الحظ لم تثبت تكهنات الثوم دقتها هــذه المرة . ورغم من أنها كانت تمطر خلال طرح الاهاب القديم الأول والثانى والطقس أبرد من طبيعة « الزاهر الصحو » ، كانت « الأشياء الثمينة » كلها فى صحة وعافية . وكان هذا الحال مع « الأشياء الثمينة » فى القرية كلها . فعم جو من السعادة ، حتى الغــدير بدأ يجلجل ضاحــكا . وكان الاستثناء الوحيد هو أهل بيت لوتس ، لأن دودهم كان وزنه عشرين رطلا فقط فى « السبات » الثالث (٩) ، وقبل الرابع مباشرة شاهدوا زوج لوتس وهو يفرغ ثلاث سلال فى الغدير . وجعلت هذه الحالة القرويين يضاعفون من حذرهم ضد تلويث المرأة التعيسة . فكانوا يتجنبون حتى المرور بجوار منزلها ، كما كانوا يتجنبونها هى وزوجها الصموت . ولم يريــدوا أن تقع عيونهم عليها أو أن يتبادلوا معها كلمة واحدة خوفا من أصابتهم بنحس عائلتها . وحذر تونج باو ابنه آه دو أن يراه مع لوتس ، قائلا بصوت مرتفع حتى تسمع لوتس :

ــ سأقاضيك أمام الحاكم اذا رأيتك تتكلم مع هذه المرأة .

ولم يقل آه دو شيئا ، أنه الوحيد الذى لا يعتقد فى هذه الخرافات بالاضافة الى أنه مشغول وليس لديه وقت يضيعه مع أحد .

وكان وزن دود قز تونج باو ثلاثمائة رطل بعد « السبات الكبير » . ولمدة يومين وليلتين ، لم يكن لأى شخص ، حتى هسياو باو فرصة ليغمض عينيه . كانت الديدان فى حالة نادرة ، ولم يعرف تونج باو أى شىء

---

(٩) « السبات » الثالث : تتخلل فترة تغذية دود القز أربع فترات نوم ، مدة كل منها ٢٤ ساعة .

مساو لذلك في ذاكرته الا مرتين ··· مرة عند زواجه ، والمرة الثانية عند مولد آه سو · لقد استنفدوا سبعة أحمال من أوراق التوت في اليوم الأول · ولم يستغرق الحساب طويلا لمعرفة الأوراق الأخرى التى سيحتاجونها قبل غلي الشرانق ·

وقال تونج باو لآه سو :

ــ المالك ليس لديه ما يقرضه ، علينا أن نطلب من حميك أن يحاول مرة أخرى مع مستخدميه ·

فقال آه سو وهو يستطيع أن يفتح عينيه بالكاد :

ــ مازال لدينا حوالى عشرة أحمال على أشجارنا ، تكفى ليوم آخر ·

فقال تونج باو بنفاد صبر :

ــ هراء لقد بدأوا الأكل من يومين فقط · وسيأكلون لمدة ثلاثة أيام أخرى دون وضع الغد في الحساب · نحتاج لثلاثين حملا آخر ، ثلاثين حملا ·

لقد ارتفع سعر أوراق التوت الى أربعة دولارات للحمل الواحد ، كما تنبأ العراف ، الذى معناه أنه سيكلف مائة وعشرين دولارا لشراء ما يكفى من أوراق التوت ليكملوا المسيرة · لم يكن أمامهم سوى اقتراض المبلغ المطلوب مقابل أرض شجر التوت الوحيدة الباقية لديهم · وارتاح تونج باو بعض الشيء عندما فكر أنه سيحصد خمسمائة رطلا من الشرانق على ما يكفى لرد ديونه ويزيد ·

وعندما وصلت أول دفعة من أوراق التوت ، كانت « الأشياء الثمينة » قد ظلت بدون طعام لأكثر من نصف ساعة ، وكان أمرا يفطر قلوبهم وهم يرونها ترفع رءوسها وتؤرجحها هنا وهناك فى البحث عن أوراق التوت · وامتلأت الحجرة بصوت المضغ حالما نثرت الأوراق على السرر ، فى أكوام ، حتى وجد الموجودون فى الحجرة صعوبة فى سماع بعضهم البعض · واختفت أوراق التوت فى وقت لا يكاد يذكر ، وعادت السرر بيضاء ثانية بالدود النشط · وظلت الأسرة كلها تغطى السرر بالأوراق الخضراء · ولكن هذه هى الدقائق الخمس الأخيرة من المعركة ، وفى خلال يومين ستستعد « الأشياء الثمينة » « لتسلق الجبل » وتأدية مهمتها المحددة ·

وفى الليل ظل آه دو يحرس الحجرة بمفرده ، حتى يستطيع تونج باو ، وآه سو ، أن يأخذا قسطا قليلا من الراحة · كانت ليلة مقمرة ، وكان بالغرفة مدفأة صغيرة لدود القز · ونثر فى النوبة الثانية طبقة

جديدة من أوراق التوت على السرر ، ثم جلس القرفصاء بجانب النار ، فى انتظار النوبة التالية • وثقلت عيناه وغلبه النعاس بالتدريج • واستيقظ على جلبة عند الباب ، ولكن كان النوم يغلبه فلم يتحر جيدا ، وخلد للنوم ثانية ، رغم أنه ميز دون وعى صوتا واهنا غريبا وسط صوت مضغ أوراق التوت المألوف • وفجأة استيقظ بهبة من رأسه المتدلية فى الوقت المناسب ، ليلاحظ حفيف احتكاك الستارة وهى تحتك بالباب ، ويلمح شخصا ما يفر هاربا • فنهض آه دو قافزا وركض خارجا • ومن خلال البوابة المفتوحة ، استطاع أن يرى المتلصص يسير بسرعة نحو الغدير • فطار آه دو وراءه ، وفى لحظة أخرى طرحه أرضا •

ــ آه دو ، اقتلنى اذا أردت ولكن لا تخبر أحدا !

انه صوت لوتس ، الشىء الذى جعل آه دو يرتعش • وسددت عينيها الخنزيرتين فى عينيه ، ولكنه لم يجد أى أثر للخوف فيهما •

فسألها آه دو :

ــ ماذا سرقت ؟

ــ أشياءكم الثمينة !

ــ أين وضعتيها ؟

ــ لقد ألقيت بها فى الغدير !

وتجمد وجه آه دو عندما أدرك نيتها الشريرة •

فقال :

ــ يالك من شريرة ! ماذا فعلنا لك ؟

ــ ماذا فعلتم ؟ كثيرا ! انها لم تكن غلطتى أن أشياءنا الثمينة لم تعش • أنا لم أضركم فى شىء ، ولقد ازدهرت أشياءكم الثمينة ، فلماذا تعتبروننى نجمة نحس ، وتتجنبوننى مثل الجرباء ؟ انكم تعاملوننى كلكم وكأننى لست آدمية على الاطلاق •

ونهضت لوتس أثناء حديثها وقد شوهت الكراهية وجهها • وتطلع آه دو اليها للحظة ، ثم قال :

ــ اننى لن أمسك بسوء ، يمكنك أن تذهبى الآن !

وعاد آه دو الى الحجرة ، وقد طار النوم من عينه ولم يقع أى حادث معاكس خلال بقية الليل • وظلت « الأشياء الثمينة » بصحة وعافية الى أبعد حد ، واستمرت فى التهام أوراق التوت بشراهة وكأنها ممسوسة

أو فيها هوس ٠ وعنـد الفجر جاء تونج باو و سوـداـنيانج لاراحـة آه دو ٠ والتقطا دود القز الذى تحول بالتدريج من الأبيض الى الوردى ، وأمسكا بواحدة فى الضوء ليشاهدا ان كانت قد أصبحت شبه شفافة ٠ وفاض قلباهما بالسعادة ٠ وعندما ذهبت سو ـ دا ـ نيانج الى الغدير لملء الماء ، اقتربت منها ليا باو ، احدى جاراتهم ، وقالت لها فى صوت خفيض :

ـ فى الليلة الماضية رأيت بين النوبة الثانية والثالثة المرأة اياها تخرج من منزلكم ، ويتبعها آه دو ٠ ووقفا متلاصقين ، وتحدثا لمدة طويلة ٠ كيف تسمحون بهذا فى منزلكم ؟

واندفعت سو ـ دا ـ نيانج الى البيت وأخبرت زوجها ، ثم تونج باو بما حدث ٠ وعندما استدعوا آه دو ، أنكر كل شىء ، وقال لابد أن ليا باو كانت تحلم ٠ وكان عزاء تونج باو أنه لا يوجد أى اشارة تدل على اصابة دود القز باللعنة ، ولكن تظل شهادة ليا باو ثابتة ، ولا يمكن أن تكون قد اخترعت القصة برمتهـا ٠ ومن ثم لم يعد أمامـه الا أن يرجو الا تكون المـــرأة النحس قد خطت بالفعـل داخل الحجرة ، وتكون قد التقت بآه دو فى الخارج فقط ٠

وراودت تونج باو الهواجس عن المستقبل ٠ وكان يعرف جيدا أنه من الممكن أن تسير كل الأمور على ما يرام طوال المسيرة ، ثم يموت الدود على الأشجار ٠ ولكنه لم يجرؤ على التفكير فى هذا الاحتمال ، لأن مجرد التفكير فى ذلك يكفى لجلب سوء الحظ ٠

وأخيرا تسلق دود القز الأشجار ، ولكن قلق المربـين كان يفوق الحد ، لأنه لا يوجد ضمان بعد بأن جهدهم واستثمارهم لن يضيع سدى ٠ ومع ذلك ، لم يدعوا هذه الشكوك توقفهم عن عملهم ٠ ووضعت النيران تحت « الجبال » لاجبار دود القز على التسلق ٠ وجلست الأسرة كلها القرفصاء حول الأشجار ، وأخذت تنصت لحفيف الأوراق أثناء زحف دود القز من بينها ، كل تحاول أن تعثر على ركز تغز لـفيه غرفتها الحريرية ٠ فيبتسمون منشرحين أو تغوص قلوبهـم حسب ما يسمعونـه من أصوات مطمئنـة أو غير مطمئنة ٠ واذا تصادف ونظروا لأعلى ولاحظوا قطرة ماء من عل ، فلا يمانعون على الاطلاق ، لأن هذا يعنى أن هناك دودة قز واحـدة على الأقل ، مستعدة للعمل فى تلك اللحظة ٠

وبعد ثلاثة أيام سحبوا النيران ٠ ولم تستطع سو ـ دا نيانج تحمل الحيرة فسحبت أحد أركان الستارة جانبا واختلست نظرة ووثب قلبها من الفرح ، لأن « الجبل » كله كان مغطى بكتلة ثلجية من الشرنقات ! انها لم تر مثل هذا المحصول فى حياتها أبدا ! ومتلأ البيت بالضحـك

والسرور • لقد انتهى قلقهم أخيرا • لقد كانت « الأشياء الثمينة » فى منتهى العدل ، اذ لم تلتهم أوراق التوت ، التى كلفهم الحمل منها أربعة دولارات دون مقابل ، وهم أنفسهم لم يعيشوا دون طعام أو نوم بلا عائد ، لقد كافأتهم السـماء •

وارتفعت نفس أصوات الضحك والسعادة فى كل مكان بالقرية • لقد أحسنت اليهم ربة دود القز (٩) • فكل عائلة من العائلات العشرين أو الثلاثين ستحصل على سبعين أو ثمانين فى المائة على الأقل من اجمالى المحصول • أما بالنسبة لعائلة تونج باو فتوقعوا محصول مائة وعشرين أو مائة وثلاثين فى المائة •

وظهرت النساء والأطفال مرة خرى ، فى الحقول المفلوحة ، وعند الغدير • ازداد الجميع نحافة عما كانوا عليه منذ شهر مضى ، وغارت عيونهم أكثر وأصبحت أصواتهم أجش ، ولكنهم فى حالة نفسية عالية • وأخذوا يتكلمون عن صراعهم ويحلمون بأكوام من الدولارات الفضية • وتطلع بعضهم لاستعادة ثيابهم الصيفية من دكان الرهونات ، والبعض الآخر سال لعابه مسبقا لرأس السمكة التى سيتعاملون معها فى حفلة مركب التنين •

وجاء الحصاد الفعلى للشرانق فى اليوم التالى ، الذى حضره عـدد من الأصدقاء والأقارب ، حاملين الهدايا وأمنياتهم الطيبة • وجاء تشانج تساى ـ فا ، والد سو ـ دا ـ نيانج ، لتهنئة تونج باو ، وأحضر معـه كعك ، وفاكهة ، وسمك مملح • وكان هسياو باو سعيدا سعادة كلب البحر المرح وسط الثلج •

وسأل تشانج حما ابنته وهما يجلسان تحت شجرة الصفصـاف المجاورة للغدير :

ـ تونج باو ، هل ستبيع شرانقك أم ستلفها بنفسك ؟

ـ سأبيعها بالطبع •

فقال تشانج ناهضا ، ومشيرا الى اتجاه المبـانى التى يستخدمهـا المشترون :

ـ ولكن المصانع لن تشترى هذا العام •

ولم يصدقه تونج باو ، ولكن عندما ذهب بنفسه ، وجد أن مبانى المشترين لا تزال مغلقة بالفعل •

---

(٩) الهة دود القز • هى الامبراطورة سى لينج تشى التى قدسوها لاكتشافها منافع دود القز •

فاصيب تونج باو بالرعب للحظة ، ولكن عندما عاد للبيت ورأى سلال الشرانق القوية الجميلة ، التى حصدها فوق بعضها البعض ، نسى مخاوفه • ولم يصدق أن مثل هذه الشرانق الجميلة لن تجد سوقا لها •

ومع ذلك ، تحول جو القرية العام بالتدريج ، من السعادة والضحك الى اليأس ، حيث بدأت الأخبار تهل بأن مصانع المنطقة لن تفتح أبوابها هذا الموسم • وبدلا من وصول كشافى تجار الشرانق الذين اعتادوا فى السنوات الأخرى أن يقطعوا القرية ذهابا وايابا خلال هذا الموسم ، كانت القرية مزدحمة حاليا بأصحاب الديون وجباة الضرائب • ولن يقبل أحد منهم السداد بالشرنقات •

وتردد صدى اللعنات وآهات اليأس عبر القرية كلها • ولم يطرأ فى ذهن أهل القرية مطلقا ، حتى فى أحلامهم أن محصول الشرانق الجميل فوق الحد سيزيد من مصاعبهم • ولكن لا فائـدة من الشكوى والقول بأن الدنيا قد تغيرت • لا يجب الاحتفاظ بالشرانق ومن الضرورى لفها فى البيوت اذا لم يستطيعوا أن يبيعوها للمصانع • وأعدت بعض العائلات بالفعل عجلات الغزل التى أهملوها طويلا •

وقال تونج باو لزوجة ابنه :

ـ سنلف الحرير بأنفسنا • لقد فعلنا ذلك دائما على أيه حال الى أن بدأ الأجانب يظهرون بمصانعهم •

ـ ولكن لدينا ما يزيد عن خمسمائة رطل من الشرانق : فكم عجلة غزل سنستخدمها ؟

كانت سو ـ دا ـ نيانج على حق • كان من المستحيل أن يلفوا كل الشرانق بأنفسهم ولا استئجار أى مساعدة • ووافق آه سو مع زوجته وعاتب أباه بمرارة ، قائلا :

ـ لو كنت استمعت لنا واستخدمنا فرشة بيض واحـدة فقط ، لكانت أوراق التوت التى من أرضنا قد كفتنا •

ولم يجد تونج باو أى شىء يقوله ردا على ذلك •

وجاءهم شعاع أمل ، اذا علم هوانج تاوـشيه أحـد أصدقاء تونج باو الحميمـين أن المصانـع التى فى ووسيـه كانت تشترى الشرانـق كالمعتاد • وبعد مؤتمر عـائلى قرروا أن يقترضوا مركبا ويقطعوا رحـلة ما يقرب من ثلثمائة لى (١٠) ، حتى يتقرر مصير محصولهم •

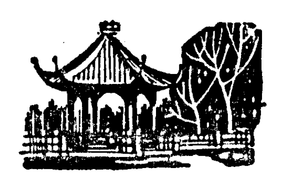
(١٠) لى : وحدة قياس صينية ، حوالى ثلث ميل •

وعادوا بعد خمسة أيام ومعهم سلة واحدة من الشرانق لم تبع بعد . كان مصنع ووسيه متزمتا بشكل غير عادى فى اختياره ، ودفع ثلاثين دولارا لكل مائة رطل من شرانق البيض الأجنبى وعشرة دولارات للأنواع الوطنية . على الرغم من أن شرانق تونج باو كانت من أفخر الأنواع ، الا أن المصنع رفض حوالى مائة رطل من الكمية كلها .

وحصل تونج باو على مائة وأحد عشر دولارا ككل ، وبعد نفقات الرحلة بقى معه مائة فقط ، وهى لا تكفى لدفع الديون التى أخذوها لشراء أوراق التوت . وشعر تونج باو بالخزى ، فسقط مريضا فى الطريق ، وحملوه لمنزله .

اقترضت سو ـ دا ـ نيانج عجلة غزل من منزل ليا باو ، وبدأت العمل فى لف الشرانق التى رفضها المصنع . وتطلب ذلك منها عمل ستة أيام . ولما أصبحوا مرة أخرى بدون أرز ، أرسلت آه سو الى البلدة لبيع الحرير . فلم يجد له سوقا بالمرة ، حتى دكان الرهونات لا تقرض أى شئ فى مقابله . وبعد كثير من التضرع والتملق سمح له باستخدامه فى استرداد بيكول الأرز الذى كانوا قدرهنوه قبل « الزاهر الصحو »

وهكذا حدث أن كل شخص فى قرية تونج باو قد ازداد غرقا فى الدين ، بسبب محصول دود قز الربيع . ولأن تونج باو قد أفقس ثلاثة طبقات من البيض وجنى محصولا فوق العادة ، خسر نتيجة لذلك ، قطعة أرض تنتج خمسة عشر حملا من أوراق التوت ، بالاضافة الى ثلاثين دولارا ، ولا داعى لذكر معاناة شهر كامل من قلة الطعام وفقدان النوم .



أحزان بحيرة أبو قردان [1]

توان ــ مو هونج ــ ليانج

ولد توان ــ مو هونج ــ ليانج فى عام ١٩٠٠ فى منشوريا ، وكان قائدا فى حركة المقاومة ضد الغزو اليابانى لبلده فى بداية الثلاثينيات • وفى هونج كونج قتل اليابانيون زوجته التى كانت تساعده •

وقصص توان ــ مو هونج ــ ليانج عبارة عن احتفال رقيق احيانا ، وعنيف احيانا اخرى بارضه واحزانها •

كان القمر يرتفع الهوينا ، تطوقه هالة مثل عين ضاربة الى الحمرة ، ومتورمة من البكاء • واحتل مكانا فوق الضباب البرنزى الساطع العالق فوق سطح بحيرة أبى قردان ، ضباب خانق وكأنه سحابة من الغبار البلورى المعلق فى الهواء دون نظام وكأنه مصاب بدوار •

وطار سرب من أبى قردان يفرد أجنحته ويمد عنقه الطويل ، مصفقا بأجنحته ببطء فوق حقول القصب التى تتاخم حقول الفاصوليا • وعندما ولت الطيور البيضاء ، غرق الهواء مرة أخرى فى سكونه المعتاد ، لأن طائر الرفراف ، الشهير بملك الصيادين ، الذى يغطس بعرفه الزمردى المتألق وينزلق منسابا فوق سطح الماء أثناء النهار ، قد اختفى من فترة طويلة • وكانت بعض الفراشات الملونة فقط تحوم فوق أكوام النفايات الفاسدة • وفى هذه الأثناء ، ظهر رجلان يسيران بموازاة شاطئ البحيرة •

ركع الأول وكان طويلا ، داكن البشرة على ركبتيه وبدأ يفرش حصيرة من القش فوق الأرض ، بينما أخذ يحملق الآخر وكان أكثر نحافة وضعفا ، ويحمل فى يده رمحا مزينا بأهداب حمراء ، راح يحملق فى الأفق ، وكأنه يحاول أن يتبين حدود الظلام الفسيح ، وتنهد قائلا :

ــ رطوبة فظيعة •

---

(١) عن الترجمة الانجليزية ل : : يوان تشياهوا وروبرت باين •

لم يعره الآخر أى انتباه ، فهو مشغول بالحصيرة ، التى جلس عليها فى وضع مقلقل ، ممسكا بركبتيه بين يديه ، ورفع عينيـه الى القمر ، وقال :

ــ سكون القمر بدرا كاملا حالا ، لاحاجة للنوم فى الكوخ الليلة • يمكننا أن ننام هنا على الأرض ، وننظر الى القمر •

فأجاب الآخر :

ــ انه قمر أحمر شيطانى الليلة •

ــ أجل ••• نذير شؤم •

ــ يقولون ان القمر الأحمر مثل هذا ينذر بالحرب •

ــ ربما •

وظل الرفيقان صامتين للحظات قليلة • وهبت على الجانب الآخر من البحيرة ريح محملة بذرات بيضاء متطايرة ، لتنتشر فوق سطح البحيرة• وفى الوادى البعيد ، انبثق نور ساطـع بين شجيرات الحور الصغيرة ، ولكنه اختفى فى الحال مثل السراب •

فقال الرجل الأقوى :

ــ انتبه ! من المحتمل أن يأتى لص أو اثنان • واذا جاءا ، فستستطيع أنفى أن تشمهما •

ــ طيب ، ليأتوا ! يمكننا أن نخيف اللصوص • يوجد دائما واحد أو اثنان منهم كل ليلة •

ــ نخيفهما ؟ لا ، من الأفضل أن نعطيهما علقة • ان يوم الاحتفال بآلهة القمر سيأتى قريبا •

فأجاب الأصغر بمرارة :

ــان قبضتك لا تساوى كعكة قمر (٢) •

ــ وكيف تعرف ؟ على الأقل سيكون لها بهجتها •

فوضع الأصغر رمحه على الأرض ، وانتزع حذاءه المبتل وربض فوق الحصيرة ، متمتما :

ــ الضباب ازداد كثافة عن قبل •

---

(٢) كعكة قمر ، من الحلوى المرتبطة حسب التقاليد الصينية بالاحتفال بجنى المحصول •

وفى نفس الوقت بدأ خوف مبهم يدب فى قلبه • وحملق فى الغسق بعينيه المستغرقتين فى تفكير عميق ، ولكن لا راحة من الألم •

ومع ارتفاع القمر ، بدأ كل الواقع يذوب بالتدريج ويتميع اذ يلفه الغيام الضبابى • وخرجت الظلال من كل مكان تحملق فيهما • وألقت شجرة حور داكنة بظل يكاد يكون ضعف طولها ، فوق سطح الماء ، حيث نتات صخرة تكسوها الطحالب الرمادية • ومكسية بفطريات رمادية مرئية تحت كتلة كبيرة من الظل • وساد البحيرة كلها طيف غامض من حزن يفطر القلب •

ـ يا آخ لاى ـ باو ، كم عمرك الآن ؟

فأجاب لاى ـ باو :

ـ ثلاثة وعشرون ••• لم أعد طفلا •

ـ اننى لا زلت فى السادسة عشرة ، ولكن أمى تقول أن السنة القادمة لن أتقاضى أجرة عامل طفل •

ـ كلما عملت أقل ، كان أفضل • لا تزعج نفسك بالشغل كثيرا ، لأن كل شىء فى الدنيا غلط • انك أنت قوى ما فيه الكفاية • وا اذاأجهدت نفسك فى الشغل ، ستستهلك وستصبح بائسا بقية عمرك •

ـ كيف أتفادى ذلك ؟ ان أبى رجل عجوز ••• فى العام الماضى أعطاه رجل محب للخير ثلاثة دولارات ، ولكن لا طائل من هذا • سوف أرتبط بعقد عمل لمدة سنة ، وأكسب مائة دولار ، وعندئذ سيصبح كل شىء على ما يرام •

ـ لكن من الذى سيشغلك ؟ من الذى سيكون بهذا الكرم ويدفع لك مائة دولار فى السنة ؟ لم يوجد فى المنطقة كلها ، محصول يستحق مائة دولار فى العام الماضى ••• ثم انك نحيف جدا •••

ـ أستطيع أن أعمل وأتحمل الصعاب •••

ـ حسن ، لاتشغل بالك بالغد • يوجد بعض النبيذ هنا • ألا تريد بعضا منه ••• انه نبيذ طيب !

وتحسس تحت حزامه ، وأخرج زجاجة صغيرة ، وبعض قطع من الفاصوليا المطبوخة •

وهز الأصغر رأسه حالما ، وأخذ يراقب رفيقه وهو يأكل •

ـ أجل ، هنـاك شىء نسيت أن أقوله لك ، ياماه ـ تـاو • هناك

تغيرات سوف تحدث • فالجنرال الصغير ذاهب للعاصمة ، وستتجه الجنود الى الجبهة •

وهذا حقيقى تماما ••• وليس مثل الكلام الفارغ الذى يقوله الناس دائما • ويوجد أمر سرى مختبىء فى حذاء أحدهم ليسلم لرجال العصابات (٣) • وهذا هو السبب فى أنهم لايفتشون ملابس المارين من البوابات ••• انهم يفحصون أحذيتهم فقط • انهم يقولون ليس هناك ضرر فى ترك رجال العصابات يحاولون •••

ـ يا أخ لاى ـ باو مارأيك أن نلتحق برجال العصابات فى يوم ما ؟

ـ أجل ، عندما يسنح الوقت • أجل ، كل امرىء يجب أن يلعب دوره • اننا كلنا صينيون ، أليس كذلك ؟

فغرق ماه ـ ناو ، أنحف الاثنين ، فى تفكير عميق •

ـ ثم سنمتلك قطعة أرض زراعية صغيرة ، ايه ؟

ـ لا ، سوف تظل خاصة بصاحب الأرض ، ولكن المحصول سيستحق ثمنا أعلى ، علاوة على أنه ••• ستكون الحاجة ملحة لمزيد من العمل •

فتنهد ماه ـ ناو قائلا :

ـ فهمت • اذن لن نكون فى رخاء أبدا ، لن نكون أغنياء أبدا •

فقاطعه لاى ـ باو بتبلد :

ـ هل ستحصل لك أمك على زوجة ؟

فاحمر ماه ـ ناو ولم يقل شيئا •

فقال لاى ـ باو :

ـ توجد فاصوليا مطبوخة كثيرة هنا • لقد أخذت كفايتى • الحصول على زوجة مثل شراء الماشية • سيحل والدك على التقاعد قريبا • لقد رأيته يسير على حافة البحيرة ، محنى ورأسه تكاد تلمس قدميه •

ـ للحصول على زوجة ، لابد أن يكون لديك مالا كافيا • لقد أعطتنى أمى قطعتى ملابس لخطيبتى ، ولكن أم الفتاة لم تقنع ، وقالت ان البنات يساوين أكثر هذه السنة • ولو كنا قد خطبنا منذ طفولتنا ، لقاموا بعمل كل شىء من أجل الغائها •

---

(٤) اشارة لنشاطات المقاومة الصينية ضد الاحتلال العسكرى اليابانى لمنشوريا فى ١٩٣١ •

اللعنة على العالم ··· الأمهات ، الجنود ، الحروب ··· انهن يأخذن كل شيء ، حتى يحتفظن ببناتهن لأنفسهن ·

لماذا لا تأخذ بعض الفاصوليا ، أنا لا أستطيع الأكل أكثر من ذلك ؟

ـ طول الليل وأبي يسعل ، وتقوم أمي لتحضر له بعض الماء الساخن لتخفف آلامه ·

ـ انه لشيء مؤسف·ما رأيك أن نستلقي وننام ؟ فعلينا أن نستيقظ في منتصف الليل لمراقبة اللصوص ·

فوضع لاى ـ باو الرماح بينهما ، وغطى نفسه حتى رأسه وأذنيه بغطاء ممزق من اللباد ·

وسال ، وهو ينظر من تحت الغطاء :

ـ هل ستظل جالسا في انتظارهم ؟

فلم يرد الآخر ، والتقط ركنا من الغطاء ، ورقد في صمت · أمكنهما سماع كلاب تنبح من قرية بعيدة ، ولكن الأصوات اختفت في الحال · ومع الوقت لف الضباب كل شيء ، كان لا يزال يتصاعد مزيد من تيارات الأبخرة المكثفة ، وهي تتدحرج في ضفائر تشبه دخانا أبيض ، يحوم بين القصب الملقى أمام الرفيقين ، متعقدا في كرات كريستالية باردة دقيقة ترى بالكاد · ولا يزال البخار يتدحرج ، ناثرا ذراته اللزجة البيضاء ، ليصل في بطء تجاه الضباب الأصفر العالق فوق البحيرة ، التي يخترقها ضوء القمر فيتحلل الى كتل عظيمة من نورانية مبهمة لا حدود لها ·

ـ يا أخ لاى ـ باو ، لقد قلت ان الجنود متجهون للجبهة · هل يتجهون اليها في ضوء القمر وهو بدر ، كما في قصة التتار ؟

ـ ·····

ـ يا أخ لاى ـ باو ، هل رأيت أبي ؟

ـ ·····

ـ هل أنت نائم ···· ؟

وأخذ يتلفت من جانب لآخر ، محدثا بعض الضجة ·

ـ يا أخ لاو ـ باى ····

وحملقت عيناه اليائستان في الظلام الكثيف ···

وازداد الضباب كثافة ، واختبأ كل شيء في هذا الستار من الغموض ، والشابان راقدان مستغرقان في النوم ، بجانب حافة الماء · وتمتد

وراءهما حقول الفاصوليا ، بأخاديدها متعددة الألوان · وكانت النباتات قد جفت وذبلت · وحبات الفاصوليا منتظرة في اعوادها أوان نضجها التام ، لتحصد وتقطع · ولم تحم فراشات الأعشاب في ضوء القمر هذا ، لأن الهواء الرطب يطبق بأحكام على أجنحتها الزلقة فلا تستطيع تحريكها واهتزت أوراق الأشجار الجافة في حفيف خافت أعقبه سكون ·

وأخذ ماه ــ نيو يتمتم في أحلامه :

ــ لا تضربني ··· لا ، لاتضربني ·

وكان قنفذا ذا أشواك مرقطة يزفر بانفاسه من فوق ظهره بلا هدف ، ولكن الصوت البشرى أزعجه فانسحب في اتجاه حقول الفاصوليا ·

وعادت الأوراق الجافة لمزيد من الحفيف ، بسبب القنفذ الذى فر هاربا · ثم ارتفع بعد ذلك صوت حصاد المنجل ·

فعطس ماه ــ ناو · واستيقظ · وضغط بأذنه على الأرض وأنصت في انتباه · وسمع صوت المنجل ، وصوت الزرع الجاف وهو يسقط على الأرض ، وشخص ما يثنيها ، ثم خطوات أقدام ، ثم خلط السيقان الجافة بشكل مستمر · فبرقت عيناه في اتساع وسط العتمة · ونظر الى القمر متسائلا ، في محاولة لمعرفة الوقت ·

ولكز لاى ــ باو بذراعه ، وقال :

ــ لص !

ان صوته يكاد لا يسمع ، فلكز الولد ثانيــة ،ونهض لاى ــ بلو فجأة ملوحا ذراعيه في ارتباك · وضغط بأذنه على الأرض · واستطاع أن يسمع شيئا تجاه الحقول الجديدة · فصر على أسنانه وقل بخبث :

ــ يحتاج لعلقة طيبة !

ــ هل سنمسك به ؟

ــ أجل ··· نريد كعكة القمر هذه !

وهكذا نهضا بلا ضوضاء وسارا خلسة تجاه الحقول الجديدة ، منحنين قدر استطاعتهما خشية أن يراهما سارقو المحصول ، فيركضــوا قبل أن يمسكا بهم ·

ومشى ماه ــ نيو بخطى واسعة ، ودس رأسه داخل حقل الفاصوليا كثيف الأعواد ·

وقال في نفسه :

ـاللعنة على الرجل ! علقة طيبة هدية العيد ··· مسكين أيها الرجل!

وفى هذه الأثناء أمسك الرمح ذى الأهداب الحمراء باحكام ·

كان الضباب ثقيلا لدرجة أن الرفيقين عجزا عن رؤية بعضهما البعض ،واستطاعا فقط عن طريق الحفيف الطفيف لأوراق الزرع أن يعرفا تحركات بعضهما البعض · وذهب لاى ـ باو ، الأكثر خبرة من الآخر ، نحو الحقول الجديدة مباشرة ، وقبضتاه مغلقتان باحكام ، زاحفا للأمام مثل أسد فى غابة متوحشة يتربص بفريسته فى اشتياق · وتلمست عيناه اللامعتان الطريق عبر الضباب الضارب الى الحمرة ·

وفجأة سمع ماه ـ ناو صيحة ألم وصوت شىء يرتطم على الأرض · لقد ألقى لاى ـ باو بنفسه على رجل ، ويتصارعان بشراسة ·

وصاح لاى ـ باو :

ـاللعنة على شعرك ! هل تظن أن كل هذا يخصك ؟ حاول أن تصرخ ، هذه المرة باعجوز يا أشيب الشعر !

وكان يمطره طوال الوقت بلكمات من قبضته · ثم أمسك بكل قواه عنق سارق المحصول التعيس ·

وصرخ ماه ـ ناو فى لوعة :

ـ أبى ، أبى !

والقى بنفسه فجأة بين المتصارعين على الأرض ·

وصعق لاى ـ باو · وفرك عينيه قائلا :

ـ ايه ، ما هذا ؟

وكان على الأرض رجل عجوز ، ممتقع اللون ، يتلوى من الألم ، متقطع النفس ، وسيل رفيع من الدم على وجهه الرمادى الشاحب ·

كان الشابان مشدوهين ، فى حيرة ·

وأخذ العجوز يحاول الوقوف على قدميه ، وهو يهز رأسه فى ندم · كان من الواضح من مظهره ، أنه كان عاملا قويا فى شبابه · فرغم انحناء ظهره بشكل فظيع ، لكنه كان عامل حصاد ممتازا منذ ثلاثين عاما ·

فتمتم لاى ـ باو ، متعجبا كيف يستطيع أن يعتذر للرجل العجوز ، قائلا :

ـ عماه ! عماه !

ولم يعره العجوز أى انتباه ، بل قفز ، والتقط لفة الحبل والمنجل وفر متعثرا • وبعد برهة سمعاه يلعنهما من فوق كتفه •

ومشى الشابان عائدان فى صمت الى مكان رقادهما •

وقال لاى ــ باو فى غضب وهو يجلس القرفصاء •

ــ لا أريد أن أنام •

ثم أضاف وهو يمسك ركبتيه بيديه ثانية :

ــ يمكنك أن تنام اذا رغبت •

ــ انك تحتقر أبى ، أليس كذلك ؟

فأجاب وهو يشد كتفيه العريضين :

ــ لا ، أنا لا احتقره • هيا نم •

فقال ماه ــ ناو بعد برهة :

ــ لابد أن أكسب مزيدا من المال •

ففهقه لاى ــ باو فى ازدراء :

ــ وما الفائدة من كسب مزيـد من المال وأنت كما أنت ستظـل فقيرا •

ــ أبى ••• انه رجل عجوز •••

ــ لكنه قوى ، على أية حال •

ــ قوى ؟

ــ أجل ، لم لا ؟

رقد ماه ــ ناو على الحصيرة ، مقهورا بكآبة لا حد لها • وكان عقله مخدرا من التعب • وأمام عينيه تمتد أرضا خراب ، يباب ، صامتة ، فيما عدا صيحة أبيه المتواصلة ، حتى غلبه النوم أخيرا •

وعندما استيقظ ، اعتقد أنه سمع شخصا ما يتحدث من بعيـد • أمزيد من سارقى المحصول ؟ ولكن ربما لاى ــ باو لايزال نائما ، وهذا أبوه يعود ليسرق مزيدا من المحصول ؟ وفجأة عاد الى وعيه ، وأدرك أن لاى ــ باو كان قد انصرف •

وعلى شفا السماء الغربية ، كان القمر يتأرجح مثل كرة عظيمة من النار المصهورة • لم يبق وقت طويل على انبلاج النهار • وجاءت صياح الديوك كصياح الأشباح من القرية المجاورة •

ـ آه ، تعال الآن ٠٠٠ لماذا أنت خجولة هكذا ؟

لم يستطع أن يعرف من أى اتجاه جاء الصوت ٠

ـ حسن ، اضربينى ٠٠٠ اضربى على صدرى ! ياخنزيرة ! ولكنك ستجيننى اذا عرفت كم كنت لطيفة !

وعند سماع ماه ـ ناو لهذه الكلمات ارتاع ، وغلبه فزع غريب تصاعد الى وعيه ٠ وسمع ، فى هذه الأثناء ، خشخشة منجل ، وسيقان فاصوليا تتساقط ، وشخص ما يحزمها ، ثم وقع خطوات متعجلة ، وأصوات قلق وتلهف تأتى من مسافــة بعيدة ٠ فاضطرب ، وشعر بأنــه لو كان لاى ـ باو معه ، لكان أكثر ارتياحا ٠ فاستجمع شجاعته ، وأمسك بالرمح ذى الأهداب الحمراء وذهب مباشرة فى اتجاه الأصوات ٠

لا ، انه لم يعتد مثل هذه الأشياء ٠ وتخيل بقلب مثقل بالضربات ، عملاقا له لحية كثة عظيمة فى انتظاره ، رافعا المنجل وضاربا به رأسه ٠٠٠ وكاد أن يصرخ ٠ وأراد أن يعود ويطلب مساعــدة لاى ـ باو ٠ ولــكن لا أثر للاى ـ باو ، فقط هذا الخلاء المعتم المصفر المنيع الذى يحيط به من كل جانب ٠

وسأل فى صوت مرتفع مرتعش بعض الشىء :

ـ من هناك ؟

وشعر أنه اذا استطاع تهديد خصمه ، فسيلملم شجاعته ٠

وفى الحال ، قفزت فتاة صغيرة ، رافعة منجلها فوق رأسها بعيدا منــه ٠

ـ استمرى ، اهربى بسرعة ؟ تسرقــين المحصــول ، أليس هذا ما تفعلينه ؟

والآن بعد ما عرف أن خصمه ، ما هو الا فتاة صغيرة ترتعد فرائصها، أصبح جسورا ، وتعجب لماذا لم تهرب وتطلق ساقيها للريح

ـ انك صغيرة جدا ، ومع ذلك تأتين لتسرقى ؟

ـ ألم تقل ماما ٠٠٠ ألم تقل لك ؟

كانت فى منتهى الفزع حتى أنها تكورت على نفسها فى شكل قوقعة صغيرة ، والمنجل لايزال فى يدها ، وأخذت تتلفظ كلماتها واحدة واحدة ، وكأنها تختنق من الهواء الكثيف ٠

ولم يعرف ماه ــ ناو لماذا أصبح صوته رحيمـا فجأة • ربما كان الفضول •• ربما لأنه أراد أن يهدىء من هذه المخلوقة الممتثلة أمامه •

ــ طيب ، من هى •••• والدتك ؟

فأجابت الفتاة فى فزع وهى ترتعد من رأسها حتى أخمص قدميها :

ــ ألم تقل لك ؟

وشعرت بنهايتها ، فأمها لم تر الرجل بالفعل أبدا •

ــ انتبهى ، نحن اثنان • ربما قالت للشخص الآخر • لا تخافى ، أنا لا أعرف أى شىء عن الموضوع ••• لقد كنت نائما •

فتطلعت اليه فى ريبة ، وتركت منجلها يتدلى • كان ماه ــ ناو فى ضيق شديد وأراد أن ينفجر صارخا • أدارت له الفتاة ظهرها ، وبدأت تستخدم منجلها بشكل آلى فوق أعواد الفاصوليا • وتختلس النظر من وقت لآخر فى مكر من طرفى عينيها •

واضطرب لأنه ليس لديه أية فكرة كيف يعاملها فسألها أخيرا :

ــ هل لك أب ؟

فهزت الفتاة رأسها واستمرت فى قطع الأعواد • واستطاعت بالكاد بيديها الصغيرتين أن تمسك الحزم التى كونتها ، وقطعتها بصعوبة شديدة لدرجة أنه أراد أن يساعدها •

ــ هل لك جـد ؟

ــ انه يسعل • يقولون أنه سيموت قريبا •

ــ يسعل ؟

ــ أجل • فى الليل بشكل فظيع •

ــ هل تغلى أمك ماء له بالليل ؟

ــ لمـاذا ؟

ــ لتخفف عنه آلامه •

ــ لا ، ليس لديها وقت •

ــ لماذا ليس لديها وقت ؟

ــ عليها أن تسرق محصول الفاصوليا •

وفغرت الفتاة فاها قليلا وتنهدت • لقد قطعت كمية اقل مما يقطعها

أى رجل بضربة واحدة من منجله · ومع ذلك استمرت فى التقطيع وكان كل حياتها تعتمد عليه ، ولم تكل أبدا ·

فقال ماه ـ ناو متحيرا :

ـ أين هى الآن ؟

وبدت الفتاة مذعورة بعض الشىء من السؤال ، وتمتمت :

ـ لا أدرى

ـ ولكن كيف تستطيعين أن تأتى الى هنا بمفردك ·

ـ لقد قالت أمى أننى أستطيع أن أقطع محصول الفصوليا عندما تسعل ·

فتمتم ثانية :

ـ أوه نعم ، أمك ···

وغرق مرة أخرى فى تفكير عميق ، ثم قال :

ـ ولكن السست خائفة ؟ تعرفين ، فى الليالى التى يكتنفها الضباب من الصعب الرؤية بوضوح ·

فتطلعت اليه وترقرقت عيناها ، وتضاءل جسدها ·

ـ أليس لديك أخ أكبر ؟

فهزت رأسها فى حزن ·

ـ ولا أخ أصغر ؟

فتنهدت ·

وتطلع ماه ـ ناو من حوله فى يأس · كان القمر ينزوى فوق الأفق الغربى · وكان الضباب الأبيض الذى لا قاع له ، لايزال خانقا يتحرك ببطء ، متخثرا ، بسبب هواء الصباح البارد ، الى آلاف من قطرات الندى المترقرقة ، التى تغوص بالتدريج فى الـوادى · كانت أعـواد القصب ، والأشجار ، والتلال ، كل هذه الكتل المهتزة التى لا لون لها ولا حدود ثابتة ، تخرج من الشفق المعتم · وكانت الديوك تصيح ثانية مثل الأشباح المتلهفة ·

كانت يد الفتاة تنزف · فمسحتها فى ملابسهـا ، واستمرت فى الحصاد ·

ـ هل عندك بيت ؟

فقالت ، وهى تفرد ظهرها ، وتأخذ نفسا عميقا :

ــ نعــم ٠

كانت ضلوعها ناتئــة ، وبدا عليهــا ارهاق فوق التحمل عندمــا استطردت قائلة :

ــ ومن فضلك لا تسألنى الكثير من الأسئلة ٠

ألقت نظرة مختلسة عليه ، خائفة أن تكون قد ضايقته وأضافت ثانية :

ــ لقد جمعت كمية قليلة جدا ، وستأتى أمى حالا ٠ انها ستضربنى !

تمتمت بهذه الكلمات على مضض ، وكانت قد تراجعت تحسبا قبل اللطمة ٠

كانت الأمواج الكثيفة للضباب السابح فوق الأرض المعتمة لا تقل حنقا عن الغاز السام الذى يودى بحياة الناس ٠ والآن ، بــدأت تخف طبقات الضباب الطاف ، وتنجرف بعيدا فى الخلاء ٠

تركها ومشى دون هدف ، مترنحا متمايلا كما لو كان يسير وهو نائم ! ولكن بعد عشرين خطوة قرر فجأة أن يعود ، وامتلأت الفتاة بالرعب ٠

فقالت شــاكية :

ــ لقد جمعت كمية قليلة جدا ، وأريد أزيد قليــلا ٠ ستأتى أمى حــالا ٠

قبض ماه ــ ناو على المنجل ، وبدون أن يقول شيئا ، بدأ يقطــع محصول الفاصوليا من أجلها ٠

كانت الديوك تصيح من بعيد ٠٠٠ والفجر يرتفع فوق الأفق ٠



من الأدب الكوري

★ **أب وابـــن** كيم تونجني	Father And Son Kim Tongni
★ **المشي في الثـــلج :** ســون تشانجسوب	Walking in The Snow Son Changsop
★ **طـــريق واحـــد :** ســـونو هــوى	One Way Sonu Hwi
★ **الفـراق الأخـــير** بـــاك يونججـون	The Last Parting Pak yongjun
★ **وقت لــك ولي وحـــدنا :** هــوانج ســونون	Time For you and Me Alone Hwang Sunwon

كوريا الشمالية

★ العاصمة : بيونج يانج ·

★ السكان : حوالى ٢٥ مليون نسمة ·

★ المساحة : ١٢٢٤٠٠ كيلو متر مربع ·

★ اهم المدن : هامهونج ، هونج نام تشونج جين ، كيوسونج ·

★ الديانة : لادين : ٦٨٪ ·
المعتقدات الموروثة : ١٥٪ ·
البوذية :١٤٪ ·

كوريا الجنوبية

★ العاصمة : سيول ·

★ السكان : حوالى ٤٥ مليون نسمة ·

★ المساحة : ٩٩١٤٣ كيلو مترا مربعا ·

★ اهم المدن : بوسان ، تايجو ، انشون ، كوانجو ·

★ الديانة : البوذية ٤٨٪
المسيحية ٤٤٪ ·
الكونفوشية ٥٪

ان تقسيم كوريا الى شطرين شمالى وجنوبى عند خط عرض ٣٨ ، ألقى بالبلاد فى مهالك التوتر والاضطراب والهياج ، وجعل الكوريين دائما على حافة اراقة الدماء ·

وقامت معركة بين معسكر « الأدب الخالص » ، وهو الذى نتعرض له فى هذه المجموعة من المختارات ومعسكر « الأدب المنحاز » ··· بين الأيديولوجيتين المتقابلتين ··· بين الشمال والجنوب ·

وأثار النمو الاقتصادى السريع ، والطفرة التقدمية الهائلة مشاكل اجتماعية متنوعة · كما تضاعف عدد السكان خلال عقود ما بعد الحرب الى أكثر من الضعف ، وهذه مشكلة عويصة فى حد ذاتها ، ولكنها ازدادت وتعمقت بما طرأ على السكان من تغيير ، وهجرة الفلاحين الى المدن الكبيرة · فمدينة سيول زادت الى سبعة أضعاف خلال هذه الفترة ·

وتظهر دراسة الأدب الكورى مصادر القوة والميزات الخالدة للحياة الكورية وحضارتها · وتعكس أثر الدول المحيطة بها ، مثل الصين ، واليابان ، والهند ، ومنغوليا ، والتبت ، ومانشوريا ، وسيبيريا · لقد تأثر الأدب الكورى منذ الأزمان القديمة بتاريخ البلاد المضطرب · فهذه الدولة التى يعود تاريخها الى ما يزيد عن أربعة آلاف سنة ، قد هوجمت واحتلت وتحررت مرات ومرات ، اذ كانت مركزا لمنازعات وأطماع الأمم المجاورة التى كانت دائما ترغب فى التحكم فيها وتطويرها لأغراضهم الشخصية ·

ويمكن أن يجزأ الأدب الكورى الى فترتين متميزتين مع بعض التداخل . فهناك أدب ما قبل التأثر بالنفوذ الغربى ، وأدب ما بعد هذا التأثر .

وكان الأول تحت تأثير العديد من العوامل ، مثل التعاليم الشامانية التى تؤمن بأن الجماد ما هو الا كائن حى ، وليس أدنى من الانسان بأى شكل . ويوحى هذا بالتطابق التام مع الطبيعة التى هى السمة الأولى للشعر الكورى . ومع الشامانية توجد الديانات الأخرى مثل البوذية والكونفوشية والتأوية ، التى ساعدت على نشر مذهب الجبرية والايمان بالقضاء والقدر . ومكن ذلك الكوريين من الادعاء بأنهم أمة محبة للسلام .

وكان الأدب الكورى التقليدى ، أو ما قبل التأثير الغربى ، يعكس الموقف الجبرى ويتعامل مع ما يسمى بالخوارق الطبيعية ، والسحر والثواب ، والعقاب والتوحد أو التوافق بين الانسان والطبيعة . وحب السلام مبنى على معايير أخلاقية خمسة . هى باختصار « الاخلاص للملك ، طاعة الوالدين ، احترام كبر السن ، الصداقة ، العفة . » وجعلت هذه العوامل من قراءة الأدب الكورى التقليدى شيئا جميلا .

أما الأدب الحديث ما بعد عام ١٩٠٠ فينحرف عن الموضوعات المحصورة فى العصر التقليدى الى مواضيع متنوعة رحبة ، فيتعامل فى الوقت الراهن مع شكوك الحياة الحديثة ، والطموحات القومية ، والمقاومة ضد الأيديولوجية المقابلة ، والرغبة القوية فى اعادة توحيد شطرى البلاد . ولكن الأسلوب والسمة الغالبة لهاتين الفترتين المتميزتين هو الجمال الداخلى والمضمون الجذاب والابهاج الأبدى المستمر والحس الفكاهى حيث لا يتم انتاج الأعمال من أجل التكنيك أو من أجل استعراضه . فوضوحهم ومنطقهم المقتضب والبساطة المتسمة بالعالمية ، قد أكسبتهم جبهة عريضة من المؤيدين فى العالم الخارجى . وهذه البساطة العميقة فى التعبير يمتلكها الكوريون فى شعرهم ونثرهم على السواء . انهم لا يكتبون لاستعراض الأسلوب ، ولكنهم يروون قصة . وهناك من يقول ان المرء لا يعزف آله موسيقية لاستعراض الآلة نفسها ، بل أنه يعزفها ليخرج منها أغنية . وهكذا بالضبط بالنسبة للأدب الكورى ، فهم يطوعون الأسلوب لرواية القصة ، ولا يستخدمون القصة لمجرد استعراض مهارتهم فى الكلمات .

ولم تفرز الحرب الكورية أعمالا روائية مجيدة ، رغم الطبيعة المأساوية للحرب نفسها :

لقد كانت حرب أهلية لا مغنما حقيقيا أو واقعيا من ورائها ، أو مجدا تصبو اليه النفوس ، سوى هذا الأمر المحير الذى يسمى الأيديولوجية . وليس معنى هذا أن الحرب كان لها تأثير ضئيل على الحركة الأدبية ، بل بالعكس كانت الحرب اللب الرئيسى والجوهر الكلى لكل الروايات

والقصص التى أنتجت فى العقد الأول من هذه الحقبة ··· الموقف أو ما قد نسميه بتركه الحرب ··· الأوجه العريضة للحرب ··· من تجريد عام للصفات الانسانية ، وانسلاخ عن الذات وعن المجتمع وعن الطبيعة . وكم نسج فى عالم الأدب عن مجهودات ونشاطات الحرب نفسها ، وكم أفرزت أناسا شوهتهم تركة الحرب وتركتهم جرحى جسمانيا أو نفسيا أو كليهما معا ، مع النغمة العامة اليائسة غامضة الرؤية .



أب وابن (١)

كيم تونجني

ولد كيم تونجني عام ١٩١٣ في كيونججي ، العاصمة القديمة لأسرة سيللا ، على الساحل الجنوبي الشرقي لشبه الجزيرة الكورية . بدأ ينشر قصصه عام ١٩٣٤ . وتوقف كيم عن نشاطه ، بصفة مؤقتة ، بسبب الحكم الياباني الاستعماري الجائر ، عندما رفض التعاون مع هذا الحكم . ومع ذلك . فبعد التحرر في ١٩٤٥ ، اظهر عداء قويا ضد منظمات الكتاب اليسارية ، التي كانت موجودة في الحياة الأدبية الكورية حتى اندلاع الحرب الكورية .

ويعد كيم كاتبا خصبا بالطبيعة ، فلديه مجلدات عديدة لمجموعات القصص القصيرة ، بالاضافة الى ما لا يعد من الروايات والمقالات النقدية . ولقد تم نشر مجلداته الخمسة من اعماله المختارة في ١٩٦٨ . وتوجت حياته الأدبية الطويلة والمتميزة بالكثير من الجوائز الأدبية الشهيرة ، منها جائزة اكاديمية الفنون الكورية . وبالرغم من انه كاتب متنوع الا ان اعماله الأولى المجموعة في « الساحرة وقصص أخرى » (١٩٤٦) والمأخوذة من العقائد الشعبية الوطنية الكورية لا تزال تعتبر اعظم مساهماته الأصيلة للأدب الكوري الحديث .

نزل رجل من المركب وعليه معطف بال قاتم اللون يرتدي من تحته ثيابا تقليدية كورية من القطن الأبيض . وكانت القبعة المصنوعة من اللباد التي يرتديها عتيقة أكل الدهر عليها وشرب وملطخة بالأقذار والعرق ، لذلك كان من الصعب القول ان كان لونها الأصلي رماديا أم أسود . كان يبدو في منتصف الأربعينيات من عمره ، وان لم تكن له لحية .

ويمكن للمرء من النظرة الأولى أن يحكم بأنه فلاح . كان يحمل في يده اليمنى حزمة صغيرة ملفوفة في قماش قطني أبيض . انه أرز . وكان معه حوالى ستة أو سبعة أرطال عندما غادر البيت ، ولكنه أعطى كميات

(١) عن الترجمة الانجليزية ل : كيم تشولجون .

ضئيلة فى أماكن مختلفة عديدة ، منذ ذلك الحين ، فى مقابل وجبات الطعام · وأصبح كل ما تبقى لديه لا يزيد عن رطلين من الأرز فى الكيس القمـاش ·

وعندما خطى هابطا الى رصيف الميناء ، سأل رجلا آخر نازلا من نفس المـركب :

ـ ما اسم هذا المكـان ؟

فرمق الرجل الفلاح بنظرة جانبية وقال فى اقتضاب :

ـ يوسـو

وفى حقيقة الأمر ، لقد سأل نفس السؤال مرات ومرات ، رفاقه المسافرين عند سحب المركب داخل ميناء يوسو ، ومرة أخرى قبل النزول من المركب · لذلك كان الرجل الذى أجاب على السؤال فوق الرصيف محرجا بعض الشىء ·

ثم وجـه نصف سؤال متلعثما :

ـ انها يوسو ، أليس كذلك ؟

ولم يجب أحد هذه المرة · مجرد أن رمقه رجلان أو ثلاثة بنظرة جانبية ورحلوا مسرعين ·

كان مساء ، والريح الباردة تهب هابطة من سلسلة جبال تشيرى ، بالرغم من أنه بداية الربيع ، ولا يزال الوقت مبكرا لازدهار المشمش ·

وسأل الرجل ثانية (وكان اسمه سوكيو) :

ـ كم تبعد كوانججو من هنا ؟

ولم يجب أحد مرة ثانية ·

ـ هل يوجد أتوبيس ذاهب الى كوانججو اليوم ؟

فأجابه هذه المرة رجلان فى نفس واحد :

ـ من المرجـح لا ··

ـ من الأفضل التأكد مبكرا فى الصـباح ·

كان الأول شابا فى الزى العسكرى ، أما الثانية فكانت امرأة فى منتصف العمر ترتدى ثوبا كوريا أبيض ومتحشمة بغطاء حريرى ·

ـ كم تبعد كوانججو من هنا ؟

ـ آوه ، سيرا على الأقدام ليس أقل من أربعة أيام على الاقل ٠

فردد سوكيو وهو مندهش :

ـ أربعـة أيام ؟

كان الغرض من رحلة سوكيو زيارة ابنه بونغو ، الذى أذيع أنه فى كوانججو ٠ والحقيقة أنه عرف بطريق غير مباشر أن ابنه ، ، الذى التحق بالجيش موجود الآن مع كتيبة ، مركز قيادتها فى كوانججو ٠ وكان الرجل الذى أعطاه هذه المعلومة ، قد قال أن موقع سرية بونغو أبعد كثيرا من كتيبة اكس من الفرقة ياء ، ولكنه نسى الباقى ٠ انه السيد يانج من هاميانج (حاضرة الأقليم) ٠ ان السيد يانج صاحب مصنع صغير للكبريت هناك ٠ ولما كان ابن السيد يانج ، يونجبوك ، قد ذهب الى الجيش فى نفس الوقت مع ونغو أصبح من عادة سوكيو أن ننزل عليه عند ذهابه للبلدة ، لمجرد الحديث عن ابنيهما ٠

كل شىء بدأ فى أوائل شهر فبراير عندما توقف سوكيو عند مصنع يانج كالمعتاد ، وكان السيد يانج سعيدا برؤيته وقال له انه قد سـمع أخبارا عن بونغـو ٠

وخشى سوكيو لبرهة أن يغشى عليه ، وقال :

ـ هل تقول بـ ٠٠ بونغو ؟

وقال السيد يانج انه كان فى مستشفى الجيش فى بوسان حيث كان يعالج ابنه يونجبوك من اصابة سلاح ٠ لم تكن الاصابة خطيرة ولكن استدعت راحة حوالى شهر مع علاج فى المستشفى ٠ وقال السيد يانج انه سمع من يونجبوك أن بونغو مع سرية ما فى الكتيبة اكس من الفرقة ياء فى كوانججو ٠

ومنذ التجنيد ، أى ما يزيد عن نصف عام ٠ لم يسمع سوكيو عن ولده شيئا ، وأصبح ذلك سببا لدموع زوجته الليلية وآهاته العميقة ، حتى أنه أهمل زراعته ٠ وفجأة هذا الخبر الكبير ٠ وفجأة أصبح العالم أكثر بهجـة للاثنين ٠

فقالت زوجتـه :

ـ لماذا لا تقلع فورا وتذهب لتراه ؟ لا شىء مهم حتى ترى ولدنا ، ولا حتى الزراعة ٠

وذلك ما كان يشعر به أيضـا ٠

وبادرت الزوجة الملهوفة الى اعداد الكعك والأطعمة الشهية لولدها ،

ولكن سوكيو الأكثر رزانة قال لها ألا تتحمس أكثر من اللازم ، لأنه قد مر شهران كاملان منذ أن رأى يونجبوك ابنهما آخر مرة ، وأيضا لأن السيد يانج قد نسى النصف الأخير من عنوان الولد العسكرى • وبسبب هذا التضارب فهو ليس متأكدا اذا كان الولد لا يزال هناك ، ولا حتى اذا كان ابنه لا يزال هناك ، فهو ليس على يقين من أنه يستطيع الوصول اليه ، والعنوان غير كامل بهذا الشكل •

فقالت زوجتـه :

ـ اذن ، اذهب أولا الى بوسان واحصل على العنوان المضبوط من يونجبوك •

حسن ، فسوكيو لم يكن مغفلا تماما ، ولقد فكر فى ذلك من قبل بالفعل ، ولكن ذلك يعنى وقتا أطول ، ومصاريف سفر أزيد • بالاضافة الى أن السعال الذى انتابه منذ رحيل ولده قد أوهن صحته ، ولم يكن متأكدا على الاطلاق أنه يستطيع تحمل الرحلة الطويلة بالأتوبيس وبالمركب ثم سيرا على الأقدام بعد ذلك •

لقد حصل على سنتين من التعليم الابتدائى ، ولكن ذلك كان منذ ما يزيد عن ثلاثين عاما ، وأصبحت الزراعة طوال هذه السنين هى همه الوحيد • والآن ، ليس لديه ثقة فى أى شىء آخر • لذلك باتت فكرة قيامه برحلة من بيته فى هابتشون من مقاطعة كيونجسنج الى كوانججو بمقاطعة تشوللا مثل رحلة الى عالم مجهول •

وطرح سؤاله على عدة أفراد فى القرية :

ـ كم المسافة من هنا الى كوانججو ؟

خصوصا الناس الذين يبدوا أنهم يعرفون مزيدا من شئون الدنيا أكثر منه ، مثل الكاتب فى مكتب القرية ، أو كبار القرية • ولكن لا أحد كان يعرف بالتأكيد • فالكاتب خمن أن تكون حوالى خمسمائة رى (١) ، بينما قدر أحد كبار القرية أنها حوالى سبعمائة • وأغلب التقديرات كانت تقول ان المسافة بين ماسان ويوسو وحدها تتراوح ما بين ماتى رى وأربعمائة ، والمسافة ما بين يوسو وكوانججو أسوأ من ذلك ، فهى تتراوح ما بين مائة وخمسين رى فقط الى خمسمائة •

ولما كان فى حيرة من أمره ، قرر سوكيو أن يبحث عن السيد يانج فى البلدة للحصول على فكرة قاطعة عن المسافة • علاوة على أن السيد يانج هو الذى سيقرضه المال المطلوب للرحلة على أية حال •

---

(١) مقياس كورى للمسافة ، يساوى حوالى ربع ميل •

ولكن السيد يانج لم يكن متأكدا أيضا • فحسب « تقديره الجزافى » تصل المسافة لشيء مقارب لستمائة أو سبعمائة رى ، فمن ماسان الى يوسو حوالى ثلثمائة ، ثم اضافة المسافة من القرية الى ماسان ، فالمجموع قد يصل الى ما يزيد عن ستمائة رى • أو ما يقرب السبعمائة رى •

سبعمائة رى ! ان سوكيو ليست لديه فكرة عن طـول مســافة السبعمائة رى بالفعل • فلم يكن يفرق فى الواقع بين السبعمائة رى أو سبعة آلاف أو سبعين ألف رى •

ـ فلنقل أنها سبعمائة رى ، فكم تأخذ من الأيام ؟

فرد السيد يانج على ذلك قائلا :

ـ طيب ، دعنـا نرى •

وبدأ يعد على أصابع يده اليسرى ، ثم أضاف :

ـ يجب أن تحسب يوما بين ماسان ويوسو بالمركب ، وبين يوسو وكوانججو لابد من وجود اما أتوبيس أو قطار ، وهذا يوم آخر • ولكن بالطبع هذه المراكب والأتوبيسات ليست دائما منتظرة هناك من أجلك ، وقد تنتظر يومين أو ثلاثة أيام قبل ما يستعد واحد من هذه الأشياء للتحرك • علاوة على أنها بعد ما تبدأ السير لا تضبط وقتها أبدا • فغالبا ما تتعطل فى الطريق ، كما تعلم • ولذلك أقول ان المدة كلها قد تصل الى خمسة أو ستة أيام على الأقل •

فســأل ســوكيو :

ـ لنفرض أنها تأخذ هذه المدة ، فكم ستكون المصاريف تقريبا ؟

وفى الحقيقة ان هذا الجزء من السؤال هو ما جاء من أجله ، فى الواقع ، لمقابلة السيد يانج •

فقــال الســيد يانج :

ـ بالزائد أفضــل ، كما يقولون •

ثم أضــاف بجــدية :

ـ نفقات السفر ليست كل ما تحتاجه أيضا • أقصد ، فلابد أنك تريد اعطاء ابنك بعض النقود •

فقال سوكيو فى نبرة احترام شديد لرأى السيد يانج :

ـ انك لعلى صـواب •

وأصدر السيد يانج حكمه بوقار :

– يمكنني أن أقول انك يجب أن تاخذ معك ثلاثين ألف ون (٢) في جيبك قبل أن ترحل ·

كان سوكيو واعيا تماما ان ثلاثين ألف ون هذه الأيام لم تكن مبلغا كبيرا من المال في الواقع ، ولكنه مع ذلك لم يكن لديه حتى ألف ون في هذه اللحظة · بالطبع ، الزراعة تتكلف بعض المال لامور مثل السماد وأجور العاملين · ومع ذلك يمكنك الاقتراض · في الحقيقة ، انه السيد يانج الذي يقرضه هذا المال كل سنة · ودائما يقدم السيد يانج القرض لأنه متأكد من عودة النقود اليه ثانية · ويمكن لسوكيو هذه السنة أن يقترض ثانية ضمن الحدود العادية ، ولكنه اذا كان سيستخدم النقود في رحلته لزيارة ابنه ، فكيف سيدير مزرعته ؟ والمال ليس المطلب الوحيد لهذا الأمر ، فالوقت الآن يعتبر من الفترات الهامة التي يتكدس فيها العمل في الزراعة ، لذلك فالاقلاع في رحلة في هذا الوقت قد يتلف محصول هذا العام بشكل خطير · طيب ، وماذا في ذلك ؟ قرض بسيط بدلا من أن يزوى البدن من السعال ، والقلق ، أولا يذوق الرجل طعم النوم ويتحرق شوقا لنظرة من ابنه · وأحس بأنه يستطيع أن يتغلب على أي شيء بعد الزيارة ·

– اقرضني ثلاثين ألف ون ياسيد يانج ·

وقطع سوكيو المسافة من يوسو الى كوانججو في أربعة أيام · ومشى حوالى عشرين ري في اليوم الأول قبل أن ينزل في فندق لقضاء الليلة · وفي اليوم الثاني مشى حوالى ثلاثين ريا ، ثم ركب سيارة نقل كانت ذاهبة الى شونتشون ·

وعندما وصلت السيارة النقل الى مدينة شونتشون كان قد انتهى موعد الغداء بوقت طويل · وكان الاتوبيس المتجه الى كوانججو قد غادر في الصباح ، وبدأ يمشي · ومشى اليوم التالي مرة أخرى ، وظل يمشي الى أن وصل بلدة بوسونج – ني ، وعندها استطاع أن يركب سيارة نقل أخرى كانت ذاهبة الى بوسونج ·

وفي اليوم التالي ، وفي ساعة مبكرة من الصباح ، ركب أتوبيس من بوسونج الى كوانججو ·

وفي كوانججو دخل سوكيو مطعما ، وأثناء تناوله الغداء ، سأل

---

(٢) الوحدة النقدية لكوريا ، وتساوي ١٠٠ تشون · وفي أوائل الخمسينات ، وقت أحداث هذه القصة ، كان الدولار الأمريكي يساوي ١٠ ون ·

صاحب المطعم اذا كان قد سمع عن كيم بونغو من الكتيبة كذا والفرقة كذا وكذا • ونصحه صاحب المطعم أن يذهب الى مقر رياسة الفرقة ويسأل • وعندئذ سأل سوكيو اذا كانت مقر رياسة الفرقة فى كوانججو • ولراحته الكبرى أكد له صاحب المطعم أنها كذلك • وسأل كيف يصل الى هناك •

وارسله أحدهم فى مقر رياسة الفرقة الى رياسة الكتيبة ، وهناك اضطره أحدهم مرة أخرى أن كيم بونغو كان مع فصيلة ويكون احدى السرايات فى الكتيبة • وعندئذ حل الظلام تماما •

وتبين أن فصيلة ريكون كانت متمركزة على بعد عشرين رى خارج البلدة ، ولكن سوكيو بدأ المشى على الفور فى ذلك الاتجاه • وكان الليل حالك السواد ، وعندما عرج حول سفح التل أمكنه سماع نعيق البوم • وعندما وصل أخيرا الى القرية ، أطلق زفرة طويلة • وذهب الى مكتب القرية وطلب من الرجل الذى هناك أن يأويه حتى الصباح •

وعند شروق الشمس غادر مكتب القرية •

وكانت فصيلة ريكون تستخدم مبنى مدرســة قديم لثكناتها • ومبنى المدرسة يبعد قليلا عن القرية • وكانت عدة خيم لونها زيتونى غامق منصوبة فى الملعب ، والعلم الكورى يرفرف فى الريح فوق الصارى •

اقترب سوكيو من الحارس ، ممسكا قبعته اللباد المهترئة فى يده ، منحنيا عدة مرات وسأل مترددا :

ــ او ، او ، هل لديك ولد هنا من أقليم هامان باسم كيم بونغو ؟

ورد الحارس التحية وسأله من أين هو •

فقــال :

ــ لقد أتيت كل هذه المسافة من أقليم هامان لمقاطعة كيونجسانج • هل لديك كيم بونغو هنا ؟

وأشار الحارس باصبعه الى كوخ صغير يحمل لافته خشبية صغيرة تقول : الزوار • وذهب الى الكوخ وهو ينحنى بشكل مسرف •

وتطلع الجندى المكلف بالخدمة هناك على كشف واستطاع فى الحال ان يروى له كل بيانات العريف كيم بونغو • ومع ذلك ، لم يكن فى منطقة الفصيلة فى هذه اللحظة • لقد خرجت جماعته فى مكان ما وستعود بعد الظهــر •

اذن الولد فى هذه الفصيلة ! فى البداية ، لم يصدق بسوكيو

ما سمعه ، ولذلك تفوه بشبه سؤال ، بشكل غير مقصود فى وجه الجندى المبتســـم :

ـ هكـــذا ؟

ورغم أنه ليس بســؤال يتوقع له اجابة ، الا أن الجنــدى كرر ما قد قاله بتلقائية ، وقال لسوكيو بالاضافة أنه عليه أن يعود بعد الظهر لمقابلة ابنه • وكان متأثرا ، ممتنا ، وممتلئا روعا • كم كان هؤلاء الناس أكفاء ورحماء ! وانحنى بشكل مسرف مـرة أخرى وهو ممسك بالقبعة اللبادية فى يديه ورحل •

ووجد غبار ثائر على المرتفع الموازى لسفح التل ، فغطى وجهه بالقبعة اللبادية ورقد منبطحا • وسمع ، وهو نصف نائم ، زقزقة الطيور ، واعتقد أن نغمة زقزقة الطيور نفسها كان لها معانى خاصة وسعيدة •

وعندما مر الوقت لما بعد الغداء ، نهض جالسا يراقب بوابة المعسكر• وخيل له مرة أو مرتين أنه رأى ولدا فى زى عسكرى يشبه ابنه ، فنهض ونزل راكضا نحو البوابة ، ولكن كل مرة يتضح له أنه غريب تماما • وعندما أخذت ساعات الظهيرة تنقضى ، بدأ الخوف يدب فى أوصاله ••• الخوف من ألا يظهر ابنه على الاطلاق • وفرد قامته واندفع نازلا نحو البوابة ، وكأنه يطرد من داخله هذا الواجس الشرير •

عندئذ حدثت المفاجأة ، ورأى ابنه واقفا بجانب كوخ الزوار • وبدا وجه الولد تحت الخوذة الصلب أصغر كثيرا مما يتذكره أبيه • وكذب سوكيو عينيه ، ولكنه كان طول الوقت يندفع فى اتجاه الولد • وتعرف الولد ، أيضا ، على الأب • ودنا بونغو من أبيه صارخا :

ـ بـا !

فقــال ســوكيو بضــعف :

ـ هل هــذا أنت ، يابونغــو ؟

فخلع بونغو خوذته وانحنى لأبيه بطريقة غير عسكرية اطلاقا • وكان سؤال ســوكيو الثــانى :

ـ كيف يعاملونك بهذه القســوة ؟

ولسبب ما ظل الولد فى صمت حرون أمام هذا السؤال

ـ ألســت جائعـــا ؟

ـ لا ، أنا بخـــير •

ولبرهه لم يقل أى منهما شيئا ٠

ـ هل تستطيع مغادرة المعسكر لفترة ؟

ـ لا ، لا أستطيع ٠ سأحصل على اذن غدا بعد الظهر ٠

ومن وقت الظهر حتى اليوم الثانى وقف سوكيو منتظرا خارج فصيلة ريكون ٠ وحوال الساعة الثانية خرج بونغو مرتديا ملابسه العسكرية كما كان بالأمس ، وقابل أباه ٠ وقال ان لديه اذنا بالخروج من اثنين الى أربعة ، وان جماعته ستغادر فى الصباح لمنطقة جبلية سينشغلون فى عمليات حرب العصابات لمدة عشرة أيام ٠

وأخذ سوكيو الولد الى السوق ٠ وأشار باصبعه للكعك والفاكهة ، وسأل ابنه ما يحب منها ٠ فقال بونغو انه قد تناول غداءه ولا يحب أن يتناول أيا منهما ٠ وسأل عن أمه وأحوال اخوته ، ومرة أخرى لسبب ما ظل صامتا محزونا ٠

ودخلا مكانا للأكل وطلبا شوربة وأرز لكل منهما ٠ وطلب الأب قصعة ماكوللى (٣) لنفسه ٠ ووضع الكعك والفاكهة على المائدة الا أن الولد لم يلمس أى شىء منها ، ولكنه أتى على الشوربة والأرز ٠

وقال الأب ، دافعا بالأشياء نحو الولد :

ـ لماذا لا تأخذ من هذه ؟

فقال بونغو ، وهو يردها فى اتجاه سوكيو ٠

ـ خذها للبيت واعطها للأولاد ٠

ثم مرت فترة أخرى من الصمت ٠

وبعد محاولة ذات مجهود كبير للتفكير فى شىء يقال ، سأل الأب :

ـ متى تعتقد أنك ستستطيع العودة للبيت ؟

ولكن الولد أجاب بكل بساطة وبنفس اللهجة المتجهمة :

ـ لا أدرى ٠

فقال الأب بعد فترة أخرى من الصمت :

ـ ليس قبل انتهاء الحرب ؟

ـ لا أدرى ٠

---

(٣) نبيذ رخيص من الأرز غير المصفى ٠

عندئذ لم يكن لديهما شيء يقوله كل منهما للآخر لفترة طويلة ، وبذلك كادت تنتهى فترة الساعتين ·

وقــال الأب :

ـ ستنصرف اذن ·

فقــال بونغو ناهضــا :

ـ أجـــل ·

وتركا المطعم واتجهــا نحو المعســكر ·

وقال الولد ، واقفــا فى الشــارع :

ـ اذهب أنت ياأبـــى ·

ـ فقـــال الأب :

ـ وهو كـــذلك ·

وتتطلع بونغو فى وجه أبيه ، وبشكل غير مقصود رد الأب النظرة ، ولكنه حول عينيه بسرعة (ولسبب ما كان التطلع فى وجه بعضهما البعض لفترة من الوقت مربكا لسوكيو) ·

ـ حسن ، انصرف الآن ·

ـ نعم ، با ، وانت انتبه لنفسك فى طريق عودتك للبيت ·

وخلع بونغو خوذته الصلب وانحنى كما فعل عندما تقابلا أولا · ثم استدار وبدأ يمشى مبتعدا · وسجلت كل حركات الولد بكل وضوح فى ذاكرة الأدب حتى أدق التفاصيل · وأخذ بونغو يشق طريقه نحو البوابة ، متطلعا خلفه من فوق كتفه مرتين أو ثلاث مرات · واندفع سوكيو فى البداية فى نفس الاتجاه وبدون وعى ، ولكن عندما تطلع الولد خلفه توقف الأب ·

وتاقت نفسه كثيرا أن يقف هناك ويراقب ابنه حتى يختفى عن الرؤية تماما ، ولكن لسبب ما بدا له الأمر مبالغا أكثر من اللازم ، وكأنه يخدع شخصا ما بعلمه هذا ، بالرغم من أنه لم يكن متأكـدا من الذى سيخدعه · وهكذا خطا عدة خطوات خارج الطريق ، وأخفى نفسه خلف مستودع ، وتبــول ·



المشى فى الثلج [1]

سون تشانجسوب

ولد سون تشانجسوب عام ١٩٢٢ فى بيونجيانج • وتعلم فى كوريا واليابان • بدات قصصه تظهر فى كبرى الصحف والمجلات فى ١٩٤٩ • وعرف القراء ميزته الفريدة فى قـــدرته على ابداع شخصيات غريبة الأطوار ، تميز حقبة ما بعد الحرب الكورية فى الخمسينات • لقد نشر سون ست روايات وما لا يحصى من القصص القصيرة • ثم جمع بعضها فى مجموعة قصصه القصيرة « اليوم المطير » ١٩٥٩ ، وفى مختارات من اعمال سون تشانجسوب ١٩٦٩ •

قال الأستاذ وقد تصلب جسده كما لو كان قد من صخر :

ـ لا ، مســـتحيل !

يتطلع كوانسك الى الأستاذ كو وكأنما قد باغتته الاجابة ، وفى عينيه نظرة تقول كيف ـ تجرؤ ـ على ـ رفض طلبى • وكان وجه الأستاذ كو خال من أى تعبير • وظل كلاهما صامتا لفترة من الوقت ، محملقا فى الآخر عبر طاولة المقهى •

ـ لقد كنت جافا أكثر من اللازم ••

انك تتمادى •• تتمادى بشـــدة ••

ـ جافا أكثر من اللازم • لا ، أنا لست جافا أكثر من اللازم ، بل انك انت صفيق أكثر من اللازم • هذا كل ما فى الأمر •

ـ اننى يائس • اننى بوسعى أن أكون صفيقا • ولكنك لا تهتم اذا مت من الجوع أو البرد !

ـ لا يمكن أن أكون مسئولا عن موتك ، سواء مت من الجوع ، أو البرد ، أو حادث مرور • لماذا أكون أنا من دون الناس المسئول ؟

(١) عن الترجمة الانجليزية ل : كيم تشونج ـ اون •

– لم أحسب مطلقا أنك ستعاملنى بهذه الطريقة لا يمكن أن تكون جـادا .

وغرقا فى الصمت ثانية . وكان كلاهما مضطربا .

ليس لكوانسك مكان ينام فيه من بعد غد . لقد ولت حياته نفسها أدراج الرياح . فحتى اليوم كان يعيش مع رجل من بلدته أسس عيادة علاجية غير مرخصة فى حى من الأحياء الفقيرة . ولم يدرس كوانسك الطب مطلقا ، ولكنه كان يقوم بعمل مساعد ، معتمدا على أنه ابن طبيب . لم يكن مشروعا ناجحا على أية حال . ولكنهم تمكنوا من الاستمرار الى أن أغلقت العيادة السلطات الصحية منذ أيام قليلة . ولقد اختفى الدكتور المجهول مع كل متعلقاته ، وسيحل محله فى العيادة أناس آخرون من الغد . ولذلك جاء كوانسك ليطلب من الأستاذ كو ، الذى تلقى العلم على يديه فى المرحلة الاعدادية ، أن يأويه لفترة .

– هذه أول مرة نلتقى فيها من عشر سنين ومع ذلك تجرؤ على أن تطلب منى مثل هذا الطلب ، هل هذه فكرتك عن السلوك الطيب والآداب العامة ؟ اننى فى الحقيقة لا أفهمكم أيها الشبان .

– هذه ليست أول مرة . انها الثانية .

– انها أول مرة نجلس فيها ونتحدث هكذا . فى تلك المرة التقينا مصادفة فى الترام وتبادلنا التحيات لا أكثر .

– على أية حال ، لم أفكر أبدا انك يمكن أن تكون بهذه القسوة .

– قبل أن تتهمنى بالتجرد من الرحمة ، ألا تعتقد أن هناك أمورا معينة عليك أن تأخذها فى الاعتبار ؟ الظروف التى أعيش فيها ، شخصيتى ، ذوقى الشخصى ، و ...

– هذه الأمور ترف بالنسبة لى لا أطيقه ، فعلى أن أجد سقفا أنام تحته . أين أستطيع الذهاب ؟

– وماذا كنت ستفعل اذا لم تقابلنى صدفة ؟

– انه طريق طويل لا رجعة فيه . لابد دائما من وجود مخرج . يجب أن يوجد . جئت هنا لأن لدى ثقة فيك وفى صـداقتنا . ولكنك بلا قـلب !

– صداقة ؟ يبدو أنه ليس هناك حدود لوقاحتك ! أنا لا أذكر اى مناسبة أو غيرها بينك وبينى تبرر استخدامك لكلمة صداقة . انى أبيع العلم بالسعر السائد وأنتم الأولاد تشترونه . منذ متى تصادقنا ؟

بعد ثلاث سنوات فى كوريا الشمالية وثلاث أخرى فى كوريا الجنوبية لمدرس تعاملت مع آلاف الطلاب فهل تفترض أن التزم برباط صداقة مع كل واحد من هؤلاء ؟ هل تقصد أن تقول انى يجب أن أصادق حتى هؤلاء الذين لم يقدموا لى حتى فنجانا من القهــوة ؟ هل ولدت فقط لمســاعدة الآخرين ؟ هل جئت الى الدنيا لكى أكون صديقك فحسب ؟

كان الأستاذ كو مجهدا وكان صوته عالى النبرة • وتطلع كل من فى المقهى ليروا ما يحدث •

كان الأستاذ كو حانقا حتى بعدما غادر المقهى • ولم تكن وقاحة الولد حتى بالمضحكة • يا له من وقح ! والأدهى والأمر أن الولد كان يعتقد أن من القسوة والفظاظة رفض طلبه ، وهو المزعج فى الأمر كله •

وفى اليوم التالى ، عند الغسق ، جلس الأستاذ كو فى المقهى •• كان الجو باردا ، ومع ذلك ظل كو فى جلسته حتى تجاوز موعده المعتاد • كان غارقا فى التفكير ، وقد ارتسمت على وجهه علامات الاشمئزاز • ثم ظهر كوانسك مرة أخرى • وكان يحمل ربطة ملفوفة فى بطانية رمادية قديمة تضم ممتلكاته • واخترق الممشى الضيق بين الموائد والكراسى وتطلع رواد المقهى اليه فى اندهاش • وأشارت له المضيفات بعصبية ليقف • ونهض السيد كو عابسا لملاقاته •

وانفلت الاستاذ كو من المقهى دافعا كوانسك أمامه قائلا :

ـ دعنا نخرج من هنا • كيف تجرؤ على أن تتصرف معى على هذا النحــو !

وأخفض كوانسك رأسه وقال :

ـ لم يكن لى الخيار • أنا آسف ياأستاذ •

وكانت شفتاه زرقاوين وفرائصه ترتعد • ووجد السيد كو أنهما لن يحلا شيئا بوقوفهما فى الشارع • ولا بتوجيه مزيد من اللوم ، بعدما وصل الأمر لهذا الحد • فتركا صرة كوانسك فى محل بيع كتب قريب ، وعادا الى المقهى •

وعندما جلسا أخفض كوانسك رأسه مرة أخرى وقال :

ـ اننى آسف حقا أن يصبح الأمر هكذا ، ياسيدى • لابد أن استخدم تعبيرك الذى استخدمته بالأمس •

ورفع كوانسك رأسه بضع مرات ، وقال :

ـ لقد عقدت العزم على ألا أسبب لك ازعاجا ، ولكن بعد يوم طويل

من التسكع فى شوارع سيول بهذه الصرة ، لم أجد أحدا ألجا اليه الا أنت . فلم يكن لى خيار . مجرد أسبوع ، لا أكثر . ولن أنسى المعروف ياسيدى .

لم يكن يوجد أدنى أثر لنعرة الأمس الاستبدادية ، بل كان ذليلا ، خنوعا ، متوسـلا !

فاضمر الأستاذ كو فى نفسه قائلا :

- يالـك من ممثـل !

ولكنه لم يستطع أن يرفضه بحزم كما فعل بالأمس ، وقال الأستاذ كـو أخيرا :

- أنا لا أستطيع بالفعل ، ولكن اذا كان لمجرد أسبوع فسنستطيع أن نتدبر الأمر بشـكل ما .

وهكذا أصبح كوانسك ضيفا دائما فى حجرة الاستاذ كو الوحيدة المؤجرة .

ويمكننا القول ان هذه كانت البداية للعاصفة التى هبت على حياة هذا السيد المهذب التى توصف بالهدوء والاعتكاف .

ففى أحد الأيام ، أحضر كوانسك معه للبيت فتاة سمراء ذات عينين مستديرتين واسعتين بشكل غير عاد . ولها غمازة صغيرة على أحـد خديها عندما تبتسم . قالت ان عمرها اثنان وعشرون سنة ، ولكنها لا تبدو أزيد من الثامنة عشرة . وكانت ترتدى سترة من النوع الذى يرتديه العمال ولكنها من المخمل الأسود وبنطلون قطيفة مقلم أخضر مهتدىء من عنـد القاعدة والركبتين . وقالت أن اسمها كوينام .

- انها صديقتى وستصبح زوجتى فى يوم من هذه الأيام .

فحملقت كوينام فى كوانسك وقالت :

- لا تسـتظرف نفسـك !

وقال كوانسك كنوع من التعريف ، دون الاهتمام بما كانت تقوله الفتـاة :

- انها كاتبة مسرحية موهـوبة .

وعندئذ خلعت كوينام قلنسـوتها وانحنت بشـدة على الطـريقة اليابانية أثارت اعجـاب الأستاذ كو بالرغم من ملابسها الرثة . وعندما سألها الأستاذ كو اذا كانت تريد أن تصبح ممثلة ، ابتسمت وهزت رأسـها فقط .

وقال كوانسك شارحا :

ـ انها تريد أن تصبح كاتبة مسرح • وبالطبع تريد أن تحترف الاخراج والتمثيل على الهامش •

وعلق السيد كو ان ذلك يبدو تحديا لا يناسب فتاة على الاطلاق •

فقالت الفتاة ببرود :

ـ لماذا ، أليست الحياة نفسها مسرحية •

كان الأستاذ كو يشعر بنفور غريزى من الكلمات الكبيرة مثل الحياة والبشرية عندما يلوكها الشباب فيما بينهم ، ولكن هذه المرة كان الأمر مختلفا ، وقال لها :

ـ هل تعتقدين ذلك ؟ هل الحياة ما هى حقا الا مسرحية ؟ أعتقد أن الحياة لها أوجهها الأصيلة أيضا •

ـ هذه ليست الا الواجهة • انك تتظاهر لنفسك أن الآخرين مخلصون وهذا يتطلب ممثلا حقيقيا ليجعل الآخرين يصدقون أنه مخلص • وبالطبع هذا هو الهدف الأسمى للتمثيل المسرحى •

واصيب الأستاذ كو ببعض الذهول • ان فى كلامها شيئا ما ، ولم يستطع أن يرفضه كما يرفض كلام فتاة طائشة قليلة الحياء لقد قالت أشياء لها نضارتها • فقال :

هذا يعنى أننى أنا نفسى لا أكثر من ممثل ولا يتقن دوره •

وما كان منها الا أن ابتسمت • وقال كوانسك مع ضحكة عالية :

ـ انها كثيرا ما تقول لى أن أتوقف عن تمثيلى الهزيل والأخرق أيضا • انها مخرجة صارمة •

فقالت الفتاة بحدة :

ـ أعرف أن عديم النفع هذا يحاول جاهدا اغوائى ، ولكنى أعرف حيله الخائبة وأستطيع أن أدرك مراميه الخفية من تمثيله السقيم •

رحلت بعدما تناولت عشاء متواضعا قام بتجهيزه كوانسك • وقام الأستاذ كو بتوصيلها الى البوابة • وكانت ترتعد من البرد فى ملابسها البالية • ورافقها كوانسك الى محطة الأتوبيس • وحالما رجع الى المنزل بدأ يطلق الأسئلة على الأستاذ كو •

ـ ما رأيك فيها ياأستاذ ؟

ـ ماذا تقصد ؟

ـ أقصد أن أتزوجها فى يوم قريب • انها ليست سيئة على الاطلاق • أليست كذلـك ؟

فقـال الأســتاذ كو متذمرا :

ـ تتزوجها ؟ كيف تتحدث عن الزواج وأنت غير قادر على اعالة نفســك بمفردك ؟

ـ انك تبخســنى قدرى • انتظر وســترى •

ـ اننى لا أبخسك قدرك • اننى أذكرك بحقائق • كل ما أقوله ان الرجل الذى يعيش عالة على آخر ليس مؤهلا للحديث عن الزواج •

كان كوانسك مزعجا بالنســبة للأستاذ كو • ولم يظهر أى علامة للرحيل عندما مر الأسبوع المتفق عليه •

وقال الأستاذ كو ذات مرة لكوانسك ليذكره بانتهاء المدة المتفق عليهــا :

ـ لقد انتهى الأسبوع المتفق عليه •

فكانت اجابة كوانسك الباردة المرحة :

ـ ياى ، ياى ، أهكذا ؟ كم يطير الوقت ! لقد أصبحت الحياة خالية من الهم حتى اننى أشعر بتحسن كبير • وفى خلال شهر أو اثنين سوف يزداد وزنى • على كل اله لأمر طيب أننى فكرت أن آتى الى هنا •

ووقف الأستاذ كو أمامه فاغرا فاهه ، دون أن ينبس ببنت شفة •

كان الأستاذ كو يقوم بعمل رسومات تصويرية حية لبضع مجلات ويدرس الرسم ساعتين فى الأسبوع فى مدرسة ثانوية للبنات • ودخله ليس كبيرا ، والآن لديه معدتان ليطعمهما بدلا من واحدة ، وكان عليه أن يقتصد فى الانفاق حتى لا يتخطى حدود دخله • ولكن كوانسك يستهلك كميات مدهشة من الطعام ، حوال ثلاثة أضعاف ما يأكله الأستاذ كو • أما استهلاك الوقود وغيره من الأمور فلقد تضاعف ولكن لم يكن ذلك كل شىء ، فكان كوانسك يرتدى ملابس الأستاذ كو دون ترو أو استئذان • وكان الأستاذ كو يغادر البيت قبل كوانسك كل صباح • وذات مرة قابل كوانسك مصادفة فى الشارع ، ولم يعرفه الأستاذ كو فى البداية ، كان يبدو أنيقا ومختلفا • لقد كان حالقا شعره ومرتديا حلة جديدة ، تعرف عليها الأستاذ كو ، فقد كانت حلته التى فصلها فى الخريف الماضى وقام بسداد ثمنها بصعوبة • لقد أحب التفصــيلة واللون ، ولذلك أفردها

للمناسبات الخاصة · بالطبع تطلع الأستاذ كو لكوانسك بغضب ، فقال كوانسـك :

ـ أنا آسف يا أستاذ · كان لدى موعد ولذلك كان لابد أن أظهر بمظهر لائق اليوم · سأذهب فورا الى البيت وأخلعها حالا ·

قال ذلك وانطلق مسرعا ليلحق الفتاة ، التى كانت تنتظره على بعد خطوات · وفى ذلك المساء تحدث الأستاذ كو معه بصرامة بخصوص البذلة · وحك كوانسك رأسـه عدة مرات ، ولكن كانت تبدو عليـه اللامبـالاة ·

ـ ستجعل منها قضية جنائية · انها مجرد بذلة ، سأعطيك دستة منها عندما أضع يدى على أول مليون ·

ولم يستطع الأستاذ كو أن يرد على ذلك · وتبع حادث البذلة هذا مواقف عديدة أخرى على الغيارات الداخلية والجوارب وغيرها ·

وكان لكوانسك عادة غريبة أخرى ، كان يسأل الأستاذ كو أسئلة محرجة · فقد يسأله لماذا لم يتزوج ، على سبيل المثال ·

ـ هذا ليس من شـأنك ·

ـ اننى قلق عليك · ما الهدف من الحيـاة ؟

ـ اهتم بشئونك الخاصة ··· ان كان لك شأن على الاطلاق ·

ـ لدى مشروع · أعرف سيدة عندها صنبور نقود ·

فأدار الأستاذ كو له ظهر وحسب ·

ـ سـوف أعرفـك بهـا ·

ـ · · · · · · ·

واسـتمر قائلا :

ـ أنا لا أستطيع أن أفهمك · فأنا أشعر أحيانا بأنى سأجن اذا لم أتزوج قريبـا ·

بل وأحيانا يصبح كوانسك أكثر صفاقة ، فيقول :

ـ ياأستاذ ، أريد أن أدلك على مكان طيب · آخر حلاوة ، أراهن بأنك لم تذهب الى أى من هذه الأماكن · خمسمائة ون للفرد ··· ألف ون لنا نحن الاثنـأن ·

ولم يستطع الأستاذ كو تحمل هذه الأمور أكثر من ذلك · لقد أهانه هذا الشاب كثيرا ، فقال له حانقا :

ـ اخرس ! هناك حدود لكل شيء ! هل تحاول الاستهزاء بي ؟ أخرج من هنا اذا لم ترد احترام شعورى ، واحترام شخصيتى ، وظروفى الشخصية · أخرج !

فقـال كوانسـك :

ـ على مهلك · أنا لا أحاول الاستهزاء بك أو أى شيء من هذا القبيـل ·

وبعد برهة أخرج يده وقال بلهجة عنيدة :

ـ سأذهب هناك وحدى ، اذا كان هذا يرضيك · وأريد أن أقترض خمسـمائة ون ·

وأعطاه الأستاذ كو المبلغ بدون تردد ، وكان سعيدا بالتخلص منه حتى لفترة قصيرة · ووضع كوانسك النقود فى جيبه وخرج من المنزل الى الظـلام ·

وأصبح الشاب الصفيق مبعث ضيق للأستاذ كو · وأصبح ثقيل الوطأة · ولكنه لم يستطع طرده من المنزل · فلم يكن كوانسك شخصا من النوع الطيع · انه يعرف ذلك جيدا · ولن يلومن الا تردده وحيرته · لقد أصبح منهكا مسـتنزفا ·

وكانت كوينام تأتى كثيرا للمنزل ، يحضرها كوانسك معه أغلب المرات ، ولكنها كانت تأتى أحيانا بمفردها · وكانت ترتدى دائما نفس الملابس ، سترة العمال المخملية السوداء والبنطلون القطيفة المقلم الأخضر مهترىء القاعدة والركبتين · ثم هناك جوارب الرجال التى ترتديها دائما ، والتى تظهر فيها أحيانا ثقوب كبيرة تكفى لابراز أصابع قدميها وكعبيها ·

وأحيانا عندما تقضى الليلة عندهما كانت ترتق جواربها بينما يتولى كوانسك عشاءهم · وفى مثل هذه الليالى ، كان الأسـتاذ كو أكثرهم معاناة ، لأنه كان يتنازل عن فراشه للفتاة ، حيث ان فراشة أنظف كثيرا من فراش كوانسك · ومع ذلك ، كانت الفتاة مترددة فى استخدام الفراش فى البداية · اذ قالت أن اللحاف قذر للغاية · وما كان من الأستاذ كو الا أن غطى حافة اللحاف العليا ، ذلك الجزء الذى يلامس عنقها ، بمنشفة · كانت تحبو داخل الفراش مرتدية كل شيء ماعدا سترتها العمالية · ثم تخلع ما عليها تحت اللحاف · وبعـد فترة من التلوى والتعوج تخرج

بنطلونها الفضفاض ، ثم غيارها الصوفي الداخلي • فيسأل كوانسك سؤاله اللعوب :

ـ هاى ، هل أنت عارية تماما ؟

كان يرقد في الفراش ويراقبها ويحدق النظر فيها وهي تخلع ملابسها ، مشرئبا بعنقه مثل السلحفاة •

ـ لا تستظرف نفسك ! ونم •

ـ ليس عي عيني النوم • هل ستلومينني ؟ تذكري ، كوينام ، انه يوجد رجلان غريبان في هذه الحجرة •

ولكنه كان أول من يستغرق في النوم فهو ينام بسهولة ، مثل كثير من الناس الأصحاء • بل ان النعاس يغالبه في وسط الحديث • وعندما ينتهي الأستاذ كو من عمله الليلي في رسومات المجلة ، تكون هي أيضا في نوم عميق • وبطريقة أو بأخرى يرى ملابسها الداخلية بجانب وسادتها • انه غيار صوفي بالتأكيد ، ولكنه غيار من الغيارات التي يصرفها الجيش في أسوأ حالاته ، فيه رقع عند الركبتين والكوعين • فيراقب الأستاذ كو وجهها النائم ويسترجع قصة حياتها ، كما قد روتها ذات مرة •

ولدت من أب كوري وأم يابانية • وبعد سنتين من التحرير في عام ١٩٤٥ ، عندما كانت في الرابعة عشرة ، هجرت أمها الأسرة وعادت الى اليابان • ولديها أخ كان عمره تسع سنوات • وبعد رحيل أمها ببضعة شهور مات أبوها فجأة • اغتاله شخص مجهول ، وقال الناس انه من فعل اليساريين ، اذ كان أبوها عضوا فعالا في حركة الشباب التحررية ، وكما قالت ، لقد وقعت الأحداث بشكل مفاجيء حتى انها لم تحزن•أحست فقط أنها كاليتيمات اللائي تحكي عنهن القصص الخيالية • وتولت رعايتهما عمة لهما • كانت العمة ميسورة الحال لذا استطاعا مواصلة تعليمهما في ظروف سعيدة الى حد معقول • ولكن نشوب الحرب الكورية في عام ١٩٥٠ ، أنهى كل ذلك • وغادر زوج عمتهما سيول بمفرده قبل احتلال الشيوعيين منزل الجيران • ويعمل أخوها الآن ببيع الجرائد ، ويعيش في منزل منزل الجيران • ويعمل أخوها الآن ببيع الجرائد ، ويعيش في حجرة الحارس الليلي للدار الصحفية ويدرس في المساء بمدرسة ثانوية مسائية •

كز الأستاذ كو على شفته وهو يراقب كوينام أثناء نومها وشعر بالأسى يخالجه • وعندما حركت رأسها على الوسادة ، تمتم الأستاذ كو لنفسه في أسى :

ـ اننى أفكر فيك فعلا كابنتى · سأشترى لك غيارا ثقيلا حالما أحصل على فائض من المال · وقام بتعديل اللحاف الذى يغطيها · ودفع بكوانسك الذى يغط فى نومه جانبا ليفسح لنفسه مكانا ينام فيه · ولكن لم تستمر حالة الأسى والوجوم التى انتابته طويلا · لأن كوانسك بدأ يتقلب ويتلوى بعد رقاده مباشرة · واستيقظ الأستاذ كو مرات كثيرة أثناء الليل بساق خدرة فاقدة الحس من رقاد كوانسك فوقها · ولكنه قرر ألا يهتم بكل هذا حتى يعطى الفتاة فرصة نوم هادىء ·

وفى أحد الأيام قالت الفتاة انها تريد أن تطلب من الأستاذ كو خدمة خاصة · أرادت أن تبقى بالمنزل مؤقتا · وقالت انها متعبة جدا من التنقل بين المنازل ، وانها كانت تقيم مع احدى بنات عمتها المتزوجة الى وقت قريب ، ولكنها لاحظت أخيرا أنها غير مرحب بها · ومن ذلك الوقت وهى تنزل على صديقاتها ، وتقيم عند كل واحدة ليلة أو اثنتين · وحاليا أوشك عدد صديقاتها أن ينفد أيضا · فوافق الأستاذ كو على بقائها عن طيب خاطر ، لأنه اعتقد أنها ستكون تغيرا سارا فى الحياة الرتيبة التى يعيشها هو وكوانسك · وحثها على أن تأتى بحاجياتها فورا ، ولكنها ليس لديها اى شىء يخصها سوى حقيبة ملابس قديمة · وأرادت أن تتركها فى منزل ابنة عمتها ، لأنها قد تحتاج لذريعة للعودة هناك فى يوم من الأيام · وقـالت :

ـ من يعرف ، وسوف أحتاج لبعض الأعذار ·

وفى ذلك الصباح ، بعد رحيل كوينام مباشرة بعد الافطار ، جلس كوانسك مقابل الأستاذ كو وقال :

ـ اننى سأتزوج هذه الفتاة · انتظر وسترى ·

ـ لماذا تثير دائما هذه الجلبة بخصوص زواجك ؟ علاوة على ذلك ، لا أعتقد أن كوينام تناسبك ·

فقال الشاب فى صبر نافد :

ـ ها أنت تعود ثانية · ولن تعرف مطلقا · لن تعرف مطلقا ما هى الحيـــاة ·

ـ ماذا تعرف ؟ هل تعرف ؟ هل تعرف قدرا كافيا عن الحياة ؟

ـ أنا أعرف ما أريد أن أفعله وأعرف ما أحتاجه أعرف هذه الأمور بدقـــة ·

فقال الأستاذ كو بشىء من التهكم :

ـ هل هذا كل شيء ؟

ـ لقد تغير العالم · ولم يعد الناس يبالون بحقارتهم أو نبلهم الشيء المهم هو انتزاع اللحم ·

ـ لقد أصبحت فيلسوفا حقا ! انتزع كل اللحم الذى تريده واتركنى وحـــدى !

فقال كوانسـك :

ـ أن تكون وحدك شيء لا يساعدك على أداء مهامك فى هذا العالم ، هذا ما أستطيع أن أقوله لك ·

خولد الأستاذ كو للصمت · لقد جاءت كلمة مهام الى رأسه بشكل غير متـوقع ·

أخـذ يسأل نفسه :

ـ ما هى المهام التى لدى فى هذا العالم · هل أقوم بمهامى بالكامل كرجل ، كشخص ، كرسام ؟

ولم يستطع رؤية طيفه البالى الذى يلوح من بعيد أمام عينى فكره ·

وفى يوم آخر أحضر كوانسك سيدة أخرى للمنزل · وقال انها من بلدته فى شمال كوريا · وقال وهو يقوم بتعريفها ، انها تملك محل بيع أدوات زينة وتجميل بالجملة فى سوق البوابة الشرقية · ومع مظهرها الزاهى كانت تبدو أصغر من الثلاثين · وكانت الخواتم الذهبية التى فى أصابعها كبيرة وثقيلة جدا · وكانت تضع مستحضرات تجميل كثيفة لم تساعد على اخفاء نظراتها الصريحة · وجلبت معها فواكه وحلوى غالية الثمن · وكانت تتكلم باللهجة الكورية الشمالية الواضحة ·

وقـالت :

ـ لقد سمعت ياأستاذ كو أنك من مقاطعة هوانغى ؟

ثم أضافت أنها تكن احتراما كبيرا لأهل مقاطعة هوانغى · ثم تفرست فى ملامح وجهه بطريقة جعلت الأستاذ كو يشعر بالارتباك · وقالت انها تعرف الكثير عن الأستاذ كو من خلال كوانسك ، وانه من النادر أن يظل مهذب مثقف شريف مثل الأستاذ كو أعزب هكذا فى سنه ، وقالت :

ـ وهذا وحده يكفى ليجعلنى أحترمك ·

ـ أنا لا أدرى ما يقوله لك كوانسك ، ولكنى لا أستحق هذا الاحترام ·

ـ بالطبع تستحق ! ولكنك متواضع ٠ لقد تخطيت الأربعين من العمر وما زلت عزبا دون أسرة ٠ هذا يعنى أنك مجرد من الأطماع الدنيوية وأنك رجل أمانة واستقامة ٠ وأهل الذوق والأمانة لا يعاملون المعاملة التى يستحقونها هذه الأيام !

رمقها الأستاذ كو بنظرة باردة ثم أشاح بوجهه عنها ٠

وعندما جاء موعد اعداد العشاء أخرجت رزمة نقدية من أوراق الألف ون من حقيبتها ، وعدت فى براعة ثلاثة آلاف « ون » وناولتها لكوانسك ، وقــالت :

ـ هيا أسرع واحضر مالذ وطاب من طعام ٠

ثم التفتت الى كوينام وقالت :

ـ ان الرجال ليسوا بارعين فى هذه الأمور ، على ما أظن ٠ أليس كذلك ؟ يمكنك أن ترافقيه لمساعدته فى الشراء ٠

فقالت الفتاة فى وقار راسخ :

ـ انى لم أنفق مطلقا مثل هذا المبلغ من المال ٠ بل انى لم أحمل أبدا مثل هذا المبلغ فى حياتى ٠ ولم ير الأستاذ كو مطلقا رد فعل كوينام بهذه الطريقة ٠ وألقت السيدة سنظرة ازدراء على الفتاة دون أن تقول شيئا٠ ودخلت المطبخ بنفسها عندما عاد كوانسك بمواد البقالة ٠ وأعدت العشاء واستعارت كل أنواع الأطباق والصحون من صاحب البيت بدون حتى استشارة الأستاذ كو أولا ٠ وهجمت على الطعــام الذى أعدته بشراهة وأثبتت أنها ند لكوانسك فى شراهته ٠ وبعد ما غادرت المنزل أنب الأستاذ كو كوانسك على طيشه وحماقته فى احضار مثل هذه المرأة الى المنزل ٠

فقال كوانســك ناصحا :

ـ لا تفسد سرور الآخرين ياأستاذ كو ، حان الوقت لزواجك ٠ ان لديها حوالى ثلاثين أو أربعين مليون « ون » باسمها ٠ وهذا يكفى ويزيد لأى عمل تريد أن تقوم به ٠

فرد عليه الأستاذ كو بسخرية :

ـ انها ستناسبك أكثر مما تناسبنى اذا كانت هذه هى القضية ٠

ـ هذا لأنك لا تعرفها ٠ انك لا تعرف أى نوع من النساء هى ٠ فهذه المرأة لا تثق فى على الاطلاق ٠

ثم استمر كوانسك يقول ان من طريقة نظرتها للأستاذ كو تبدو أنها

مقتنعة به تماما • ثم زكى بالحاح أن زواج الأستاذ كو من السيدة سيكون زواجا مثاليا فى كل الأمور التى يمكن تصورها • ووجد الأستاذ كو فى الموقف بعض ما يضحك ••• شاب مزعج يوصى رجلا متقدما فى السن بالزواج وخلافه • وأخيرا قام بصرف الشاب قائلا :

ـ انك شخص مضحك •

وعندما أنهى كوانسك غسل الصحون فى ذلك المساء ، مديده مرة أخرى الى الأستاذ كو • وطلب على سبيل القرض دون ابداء السبب • خمسمائة « ون »

فقال الأستاذ كو :

ـ لماذا لا تحصل على ذلك من السيدة الغنية ؟ ان خمسمائة « ون » لمبلغ كبير بالنسبة لنا ، وأنت تعرف •

ـ المال لابد أن يدور • ولا تستطيع أن تأتى به الا اذا انفقته •

ـ اننى لا أفهم موقفك من الحياة • انك قذر خليع خصوصا فى وجود كوينام •

ـ دع وعظك حتى أرجع • انى أحس برغبة فى الذهاب لمثل هذه الأماكن أكثر لأنها قريبة منى • آه لو تسمعنى وتبادلنى شعورى نحوها •

وحاول أن يضع ذراعه حول وسطها • فدفعته بعيدا بكلتا يديها قائلة :

ـ لا داعى لجرأتك ، فلست من بنات الهوى • فأعطاه الأستاذ كو النقود ، التى أخذها قائلا :

ـ ذكرنى أن أردها فى يوم ما •

وغادر الغرفة شبه منتصر بينما عبس الأستاذ كو وتجهم ليس من أجل طريقة الشاب الطائشة فقط ولكن لأنه أيضا خاب ظنه فيه •

وتمتم الأستاذ كو بصوت منخفض :

ـ ان هذا الشاب لا يبدو أن لديه حسا أخلاقيا على الأطلاق • فقالت كوينام :

ـ ان موقفه سليم ، سليم طالما لم يتدن الى حب الرذيلة نفسها •

ـ ما هو السليم ؟

ـ أقصد لقد حان الوقت أن يبتعد الناس عن نفاقهم المعتاد •

ـ هل تقصدى أنك تتغاضين عن الفساد ؟

ـ أليس النفاق فسادا ؟ لماذا لا تخترق حاجز الخضوع والامتثال ٠٠٠ انك رسام ، فنان ؟ واذا لم نلق بقناع النفاق بعيدا فالحياة لن تكون سوى ميلودراما فقيرة ٠

فوقف الأستاذ كو أمامها مشدوها ، ومع ذلك شعر بالانتعاش بل حتى بالابتهاج ٠ ولم يكن المنطق المتناقض ظاهريا لتعليقاتها هو الذى تسبب فى رد الفعل هذا الذى يعلمه ، ولكنه كان واعيا بأن هناك شيئا لا يمكن تحديده ، هناك شيء قوى ، انسانى ، ومؤثر فيما قالته ٠

وفى تلك الليلة لم يستطع الأستاذ كو أن يركز فى رسوماته ٠ وظل يواصل النظر الى كوينام ، التى كانت تغط فى نوم عميق ٠ كما عاد كوانسك من مغامرته وأخذ يغط فى فراشه ٠ واستمر يرسم وجه كوينام النائم ٠ وكرر الرسم مرات عديدة الى أن وصل الى نتيجة مرضية ٠ وأثناء الرسم أدرك كم أن حياته التى يحياها موحشة ٠ وتطلع الى وجه الفتاة ثانية ٠

كان أحد ذراعيها ممتدا فوق اللحاف ، فربت عليها٠ولكنه كان يعرف جيدا أنه لا جدوى من ذلك ٠ انخرط فى نوبة اكتئاب ووحشية ٠ وأخيرا أخفض رأسه وضغط شفتيه على فمها الناعم ٠ فتقلبت فى نومها وسحبت يدها ٠ وتمتم لنفسه :

ـ انها مثل ابنتى ٠

وعند ذهابه الى الفراش قبل شفتيها ثانية ، وفى هذه المرة استيقظت ٠ فأحس بشيء من الارتباك وهمس :

ـ أنا أقبلك كما يقبل الأب ابنته ٠

فما كان منها الا أن ابتسمت فقط ، وأغلقت عينيها ، وتقلبت على الجانب الآخر ٠

ومنذ تلك الليلة وهو يقبلها عندما تنام ، وطوال الوقت يفكر فيها كابنته ٠ وأحيانا تستيقظ وأحيانا لا ٠ وأحيانا تتظاهر بالنوم ، ولكنها عندما لاحظت بالفعل ، ابتسمت بشكل ثابت ولم تقل شيئا ٠ ولكنها قالت ذات مرة :

ـ لا بأس ، ان كان ذلك يرد لك ما أدينه لك ٠ فلا يوجد شيء بالمجان فى هذا العالم ٠

وراح كوانسك يردد نصائحه وعظاته ويحث الأستاذ كو على أن

يتزوج من السيدة صاحبة متجر مستحضرات التجميل · وأصر على أنها تتوق للزواج منه · وكان يقول : سيكون هذا مفيدا للجميع ، فلا مزيد من رسوم المجلات والكدح للأستاذ كو ، وبالنسبة لها فهو زوج طيب وأمين ، وسينوبنى من الحب جانب بالطبع ولكن الأستاذ كو قال انه لا يفهم لماذا يشعر كوانسك بالسعادة عندما يزوج الآخرين ·

ــ لماذا لا أكون سعيدا عندما أراك تتزوج ثروة ضخمة ؟

ــ ماذا تقول ؟ ان الأمر عندى أشبه باستئجار جواد ليعاشر فرسة أنا لا أريد هذا النوع من الزواج ·

ــ لا سبيل الى تقويمك ! ألسنا جميعا سلعا تباع وتشترى ؟ وطالما اننا نباع ، فلابد أن نتأكد من أن نباع بسعر جيد · علاوة على ذلك ، فلى حصة فى هذا الزواج · يمكننى استخدام أموال تلك السيد طعم ·

ــ ولهذا الح على أن تتزوجها أنت · وعندئذ سيكون لك كل شىء ·

ــ لا يمكن أن تكون جادا ! لا تنس أنها امرأة بنت أعمالها وحدها تماما · لا يمكنك أن تستغفلها · وهناك نفعيون كثيرون يريدون الزواج منها ، ولكنها تقول لا ! وفى وجوههم ·

ــ ولماذا هذا ؟ اعتقدت أنها تريد أى رجل ·

فقال كوانسك وهو يهز رأسه ببطء :

ــ دعنى أقول لك لماذا · انها تستطيع قراءة أفكار الرجال مثل كف يدها تماما · انها تعرف أن هؤلاء الشبان يطلبون يدها ليضعوا يدهم على خميرتها · ولست فتى يحاول أن يغرر بفتاة لقد بدأت أحس أننى لم أعد أتحمل هذه السيدة وكوينام ·

ــ اذا كانت هذه هى القضية ، فهى لن تدعك تلمس نقودها حتى اذا تزوجتها ، أليس كذلك ؟

فسأل الأستاذ كو لمجرد أن يرى رد فعل الشاب :

ــ ولماذا تفضل امرأة ذكية مثلها رجلا مثلى ؟

ــ هنا مكمن الفرس، انك الصنف الذى تفضله مثل هذه المرأة · أعنى هذا الصنف من الرجال الذين لا يتربصون للانقضاض على أموالها ، لا لأنهم أغبياء بل لأنهم منزهون عن الطموحات المادية ، وغير مؤهلين للأمور العملية · انهم يتحدثون فقط عن الثقافة والقيم الثقافية ومثل هذه الأمور · أجل ، انك الصنف الذى تفضله مثل هذه المرأة ·

ولم يقل الأستاذ كو شيئا · لقد بدأ يخشى كوانسك · ومضت فى نفس الوقت رؤية القيم التى يؤمن بها يطيح بها كوانسك بلا هوادة · وما كان منه الا أن جلس مندهشا · ويبدو أن كوانسك قد أخذ سكوت الأستاذ كو المفاجىء على أنه تغيير فى تفكيره وفى قلبه ·

وحالما انتهى طعام الافطار ، قال كوانسك :

ـ لا داع للتفكير · سأذهب لمقابلة هذه السيدة حالا · والأفضل أيضا أن أحضرها هنا اذا استطعت · وما عليك الا أن تفعل ما أقوله لـك ·

قال ذلك وركض خارج المنزل · وضحكت كوينام بصوت مرتفع ، ولكن الأستاذ كو لم يستطع حتى أن يبتسم · وكان مندهشا من نفسه ، لأنه لم يوقف كوانسك · وتساءل فى نفسه :

ـ هل أنا آمل سرا فى هذه الزيجة ؟

ونظر الى كوينام وشعر بالارتباك · بالطبع ، لم تستطع كوينام أن ترى ما يدور فى عقله · لقد كانت مشغولة بحفظ كلمات دورها فى مسرحية ستقوم بانتاجها مجموعة جديدة من الممثلين والممثلات · كان الطقس دافئا بشكل غير عادى بالنسبة للشتاء ، ولكن لازالت السماء تبدو رمادية عبر النافذة · ولم يستطع الأستاذ كو أن يمنع نفسه من السخرية من نفسه · ووجد مكانا دافئا على أرض الحجرة ، فتمدد لتكملة قراءة الصحيفة التى بدأ فى قراءتها · ولفت انتباهه خبر تحت عنوان كبير :

« مصرع موزعة مستحضرات تجميل جميلة »

هل هو الحب ؟ أم المال ؟

قال الخبر ان سيدة جميلة غير متزوجة تعمل فى تجارة مستحضرات التجميل فى سوق البوابة الشرقية اسمها بيون يونكجو (واحد وثلاثون عاما) قتلت رميا بالرصاص صباح الأمس فى حوالى الســاعة السادسة والنصف · ويعتقد أن القاتل شاب اسمه ايم أراد أن يتزوجها منذ مدة طويلة ، ولكنها كانت تصده دائما · ولقد اقترض أيم منها منذ فترة قصيرة ثلاثة ملايين ون لتمويل عمل له ، حسبما شهد الجيران · وقد جاءت السيدة المقتولة الى سيول حيث أنشأت مشروعا مربحا لبيع مستحضرات التجميل المهربة ، حسبما ذكرت الصحيفة التى قالت أيضا ان المجرم القاتل مطلق السراح ، ولكن من المتوقع القبض عليه فى أى وقت ، الخ ، الخ ·

وناول الأستاذ كو الصحيفة لكوينام · ولما كان الأستاذ كو لا يعرف

اسم السيدة التى أحضرها كوانسك للبيت في ذلك اليوم ، فلم يكن متأكدا ، ولكن لسبب لا يدريه أدرك أنها قد تكون نفس السيدة • وفكر فى نفسه ، لقد كانت بعيدة عن أن تكون جميلة ، ولكن الصحف هى الصحف ، واللجوء الى معالجة الموضوعات باثارة هو شيمتها •

وقالت كوينـام :

ـ لا شك عندى أنها هى • شىء يقول لى انها هى •

كانت على صواب • اذ كان الوقت قرب موعد الغداء عندما جاء كوانسك متوترا ومنفعلا • وقال انهم سيحرقون الجثة بعد الظهـر ، وقـال :

ـ هيا بنا نذهب سويا الى هناك ، أستاذ كو ، ستقول لهم انك خطيبها • وأنت ياكوينام تعال أيضا • يجب أن تشهدى بذلك • لن يوجد هناك سوى قريب لها من بعيد وبعض الأصدقاء • أعتقد اننا سنستطيع أن نحصل على حصة طيبة من تركتها اذا لعبنا الدور جيدا •

فصرخ الأستاذ كو ، وهو يلطم كوانسك على خده بصفعة مدوية ، قائـلا :

ـ اخرس يا جبـان !

كانت أول مرة يضرب فيها أى انسان ، فهو لم يؤذ أى طالب من طلابه مهما كانت درجة غضبه •

فقال كوانسـك بعـد فترة :

ـ لابد أن أذهب لأرى •

ونهضت كوينام على قدميهـا ، وقالت :

ـ وأنا سأذهب أيضا • انى أحب الجنازات ، أحب أن أرى البشر وهم يؤدون الطقوس • سأذهب لاستمتع بهذه الجنازة •

فقال الأستاذ كو وفى صوته مس من الجنون :

ـ اذهبى ! اذهبى ! اذهبى واحترقى مع الجثة ! ولا تعودى مرة أخـرى •

لم يستطع أن يتحكم فى غضبه المفاجىء • ورحل كوانسـك مع كوينام • ولم يقدر الأستاذ كو أن يجلس ساكتا • ففى سورة الغضب الداخلى الذى تملكه أخذ يقوم ويجلس ليقوم ويجلس • وشعر كأنه قد

أهين اهانة بالغة · وخرج من المنزل ليهدىء من سورته · وكان الثلج ينهمر في الخارج ·

ومشى لبرهة في عكس اتجاه الثلوج العاصفة · ثم استطاع أن يرى نهر الهان من تحته · وكان الثلج يتكون فوق سطح النهر المتجمد · فتسلق جانب التل المجاور للنهر في طريق غير مسلوك واستمر الأستاذ كو يمشي في الثلج ·



طريق واحـد (١)

سونو هوى

ولد سونو هوى فى مقاطعة بونجان الشمالية بكوريا الشمالية فى عام ١٩٢٢ ، وخدم فى جيش كوريا الجنوبية خلال الحرب الكورية كضابط معلومات وتعليم • بدات قصصه تظهر بالمجلات حتى قبل تسريحه من الجيش برتبة كولونيل عام ١٩٥٨ • وكانت اعماله الأولى امثلة جيدة للنشاط الأدبى الذى يؤكد الكاتب فيه على اهمية التعهد الكامل بالمشاركة الاجتماعية • كتب العديد من القصص والروايات وهو حاليا رئيس تحرير « تشوسون البو » جريدة يومية محترمة رفيعة المستوى فى مدينة سيول •

ليس لى طريقة لمعرفة مكان هوميونج ، لكن لدى هاجس يقول لى انه لم يمت • لا يمكن أن يكون مات • لا أعرف بالضبط السبب ، ولكننى لم أشك للحظة واحدة أنه سيظهر فى يوم من هذه الأيام حينما تصبح عودته أمرا ميؤسا منه •

من المفروض أن أغادر البلد غدا مع زوجتى التى تزوجتها ، حديثا ، واقضى معها شهر العسل • ولكنى قصدت هذا المكان وأنا مثقل بالاحساس بالذنب لاستغرق لحيظات فى ذكريات المحن التى أصابت صديقى •

كنا نجلس أنا وهو على نفس هذه المنضـدة فى ذلك اليوم الذى رأيته فيه لآخر مرة • ومثل اليوم ، كان المكان غير مزدحـم • كان هو الذى اصطحبنى الى هذا البار المعتم عندما قابلنى صدفة فى الشارع • وكان كلانا سعيدا لرؤية الآخر ثانية ، لأنها كانت مقابلتنا الأولى بعد انقطاع طويل منذ انتهاء الحرب وكنت أنا فى طريق عودتى الى سيول من مقر القيادة العليا للحلفاء فى الشرق الأقصى فى طوكيو ، حيث كنت أعمل رساما للخرائط الحربية منذ اندلاع الحرب •

احتسيت وسكى بالصودا بينما شرب هو جن مخفف بالماء ، وقال :

ـ بالطبع لم أكن أعرف طبيعة عملك جيدا • وفى الواقع ، ان عملك الذى تؤديه فى اليابان ساعدنى كثيرا •

(١) عن الترجمة الانجليزية لـ : كيم تشونج ـ أون •

ـ ساعدك ؟ كيف ؟

ـ حسن ، لقد كنت أعمل فى المخابرات الكورية الأمريكية المشتركة الخاصـة ٠

ـ كمدنى ؟ وماذا عن خدمتك العسكرية ؟

ـ انتهيت منها منذ زمن طويل ٠

ـ متى ؟

ـ سنة منذ اندلاع الحرب ٠

ـ وهل مازلت مرتبطا بأعمال المخابرات ؟

ـ لا ، لقد تركت ذلك منذ ثلاث سنوات أيضا ٠

ـ وماذا تعمل الآن ؟

فقال وهو يرينى كفى يديه الخاويتين :

ـ يمكنك أن ترى بنفسك ٠ ولكن ، على فكرة ، هل أنت عائد لتبقى أم مجرد زيارة ؟

ـ زيارة قصيرة ٠ لأول مرة منذ خمس سنوات ٠

ـ الحياة فى الخارج لا بأس بها ، ولكن لا تحاول أن تنسى بلدك ٠

فقلت :

ـ طبعـا

ثم كان على أن أعترف بالغرض الحقيقى لزيـارتى الخاطفـة هذه المـرة :

ـ فى الحقيقة جئت هنا لاختيار زوجة ٠

وعندئذ رفع حاجبيه وقال فى صوت مرتفع وباللغة الانجليزية :

ـ جميـل ٠

وعندها فرغ من كوبه وطلب آخر ٠ وعندما جاء ، قال :

ـ ان هذا يستدعى الاحتفال ٠

واختفى المشروب الجديد فى جرعة واحدة ٠ ثم حملق فى عينى ، فلاحظت نورا غريبا يتلألأ فى بئر عيينه غير الثملتين بعد ٠
فسألته :

ـ لماذا ؟ هل هذا يبدو مضحكا لك ؟

فقال وهو يهز يديه :

ـ على الاطلاق ، على الاطلاق ٠

فسألت :

ـ بالمناسبة هل أنت متزوج ؟

وتأخر في الاجابة وطلب شرابا آخر ، وبعد برهة قال :
ـ كنت ٠

وومضت ظلال من الألم عبر وجهه ٠

ـ كنت ؟

ـ أجل ، لقد ماتت ٠

ـ ماتت ؟ متى كان ذلك ؟

ـ حوالى شهر الآن ٠

ـ أيوجد أطفال ٠

فقال فى شبه تملص :

ـ أطفال ؟ قلت أطفال ؟

فقلت له وأنا ألاحقه ببعض الشده :

ـ نعم ، أطفال ٠ هل يوجد ؟

فارتسمت ابتسامة مرتبكة على شفتيه ، وقال :

ـ زوجة وطفل ، يمكنك أن تقول انى قتلت كلاهما بنفسى ٠

ـ قتلتهما بنفسك ؟ ماذا تقصد ؟

ـ بالطبع لم أقتلهما بالفعل ، ولكن الطريقة التى جرت بها الأمور ، أدت الى نفس الشىء ٠

ولم أستطع قول أى شىء وانما أخذت أرقبه فى صمت ، واستطرد هو قائلا :

ـ لقد حملت بعد حوالى سنتين على زواجنا ، ولك أن تتخيل مقدار سعادتى وفرحتى بذلك ٠ ولكن بعدها مباشرة أخبرنى طبيبها أنه يستحيل

عليها الانجاب • وبالطبع حاولت الحديث معها واقناعها بعدم استمرار الحمل • ولكن ، كما هو متوقع من امرأة من مقاطعة هامجيونج•••مسقط رأسها ••• كانت عنيدة كالثور • وأخيرا قررنا أن نركز على الاهتمام بحالتها الصحية ، مع وضعها تحت رعاية الطبيب • وعلى أية حال ، مضت أربعة شهور •

واستمر قائلا :

ـ ثم استدعانى فى يوم ما مكتب المخابرات العسكرية • وعندما قدمت نفسى للمكتب ، سئلت ان كنت أعرف شابا يقال انه قد عبر حديثا من كوريا الشمالية الى الجنوبية • لم يكن الاسم مألوفا لى • ولم أستطع التعرف على الشاب عندما استدعوه • كان نحيفا شاحبا كالموتى ، ولكن كانت عيناه حادتين بشكل غريب • ومع ذلك ، عندما تبادلنا بضع كلمات ، سرت رجفة باردة فى ظهرى ، كان الشاب عضوا فى وحدة المخابرات الخاصة التى أرسلت الى كوريا الشمالية قبل سنه من الهدنة تقريبا • باغتتنى رؤيته فلم اتمالك نفسى وأشرأب عنقى فى جلستى فوق الكرسى • قلت :

ـ هل تعرف معنى هذا ••• لقد فشلت فى التعرف على أحد رجالى ، الذى أقسمت على أن أقاسمهم الخير والشر حتى الموت •

ـ هذا لأنه قد تغير كثيرا •

ـ لا ، ان الذى تغير فى مدى تلك السنوات الثلاث ليس هو بل أنا • كنت قد تزوجت واستقريت ، بينما هؤلاء الرجال يخوضون نار جهنم • وتخيل ، أنا الذى أرسلتهم الى هناك •

ـ كل واحد مصيره الزواج •

ـ لا ، الوضع يختلف معى • كثير من رجالى فقدوا حياتهم • وكثير منهم خاطروا بحياتهم تحت ظروف مستحيلة • كانوا ينفذون أوامرى وكنت مسئولا عنهم • وماذا كنت أنا أفعل ؟ أتمتع براحة ودفء فراش الزوجية •

ـ ••••••••

ـ ونتيجة هذا الموقف المشين وفاة زوجتى وطفلى الجنين •

وفى أحد الأيام ، قبل الهدنة بسنة ، عندما كان يرأس جهاز المخابرات ، الماجور جارنر المستشار الأمريكى للوحدة جاء القائد الى خيمته المطلة على البحر الشرقى ، ومعه فتاة صغيرة • وكانت ترتدى البزة

العسكرية وحذاء أزرق خفيفا · كانت نحيفة نحيلة عجفاء ولكن عينيها براقتان سوداوان كالأبنوس · وشعرها الأسود مسترسل فوق كتفيها النحيلين بشكل ثرى وجميل ·

قدمها الماجور جارنر لصديقى على أنها الآنسة يوهيوك · وقال لها الدليل الحى لوحشية الجيش الأحمر ·

كان من الممكن رؤية ندبتين على عنقها عندما رفعت وشاحها الأزرق · وكانت الجروح من جراء الرصاص الذى أخطأ بالكاد اصابة الشريان وعظمة الرقبة واستقرت منه رصاصتان واحدة فى الخلف والأخرى فى الأمام ، لا تزال حديثة ·

والتى فى المؤخرة كانت أكبر وأقبح من التى فى الأمام ·

كانت القوات الأمريكية قد عثرت عليها بين الحيـاة والموت بين أكوام الجثث التى تركها الشيوعيون فى اصلاحية هامهونج ، ومع خروجها من المستشفى ، اعتذرت عن قبول عرض الأمريكى الثرى الذى أراد أن يتبناها ، قائلة انها تفضل العمل من أجل الجيش الكورى · وقالت ان ذلك أفضل شىء يمكنها فعله تحت هذه الظروف ··· فلقد قتل والداها وأخواتها جميعا فى نفس الاصلاحية ·

وعلق الماجور جارنر قائلا بابتسامة ، وهو يغادر الخيمة ، انها ذات مزاج متقد ·

وقالت الآنسة يو وهى تضع وشاحها ثانية :

ـ لقد تم تصويرى وعرضى مرات كثيرة وكأنى أعجوبة أو شىء من هذا القبيل · بالطبع ، لا يجب أن أشتكى ، لأننى استطعت رؤية أماكن كثيرة ، مثل اليابان وأمريكا ، وغيرها ·

ثم أضافت مع ابتسامة انها قد تلقت تعليمها فى ونسان ·

هكذا استقرت مع سريته ، عاملة فى المستوصف ·

وقال :

ـ ووقعت الهدنة بعد ذلك بقليل · ونزل علينا الخبر كالصاعقة · ولكن الأمريكيين كانوا يحتفلون ···

فعلقت أنا قائلا :

ـ كعادتهم ·

ـ ولكنهم كانوا يعرفون حقيقة مشاعرنا ، فلم يدعونا الى حفلاتهم ·

ـ نفس ما حدث فى طوكيو ·

ـ لكن الأمور بدأت تتغير · وارسال العملاء لكوريا الشمالية توقف بشكل مفاجىء على عكس خططنا · ويبدو أن المجموعة الاستشارية الأمريكية لم تعد تعبأ بما نفعله · واستطعت الاتصال بالميجور جارنر وسألته عن نوايا الأمريكيين · وكان متعاطفا جدا مع وضعنا ··· كان رجلا فى غاية الظرف ··· ولكنه اقترح أن ننتظر قرار الرياسة · وقال اننا يجب على الأقل أن ننتظر التسعين يوما فترة الهدنة أولا ·

ـ نعم ، أذكر أنا نفسى فترة التسعين يوما الساحرة ·

ـ وأخيرا انتهت مدة التسعين يوما البطيئة · ومر شهر آخر قبل ما تأتى أوامر التسريح من الرياسة ·

وقلبت الدنيا وأقعدتها وطالبت باجراء فورى فاما أن أبعث أنا وغيرى من العملاء الى كوريا الشمالية أو يعود العملاء المبعوثون الى كوريا الشمالية ، ولكنك تعرف الأمريكان ··· فهم يفصلون تماما بين الأحاسيس الشخصية والواجب · وفى يوم ما ظهر كولونيل بعين واحدة ثاقبة وأعلنها واضحة أننا لن نستمر فى نشاطنا ·

ـ شىء عملى تماما ·

ـ لم استطع أن أفعل شيئا سوى اقتسـام النقود التى لدينا بين رجالنا لارسالهم الى وطنهم ، ورحلت أنا أيضا ·

فسألت :

ـ وماذا حدث للفتاة ؟

ـ لم تأكل أى شىء لعدة أيام بعد اصدار أوامر التسريح · وكانت تذهب الى البلاج بمفردها · وفى يوم دفع آخـر المرتبـات ، جاءت الى خيمتى وبدأت تبكى فى صمت ·

وأنهى شرابه على جرعة واحدة ، واستمر فى قصته :

ـ وعرضت عليها أن أويها · فلدى عم يعيش فى سوون وأقترحت أن تذهب الى هناك ·

ثم ذهب صديقى الى تايجو ، ثم الى سيول بحثا عن طرق لمساندة أو انقاذ عملائه فى كوريا الشمالية · ولكن الأحداث مرت بسرعة وبقسوة وربما يكون من الخطأ أن نبعثها من مرقدها ، فلندع عجلة التاريخ الضخمة تدرسها ·

أما هو فقد أنهكه التعب وخبا فيه الحماس وتحول من اليقظة الى

التراخي والدعة فاستغرق في محاولة التعبير عن نفسه وأخذ يكتب بالأجر للصحف والمجلات . ثم أخذ يهتم بالسياسة وأصابته الشهرة .

وأثرت حياته غير العادية فيهم واندمج في زمرة المشاهير بسهولة ، حتى انه مع الوقت شعر أن الهدنة لم تكن أمرا سيئا بالنسبة له .

وفي هذه الأثناء تزوج يوها يوك . وكلاهما كان سعيدا عندما أصبحت حاملا . وكان توقع ميلاد حياة جديدة احساسا غريبا ، لأنه قد اعتاد على تحطيم الحياة فقط . ولكن زوجته بدت أكثر سعادة . وأخذ يلاحظ نظرة عطوفة مسالمة بشكل غير عاد على وجهها عندما كانت ترمق الفضاء بنظرة حالمة ووعى مسلوب . وبالطبع لم تبال كثيرا بقلق الطبيب عليها .

ـ وبعد حوالى أربعة شهور ، يعود عميل سابق كالمعجزة ، كما قلت لك من قبل .

كان الرجل الذى عاد عبر مائة ميل من الطرق الجبلية الوعرة على الأقدام هو تشوهانجى . لقد كان طالب يدرس الفنون عندما جاء الى كوريا الجنوبية عند الجلاء في ٤ يناير (١٩٥١) . وقال انه طرد من كلية الفنون في بيونجيانج لأنه رسم لوحات تجريديه .

وفي الحقيقة ، ظل يرسم في أوقات فراغه حتى بعد التحاقه بالوحدة الخاصة . ولم يستطع أحد أن يفهم رسوماته . كان أكثر اهتماما باللون منه بالشكل ، وكان يقول انه يترجم الأصوات والموسيقى الى لون . وبالطبع لم يستطع هوميونج فهم لوحاته ، ولكنه كان مستعدا لاحترام الموهبة المبدعة . وادعى تشو أنه يميز الأصوات الخاصة بالآلات الموسيقية المختلفة بالألوان . فالبيانو ، مثلا ، كان أحمر ، ولكنه يأتى بدرجات وظلال مختلفة اختلاف العازفين .

وكان تشايكوفسكى من أوائل من قام برسمهم ، وكان لموسيقى مندلسون أكثر الألوان هدوءا ، وكان لموسيقى الجاز بالطبع الألوان الحية والصاخبة .

وذات مرة اقترح هوميونج على تشو أن يقلع عن التدريب كعميل ويركز على دراساته للفن ، ولكن تشو رفض على أساس أن لا أحد يستطيع أن يعلمه أى شىء أو يفهم رسومه الا رجل احد ، فرنسى ، وقال انه يستطيع أن يمارس ، لسبب ما ، احساسه باللون بشكل أفضل وسط أصدقائه الحاليين .

ذلك هو تشو هانجى الذى عاد الى كوريا الجنوبية بمفرده بعد ثلاث سنوات من ارساله الى كوريا الشمالية .

ـ وعن طريقه عرفنا أن عملاءنا قد ضربوا بقسوة • وأنهم تقريبا أبيدوا بعد سنة من الهدنة •

وأثناء استماعى لسرده للمحن ، ارتعشت خجلا • وعندما تصورتهم فى ذهنى ، وهم يقاسون من البرد والجوع والموت بدون زاد وبلا أى اتصال ، كدت أجن • لقد اضعفتنى ثلاث سنين من مواساة النفس والبلادة وأنا الآن مثقل بتوبيخ الذات والمعاناة الذهنية المبرحة • على أية حال ، تجمع العملاء الذين بقوا أحياء سويا وأختاروا ثلاثة رسل ليعودوا الى كوريا الجنوبية ••• واحد يسلك الطريق الساحلى ، والثانى يحاول الطريق الرئيسى بأوراق شخصية مزورة • والثالث يأخذ الطريق الجبلى • وكان تسو هو الرجل الأخير وكان الوحيد الذى نجح • وأحضرته الى البيت وطلبت منه البقاء معنا حتى يتعافى •

وفى احدى الأمسيــات بعد العشاء ، عندمــا كانوا ينصتون الى الراديو ، تيبس وجه تشو فجأة • واقترب باذنه من الجهاز ، وأخذ يدير المؤشر الى الأمام والى الخلف • وبعد برهة رفع رأسه فى نظرة لا مبالاة ، وعندما سألوه ، قال ان هذه الألوان لم تسجل فى عقله •

ومن اليوم التالى بدأ هو ميونج يأخذ الشاب معه ويطوف به المقاهى حيث يمكنه الاستماع الى موسيقى جيدة • وقام أيضا بزيارة أصدقائه ، حيث يستطيعون سماع البيانو أو الكمان • ولكن لم يساعد أى شيء من هذا • وأخذ يقول ان عقله كالصفحة البيضاء التى ترفرف فوقها ســطور سوداء • وأحضر هو لتشو مواد رسم كاملة ولكن الشاب لم يلمسها • وأخذ يزداد ضعفا واكتئابا كل يوم ، وأصبح هو ميونج مهتما وقلقا على الشاب •

فى الواقع كان هذا نوعا من التعذيب بالنسبة له أن يرى الشاب جالسا وحيدا فىغيبوبة عقلية زاهدا فى الطعام •

ثم قال فى أحد الأيام ان عقله لا يسجل حتى تلك السطور السوداء المارقة ••• وأصبح لوحة فارغة تماما • وغادر الشاب المنزل صباح أحد الأيام ولم يعد لعدة أيام • ولكنه عاد على لوح خشبى ••• ميتا • لقد شنق نفسه فى منتزه نامسان •

واستمر هوميونج فى قصته قائلا :

ـ وهذه هى الطريقة التى مات بها •

لقد استحوذت عليه حتمــا فكرة أن عقله بات فارغا خاويــا • أما عقلى أنا فقد تجرد من كل شعور وحس منذ عودتى للبيت بعــد أن دفنته ، ثم بدأ الألم يحل فيه تدريجيا •

ـ وأخذت أدرك أن على أن أخرج من حالة السلبية التى انتابتنى طيلة السنوات الثلاث السابقة وربما كان الأمر أسهل لو كنت أعزب • ولكن وقفت زوجتى والطفل المتوقع فى الطريق • وحسبت أن هذه هى الغلطة التى اقترفتها •

حاول هو أن يستميل زوجته ويقنعها بالتخلص من الجنين • وأرادت أن تعرف السبب الحقيقى ، ولكنه ظل يقول أنه قلق على صحتها •

ولكنها كانت أذكى من أن تستغفل ، فكانت تقول له بهدوء ولكن بعزم وتصميم :

ـ سأنجب هذا الطفل ولا يهم ما يحدث • ولا داعى لأن تقلق • أعرف ما تفكر فيه ، ولكن ماذا يستطيع المرء أن يفعل الآن ؟ وكيف تذهب الى هناك وكيف تبدأ حياتك ؟ وحتى اذا وصلت هناك ، فما الذى ستستطيع أن تفعله ؟ بالاضافة الى ، ما الذى سأفعله بدونك ؟ أليس لى الحق أن أعيش مثل الزوجات الأخريات ؟

وغادر المنزل دون كلمة • ولم ير شيئا أثناء مشيه المتثاقل على طول الشارع • كان يستطيع أن يسمع فقط دوى الرصاص وزئير المدافع الكبيرة فى ميدان القتال الذى قد نساه من مدة طويلة • واستطاع بعين عقله أن يتصور منظر الرحيل لرجاله المطاردين ، الهائمين عبر الوهاد والممرات ببطون خالية • واسترجع بذاكرته وقت ما بدأ جهازه فى العمل •

كان من المفروض أن يهبط مهندس الارسال اللاسلكى بمعداته أولا ثم يلحق به الآخرون •

أقلعت الطائرة مع مهندس اللاسلكى • ولكنها عادت بالرجال • وأعلن الطيار أنهم لم يستطيعوا رؤية الاشارة المتفق عليها من الأرض • وحاولت الطائرة فى اليوم التالى ولكن النتيجة كانت نفس الشىء • وظلوا يحاولون الى أن نجحوا فى اليوم التاسع •

ثم جاءت عملية أخرى قوية أرسلوا فيها مجموعة كبيرة من العملاء بالبحر فى نقطة موازية لساحل كوريا الشمالية • وتلك كانت المنطقة التى ظهر فيها الماجور جارنز ، وقد حملوهم أولا الى الشمال على ظهر سفينة بحرية ثم حولوهم الى صندل عائم • ومع ذلك ، صدرت لهم الأوامر أن يظلوا بعيدين عن الرؤية بينما قام الماجور جارنز بالتجديف الى الشاطىء مع ضابط صف أمريكى فى مركب صغيرة • وعند الاقتراب من الشاطىء سبح الى الشاطىء بمفرده ، وقام بمسح المنطقة كلها لاستكشاف حالتها الأمنية وعندئذ سمح للآخرين بالذهاب للشاطىء •

والآن فهو يؤنب نفسه ، ان الماجور جارنر ورجاله أجانب وهذه ليست حربهم ، ولكنهم كانوا يخاطرون بحياتهم لتأمين رجالنا • ويمكنك تجريف ذلك وتقول ان الماجور كان يقوم بمثل هذه الأشياء من أجـل فعالية البعثة لا لأى شىء آخر • ولكن لازال •••

كان ذلك دليلا أكبر على أن هو ميونج كان يحترم الحياة أكثر ، ان الحياة أعظم من أى نظام أو أى بعثة • ولابد أنه كان دائم التفكير فى تأمين رجاله • ولم يكن رجاله يتطلعون اليه منتظرين قراره عندما يقعون فى مأزق ؟ انه لايزال يذكر عيونهم المملوءة بالثقة الكاملة وهم يسمعون قولـه :

ــ سنلحق بكم فيما بعد •

لقد رحلوا مع هذه الكلمات فقط كوعد • كان يوجد منطق مشترك وقور فيما بينهم • والبعد لايهم • كان يوجد فقط تسام روحى دفعهم الى الرغبة فى التضحية بأنفسهم من أجل قضية عامة • لقـد اقسموا على الموت سويا •

ــ سنلحق بكم فيما بعد •

(فيما بعد !) ، ولكن مرت ثلاث سنوات • ومعظمهم مات حاليا وهؤلاء الذين بقوا أحيـاء هائمون فى الغابـات بين الوحوش • ومـاذا يفعل هو ؟

مشى هوميونج وسط الزحام بقلب مجنون • انه زحام من أناس يعرفهم جيدا ، ولغتهم هى التى درج عليها ، ولكنه يشعر حاليا أنه أجنبى تماما بينهم • انه يشعر كما لو أنه مجرم كان يعيش فى الخارج لثلاث سنوات •

انه يأسى لزوجته ولكن حس داخلى طرأ له فجاة • فاسرع عائدا الى البيت بشكل قلق • ولم تكن زوجته بالداخل ، ولكن كانت مائـدة الغداء ممدودة ، ومعدة لشخص واحد مع البيض المقلى ، طبقه المفضل ، فى انتظاره •

ــ بالطبع لم يغمض لى جفن فى تلك الليلة ، وعندمـا ذهبت الى المستشفى فى الصباح التالى ، كانت العملية قد انتهت • وبكيت وطلبت منها المغفرة • وابتسمت هى ابتسامة من النوع الحزين ، وأخذت تربت على يدى • وماتت فى الصباح التالى قبل طلوع الفجر •

وحملق بانشداه فى الجدار المقابل عندما انتهى من قصته • ثم أنهى شرابه فى جرعة واحدة • وأردت أن أقول شيئا لأواسيه ، ولكنى

لم أستطع العثور على الكلمات • ورفعت الكوب الى شفتى ، وتظاهرت بانشغالى بالشرب واحتفظت بعينى مغلقتين •

فقال وهو يغسل فمه بجرعة من الماء البارد :

ــ أنا أسف لازعاجى لك بهذه القصة الحزينة •

ثم قال بمرح متصنع :

ــ أول مرة منذ خمس سنوات لانحسن التصرف على الاطــلاق • هيا ، دعنا نطلب شرابا آخر •

سألته فى نبرة منخفضة :

ــ وماذا ستفعل بالضبط ؟

ــ حسن ، حيث اننى بعت المنزل وكل شىء الآن ، يجب أن أذهب وأفعل ما يجب على فعله •

ــ تذهب الى أين ؟

ــ أين ؟ حيث يوجد رجالى ، بالطبع • ألم تسمع هذه الأغنيــة ، هيه ؟ انها التى أعتدنا أن نغنيها فى سريتنا :

نسمع الأصوات تنادينا هيــا للشمال
حيث يجب أن نعــدو وسط الغــزلان
ونسمــع زئير النمــور فى الغابــــات
لنــذهب سويــا ، أيهــا الأخــوة •

كان قد أصبح مخمورا الآن ، ولكنى رأيت فى عينيه نظرة تصميم لا يثنيه عنها شىء عندما قال :

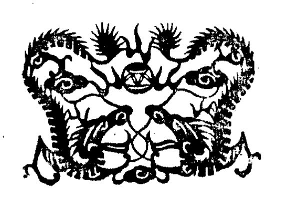
ــ هناك سبيل واضح أمامى ومن الحمق لو انحرفت عنه ••• لابد ان أبدأ فى الحال •• يجب أن أنجز ذلك بأى شكل • ربما يجب على أن أذهب لليابان أولا ــ وقد أضايقك فى تلك الحالة ــ أو ربما أذهب الى هونج كونج • يجب أن أعثر على السبيل للذهاب الى كوريا الشمالية على أية حال • ومازلت واثقا من أننى أستطيع القيام بذلك • ولا تظن أنى أفعل ذلك كوسيلة لايذاء نفسى • انى أتطلع لطريق لأعيش ، والذهاب الى هناك هو الطريق الوحيد للحياة بالنسبة لى فى هذه المرحلة • سأكون جيفة حية فقط هنا • وليس لحياة وموت زوجتى أى علاقة بهذا • وهذه هى آخر مرة أشرب فيها أيضا •

وعرضت دفع الحساب ، ولكنه لم يسمح لى • ومشيت معه الى حيث ينزل •

وخرجت من الزقاق ، وتطلعت الى أعلى على اللافتة المثبته فى ركن الشارع ٠ فكانت تقول بحروف كبيرة :

طريق واحــــد

وكان القمر معلقا فى منتصف السماء ، وعناقيد من سحب المطر تتحرك مسرعة عبره نحو الشمال ٠



الفراق الأخير [1]

باك يونججون

ولد باك يونججون بمقاطعة بيونجان الجنوبية فى عام ١٩١١ · تخرج من جامعة يونسى ، وعمل استاذا للأدب الكورى · ذاعت شهرته منذ عام ١٩٣٤ ، مع فوزه بالعديد من المسابقات الهامة فى الرواية وكتابة القصة ، التى تشرف عليها الصحف والمجلات الأولى فى البلاد نشر ثمانية مجلدات من القصة القصـيرة وما يزيد عن خمس عشرة رواية · فاز بالعديد من الجوائز الأدبية الهامة ، منها جائزة أكاديمية الفنون الكورية ، وجائزة مدينة سيول الثقافية ·

رغم انه اسـتهل حياته الأدبية بالكتـابة عن الريف الا أن كتاباته لا تنعزل مطلقـا عن المدن الحديثة وسكانهـا · وتعتبر The Bell Gabel افضل رواياته ·

نظرت يونجى الى ساعتهـا · كانت جالسة فى مقهى فى الشارع المواجه للمحطة · سيرحل القطار فى خلال عشرين دقيقة بالضبط · وكررت ما قد فعلته من قبل عدة مرات ··· لقد قسمت الوقت فى عقلها الى أشياء متعددة ستقوم بفعلها قبل مغادرة القطار · دقيقتان للمشى الى المحطة ، دقيقتان لشراء تذكرة الرصيف والمشى أسفل المنحـدر ، وثلاث دقائق للبحث عن سونجو بين الزحام ··· وحسبت المجموع سبع دقائق ، وهذا يكفى · ومعنى ذلك أن ما زال لديها ثلاث عشرة دقيقة لقتلها فى المقهى· وطلبت فنجانا آخر من القهوة ·

كان عقلها مشحونا بالهواجس والظنون حول توترها الذى ستكون عليه عند نهاية الثلاث عشرة دقيقة · وعندما وصل فنجان القهوة الثانى تركته يبقى ، لانها كانت تعرف أن الانتظار سيكون غير محتمل اذا احتسته على الفور · تحسست الفنجان وكانت القهوة معدة تماما لاحتسائها ، ولكنها لم ترفعه من مكانه ·وبدلا من ذلك ، نظرت عبر النافذة الى الساعة الكبيرة المستديرة التى تعلو برج المحطة · مازال باق اثنتى عشرة دقيقة ·

(١) عن الترجمة الانجليزية ل : كيم تشونج ـ اون ·

ثم فكرت فى سانجو ، الذى سيكون منتظرا ظهورها بنفاد صبر · لقد اتفقا على اللقاء قبل موعد الرحيل بنصف ساعة ، ولذلك ستراوده الآن شتى أنواع الفكر الغريبة · لعله يتهمها بالتقلب وعدم الانضباط · ومن المحتمل أن يكون فى حالة عصبية شديدة ··· حالة ذهنية بسبب تأخرها عن اداء دورها ·

فيما قد سماه بشكل ميلو درامى « الفراق الأخير » ·

دفع هذا التعبير بابتسامة الى شفتيها ·

لقد نفرت منه · ومع ذلك ، فكل لحظة هى بداية وأيضا نهاية · لقد عثر سانجو على عمل فى بوسان وأراد الذهاب ·

ـ لا بأس ، هيا اذهب اذن ، ولماذا يعذب نفسه وكل الناس الآخرين بنهاية ··· بفراق ؟

ومع ذلك ، فلان سانجو كان ميالا للميلودراما ، فالفراق ، كما فكرت ، سيكون على شكل تمثيل · ولذلك كانت تستعد للفراق الأخير فى المقهى على مسافة أقل من دقيقتين من المحطة رغم أنها تعرف جيدا أن سانجو سيكون مشغولا بالبحث عنها فى هياج شديد بين الزحام على رصيف المحطة · لابد أن يكون المشهد الأخير قصيرا · لايوجد ما هو أكثر مللا من الفراق الذى يطول · وتمنت حاليا أن ترتب كل شىء على وجه الدقة حتى لا يظل أمامها سوى وقت قصير فقط لتقول له وداعا باشارة من يدها · ستكتشف مكان سانجو فى احدى عربات القطار ، وتقول لـه وداعا ، وتقفز من القطار عندما يتحرك · نعـم ، هذا سـيكون مشـهدا ميلودراميا مناسبا له · وبهذه الطريقة يمكنهما الافتراق بدون مبالغات مسرحية ·

وتطلعت الى ساعتها مرة أخرى · أمامها تسع دقائق ، ودقيقتان اضافيتان فى المقهى · وسمحت بدقيقة واحدة للقيام ولدفع ثمن القهوة ، لذلك أمامها دقيقة واحدة ملكها كلية · فأغلقت عيناها ، اذ أرادت أن تقضى هذه الدقيقة الأخيرة فى هدوء ·

ومع انغلاق عينيها ، فكرت فى النهاية كالآتى ··· النهاية لكل شىء · وأرادت أن تنكر ذلك · فالنهاية توجد فقط كشىء نسبى ، ولا يمكن أن توجد كشىء مطلق · خذ الموت مثلا · أنت تموت ولكن جسدك يظل ليتحلل فى التراب · سيعود سانجو فى يوم ما حتى لو أنه سيرحل الآن · فلماذا لابد للانسان أن يتكلم عن الفراق الأخير ؟

وفتحت عينيها ورأت أنها ثمانى دقائق بالضـبط قبـل موعـده

القطار • فنهضت ، ومشت نحو الصراف ودفعت ثمن فنجانى القهوة ، وخرجت الى الشارع •

وعندما دخلت مبنى المحطة بحثت عن النافذة التى تباع فيها تذاكر الرصيف ، ولكنها لم تستطع العثور عليها • فاتجهت الى مكتب الاستعلامات • فأخبرها الموظف الذى هناك أن كل التذاكر قد بيعت •

فقالت يونجى فى صبر نافد ، وهى تحس أن تنظيمها المخطط بعناية ينهار :

ـ لابد أن أودع ناس • وهذا أمر فى غاية الأهمية •

ـ أقترح عليك أن تذهبى الى مكتب مساعد مدير المحطة •

فاندفعت نحو المكتب الذى أشار عليه الموظف • وباقى خمس دقائق فقط على موعد القطار • وأخبرها مساعد مدير المحطة بفظاظة أنه لا يمكن صرف مزيد من التذاكر طالما أنهم باعوا منها أكثر من اللازم • ولم تستطع التنازل عن مطلبها الآن • وحاولت أن تقنعه ببيع تذكرة لها ، قائلة له انها كانت تدرس فى مدرسة كذا وكذا وكثير من الأمور التى لا علاقة لها بالموضوع • وأخيرا أخبرها بأن تذهب لتحاول مع السيدة التى فى الجانب الآخر من المكتب :

ـ انها التى تصرفهم • حاولى لعلك تستطيعين الحصول على تذكرة •

ولكن السيدة كانت مشتبكة فى مجادلة حامية مع رجل لديه نفس المشكلة • وكان الرجل يصرخ بصوت مرتفع ان تذكرة واحدة لن تؤذى أحد •

وأثناء ذلك ، كانت المرأة ترد عليه بكل تأكيد بأنه ليس مسموح لها أن تصرف تذاكر أكثر من الحد الذى تنص عليه التعليمات •

بقيت ثلاث دقائق فقط على موعد القطار •

وقررت يونجى أنه من العبث الانتظار • واسرعت الى بوابة التذاكر • ولم يكن يوجد أحد هناك فيما عدا فاحص التذاكر المرتعد من البرد • واندفعت نحوه وأخرجت له محفظة جيبها ومعها بطاقة تحقيق الشخصية • ورفعت محفظتها عاليا وقالت انها لابد أن تدخل لتودع أناس مهمين جدا • فقال انها لا يمكن أن تدخل • ولم ترد أن تنصت له لأن ذلك سيحطم خططها تماما • ووقوفها هنا سيتركها بلا أعذار عندما يرسم سانجو استنتاجاته ازاء علاقتهما •• ودفعت بمحفظتها الى محصل التذاكر وشقت طريقها عبر البوابة • ولابد وأنه ، من نظرتها اليائسة ، قدر موقفها • فأعاد لها المحفظة وقال لها أن ترجع بسرعة •

وركضت · لن يتحـرك القطار بالفعـل حتى يتوقف الجرس عن الرنين · وركضت نحو مقدمة القطار ، وهى تتطلع عبر نافذة القطار · وتوقف الجرس عن الرنين وهى عند حوالى منتصف المسافة ·

ثم بدأ صـوت هسيس القاطرة وانبعاث البخـار · وبدأ القطار يتحرك · وركضت بأسرع ما تستطيع والى أبعد ما تستطيع · وعلى الفور زاد القطار فى سرعته وتركها وراءه مع وعد تقوض ·

ولاحظت ، وهى تلتقط أنفاسها وترقب ما بعد الغياب السريـع للقطار ، امرأة تلوح باحدى يديها لشخص ما فى القطار ، بينما تمسح دموعها بالأخرى · وها هى تواجه المرأة الآن وجها لوجه · بالطبع ليست هناك طريقة لمعرفة الشخص الذى كانت تلوح له المرأة · ولكن الفضول اشتعل فى بونجى أكثر من المواساة ·

وكانت المرأة حزينة باختفاء القطار وكأنـه يغادر فى رحلة بـلا عودة · انه لا يستطيع أن يذهب الى أبعد من بوسين · لماذا يحزن المرء على فراق وقتى وكأنه يشيع انسانا الى القبر ؟

وارتد صوت صفير خافت على طول الرصيف الصامت · وفكرت يونجى حاليا فى أشياء بمنأى عن البصر · كل شىء يتحرك فى تتابع سريع من البدايات والنهايات · الحركة نفسها تغدو بمنأى عن البصر مثـل القطار · انها تنجرف مثل الماء · وسانجو ، أيضا ، بدأ كأننا ينجرف عنها · ورفعت ذراعها ولوحت لقطار لم يعد ظاهرا للعيان ·

وتساءلت :

ـ لماذا لوحت بذراعى ؟

من المحتمل بسبب الحزن يتملك المرء عند مشاهدة الماضى ينجرف بعيـدا ·

ومن المحتمل أن المرأة المجاورة شعرت بنفس الشىء ·

غادرت الرصيف وقالت فى نفسها ان من خصائص البشر وحدهم أن يعانوا مثل هذه الأحاسيس ·

عبرت البوابة وقـد تملكها احساس بأن اطالة حالة الحزن أمـر ممتع · ونفرت من ضـوضـاء المدينة · التى لا تدل الا على تحجر الأفئدة المخيف · وصعدت ببطء السلالم المؤدية الى كافتيريا المحطة · وأرادت ان تذوب فى أحاسيسها الحزينة الحلوة فى مكان منعزل من المحطـة ، محمية بشكل آمن من الكدر ، من العالم الخارجى فى الواقع ·

وكانت الكافتيريا مقفرة خاوية مثل قاع النهر الجاف خلال قحط

شديد • وقد يفيض الماء فيه مرة أخرى عندما يهطل المطر • وفكرت أن قاع البحيرة الجاف وأرضية البحر التى عراها المد والجزر أفضل بكثير من الصحراء • فلديهما امكانيات • بالاضافة الى أن سقف الكافتيريا الذى يشبه القباب كان مرتفعا جدا • وذكرها بالأطلال الاغريقية بأعمدتها الرخامية المهولة • أليس سقف حجرة الانتظار مرتفعا أيضا ؟ وفكرت أن المكان ذا السقف المرتفع يبعث النشوة فى قلوب الناس •

ورغم أنه كان شهر ديسمبر لكن كل مائدة كان عليها فازة فيها زهور الاقحوان • وبدت الزهور المنتصبة وكأنها هى التى تمتلك المكان •

كان المكان كله لها هى وحدها ، لذلك لم يكن أمامها سبب للتحفظ • وقامت باختيار جسور لمائدة ، أخذت التى فى المنتصف • اذ كانت بمفردها فى المطعم الضخم • ولن يلاحظ أحد حتى اذا غنت بأعلى صوتها •

وشعرت بالاسترخاء فى هذه الحجرة الفسيحة ذات السقف المرتفع • ولم يكن هناك ما يصرفها عن الاستمتاع والتلذذ بالأحاسيس التى انتابتها على رصيف المحطة • وطلبت فنجانا من القهوة •

ولكن بدأ الناس يتقاطرون على الفور ، الناس المغادرون على القطار التالى ، الناس الذين يتدفقون راحلين طبقا لجدول مواعيد القطارات • وللحظة استمتعت بفكرة البقاء هناك والحصول على المكان كله لنفسها ثانية بعد مغادرة كل هؤلاء الناس • ولكنها نهضت • لم تعتقد أنها تستطيع تحمل ضجة ثرثرتهم أكثر من ذلك • وفكرت أن على المرء ألا يظل واقفا على قاع البحر عند وصول المد •

لم تصلها حتى بطاقة بريدية واحدة من سانجو بالرغم من مرور أسبوع • لقد تحدث عن فراق أخير • هل كان يقصد فراقا بالمعنى الحرفى للكلمة ؟ لنفرض أنه يظن أنها لم تذهب الى المحطة لتودعه • هل هذا مبرر حاسم لذلك الصمت التام ؟ لقد ذهبت الى المحطة ، ومع ذلك ، لم يكتب لها سانجو •

كانت جالسة فى مكتبها بالمدرسة تتطلع من النافذة الى الثلج وهو يتساقط برفق • ان تغير القلب تغير النوعية ••• جاءت هذه التعبيرات الى رأسها بشكل مفاجىء • ان للجليد شكل مختلف عن الماء • والثلج شكل للجليد ولكنه ألين كثيرا • لماذا نجد البرد الجامد فى الصيف الحار بينما نحصل على الثلج اللين فى الشتاء البارد ؟

من الواضح أن بعض التغيرات جميلة بينما الأخرى قبيحة • وفكرت أنه عندما تتغير الأشياء فلابد من وجود سبب لذلك •

مر أسبوعان بدون خطاب • ولم تستطع أن تحكم اذا كان تغير القلب هذا تغيرا نبيلا ، ولكنها لم تستطع الا أن تعترف وقوع تغيير •

ووجدت نفسها تخط أشياء على الورق٠ لم يكن لها معنى فى البداية، ولكنها لاحظت أنها كانت تكتب اسم سانجو مرات ومرات ٠ وأثناء كتابة « سانجو » ، « سانجو » ، « سانجو » تذكرت أن القلم الذى تكتب به كان فى الحقيقة هدية من سانجو نفسه ٠

قلم أحمر له غطاء فضى ٠ لقد قال عندما قدم القلم لها :

ـ اننى طماع ٠

كان يقصد أنه طماع لأنه اختار هدية ستظل مدة طويلة وقد تذكرها به دائما ٠ ولكن ، حاليا ، تحول الشخص « الطماع » الى المالك المتصرف لحب عاش أقصر من الهدية نفسها ٠

وبدون سبب على الاطلاق فكرت يونجى فى المحطة بفيضها الدائم من الناس ٠ أناس يصلون ويرحلون ٠ واستدعت لذاكرتها مطعم المحطة مع احساس بالشوق والحنين ٠ والسقف المرتفع ارتفاع السماء ٠ والجو الحلو الحزين لزهور الاقحوان المتأخرة عن موسمها ٠ ورن التليفون وهى ضائعة فى أفكارها ٠

انه السيد (ى) الذى يعمل فى البنك ٠ لقد حاول أن يكسب ودها منذ فترة طويلة والى الآن ٠ وسألها اذا كانت لديها أى خطط لقضاء ليلة الكريسماس ، وعندما قالت أنها لم تضع أى خطة ، طلب منها أن تقضى الليلة معه ٠ ولمع مطعم المحطة عبر ذهنها لذلك عندما أثير السؤال عن المكان ، ذكرت يونجى كافتيريا المحطة بدون تردد ٠

وعلق السيد ى باعجاب عندما تقابلا فى ليلة الكريسماس :

ـ الكريسماس و كافتيريا المحطة ٠٠٠ ياله من توافق ٠

كانت فكرة جديدة ، لكنه لابد أنه ربط ذلك بمعنى معين لانها قد اقترحت المكان ٠ وقال فى نبرة مرحة :

ـ كل ما نحتاجه الآن هو أن يكسوه الثلج ٠

وقررت أن تدعه ينعم ويمتع نفسه ٠ ومع ذلك ، أليس من حقه أن يسلى نفسه ؟

وقال عندما وصل الطعام :

ـ أتمنى لو كنا مسافرين الى أى مكان ٠

وبدا فى الواقع غير قادر على احتواء حماسه ٠

فقالت :

ـ اوافقك ، اتمنى لو كنت مسافرة فى رحلة ٠

وكانت تعنى ذلك ، كانت تريد أن تفقـد نفسها فى الصخب ٠ وعندما انتهت وجبة الطعام قال « ى » :

ـ هل تحبين الذهاب لمشاهدة المبنى الجنوبى الجديد الملحق بمبنى المحطـة ؟

لقد قرأت يونجى عن الملحق فى الصحف ولكنها لم تره ٠ فقالت أنها فكرة طيبة ٠ وكان بناء على النمط الحـديث بة صفوف طويلة من النوافذ المضيئة بأنوار الفلوريسنت المريحة للنظر ٠ كان مبنى ساحرا ، يكفى لاثارة رغبة المرء فى التجول ٠ وتطلعا الى جدول المواعيد ٠

وقالت يونجى :

ـ ألاحظ ان هذا المبنى مقصور استعماله على الركاب المسافرين الى انتشون ٠

ثم استطردت بعد برهة قائلة :

ـ هل تحب أن تذهب الى انتشون ؟

فقفز عند سماعه لاقتراحها ، وقال :

ـ هل تعنى ما تقولين ؟

بالطبع ، لن يحب شيئا افضل من ذلك فى هذه اللحظة ، ولكنه كان يخشى أن تكون مازحة ٠ فقالت :

ـ بالطبع ، أعنى ما أقول ٠

فارتسمت ابتسامة عريضة على وجهه وهو يسرع نحو النافذة لشراء تذكرة الى انتشون قبل أن تغير رأيها ٠

وقال وكأنه يؤكد لها :

ـ واذا تخلفنا عن القطار الأخير العائد الى المدينة ، يمكننا أن ناخذ تاكسى كما نفعل دائما فى عودتنا ٠

ولم تعلق يونجى ٠ ولم ترغب فى التفكير فيما قد يحدث لهما بعد وصولهما لانتشون ٠ انها أرادت فقط أن تذهب الى أى مكان ٠ ان الماء ينطلق نحو البحر ٠ وفى الطريق قد ينهار ويهوى فى منحدرات أو يتلوى ويتسكع عبر سهول ٠ واذا كانت العقبة كبيرة لف من حولها ٠ ولكن الشىء الوحيد ، أنه لا يفكر مطلقا فيما سيلقاه قدما ٠ انها ترغب حاليا أن تفيض مثل ماء النهر ٠

وزعقت مكبرات الصوت • وسارا الى رصيف المحطة وصعدا القطار، وامتلأ قلباهما بفرحة السفر ، وتمنيا لو كان هناك شخص فى وداعهما •

وعلى الفور رن الجرس وانطلقت صفارة القطار •

وفكرت يونجى فى اليوم الذى غادر فيه سانجو المدينة • سافر سانجو بدون أن يعرف أنها قد جاءت للمحطة لتودعه •

ومع صوت الهسيس للبخار الهارب بدأ القطار يتحـرك ببطء • وكان لدى يونجى الوهـم اللحظى بأن هنـاك شخصا ما على الرصيف لوداعها ولكنها لم تنظر للخارج • حتى لو كان هناك شخص ما بالفعل ، لما تمنت أن تنظر • أنها تمنت فقط أن ترحل بدون ضجة ، وقال « ى » :

ـ ها قد وصلنا ليونجدوجيو • انظرى لكل هذه الأضواء !

وبعد برهة ، عندما غادر القطار حدود المدينة ، قال :

ـ انظرى الى الأضواء فى بيوت المزارع • أليست تشبه الفراشات ؟

ولكنها لم تكن تنصت • كانت تعى بشكل مبهم أنها حية ، وأنها ذاهبة الى مكان ما وبسرعة •

وقال « ى » وكأنه يحدث نفســه :

ـ قد يكون من المستحيل أن نعود الى المدينة الليلة •

وعند سماعها ذلك عادت الى نفسها • وشعرت أن كل ذلك قـد ينتهى فى انتشون • والآن هى لا تريد أن تذهب الى انتشون • انها لا تريد أن ينتهى كل هذا

وعندما اقترب القطار من محطة اوريدونج ، نهضت وأخبرته أنها ذاهبة الى الحمام • ولكنها بدلا من ذلك نزلت من القطار • وبدأت تلوح للقطار وهو يجرجر عجلاته فى الظلام • وكان ى ، مثل سانجو تماما فى ذلك اليوم ، راكبا القطـار دون أن يعـرف أن يونجى فى الخارج تلوح بيدها • وعندما خبا مصباح مؤخرة القطار وتحول الى نقطة صغيرة فقط فى الظلام ، فكرت :

ـ ان الوداع قدر على ••

ولوحت من جديد للقطار الذى أخذ يبتعد رويدا رويدا وفكرت ، وهى تمشى نحو مبنى المحطة الصغير ، المظلم :

ـ أتعشم أن يكون لهذه المحطة ، أيضا ، كافتيريا كبيرة لها سقف مرتفـع •

وقت لك ولى وحدنا [1]

هوانج سوفون

ولد هوانج فى مقاطعة بيونجان الجنوبيـــة فى عام ١٩١٥ ٠ تخرج من جامعة واسيدا باليابان ٠ وبدا يشق طريقه الأدبى كشاعر ، ثم ككاتب قصة ورواية ٠ وتتميز اعماله بفهمه الفريد للشعر الغنائى الكورى ٠ نشر ستة مجلدات من اعماله ، نصفها فى عام ١٩٦٤ ، ونصفها الثانى فى عام ١٩٦٨ ٠ وعمل فى المجال الأكاديمى ، كاستاذ للآداب فى جامعة كيونج هى ، منذ عام ١٩٥٧ ٠

ها قد مر يومان

وكان المنظر الوحيد هو لمتون وبطون جبال ملتوية لا نهاية لها ٠ ولا شيء يبدو أنه يتحرك ، ولا حتى الريح ٠

وبدأ جسد الكابتن تشو يرتخي ويتـدلى ٠ كان مستندا بجسده الى رفيقين ، يساعدانه على السير أو قل يسحبانه سحبا تقريبا ٠ لقـد مرقت رصاصة عبر ساقه منذ يومين وهو يعبر مع رفيقيه خطوط العدو ، ولم يكن لديهما سوى خرقه ربطاهـا حول الجرح لوقف نزيف الدم ٠ ومن حسن حظه أن الرصاصة قد أخطأت العظام والجهاز العصبى ، ولكنه بدأ يعانى من ألم أفقده الوعى منـذ الصباح ٠٠٠ هـل أصيبت الساق بالغرغرينا ؟

لم تكن رحلة لها هدف أو مسافة معينـة ٠ لقـد كانوا يقصدون الجنوب فحسب ٠ وكان الكابتن تشو يعى جيدا أن الاحساس بوجود هدف معين ومسافة محددة يمكن أن يساعد الجرحى كثيرا ٠ لقد رأى ذات مرة جنديا مصابا برصاصـة اخترقت أسفل بطنـه ومع ذلك تمكن من العودة للصفوف الصديقة ، على بعد حوالى نصف ساعـة وهو يسير على قدميه ويغطى الجرح بذيل قميصـه ليسقط منهارا ولم يسقط منهـارا الا عندما رأى أنه أصبح بين أيدى الأصدقاء ٠ وكان السبب الوحيد الذى

---

(١) عن الترجمة الانجليزية ل : كيم تشونج ـ أون ٠

استطاع أن يقاوم من أجله مثل هذا الجرح الخطير هو أنه كان على وعى بمكان خطوط الأصدقاء · أو بالأحرى كان لديه هدف مباشر ليفوز به ·

وهم ، مع ذلك ، قد حرموا من هذا الهدف المحدد · ولكن لم يتجاسر الكابتن على أن يخبر الملازم هيون ولا العريف كيم أنهما يجب أن يتركاه ، حتى وان كان لم يعد يقدر على المشى ، وبالتالى أصبح عبئا عليهما · وأن يتركاه وحده سيلقى حتفه دون ريب ·

وهكذا ، عندما اقترح العريف أن يحمله على ظهره ، لم يتردد الكابتن لحظة ، بل تركه يحمله دون أن يتفوه بكلمة ·

كان العريف فى السابعة عشرة من عمره ، مجرد غلام مراهق ريفى استطاع أن يحمل الكابتن على ظهره ببراعة · ثم جاء دور الملازم ليؤدى واجبه ·

ومع ذلك قبل أن يدير ظهره للكابتن ، رمق الملازم بنظرة سريعة المسدس المعلق على جانب الكابتن · لقد ألقى الثلاثة بالفعل حقائب ظهورهم ، وخوذاتهم ، وبنادقهم ، وحتى جاكتاتهم من وقت طويل · والسلاح الوحيد الذى ظل كان مسدس الكابتن ·

واستطاع الكابتن أن يخمن بسهولة ، ماذا كان يقصد الملازم بتلك النظرة · ولم يكن من الانصاف لوم الملازم · فمنذ أن أصبح غير قادر على السير بمفرده أصبح بالفعل حملا على من معه · ولكن الاثنان لم يطاوعهما قلبهما أن يتركا رئيسهما · واختصارا للحقيقة ، كانا ينتظران منه أن يقوم باستخدام المسدس استخداما جيدا ليسهل انطلاقهما ·

ولكن الكابتن تجاهل ببساطة نظرة الملازم واكتفى بخلع بنطلونه وحذائه الثقيل وعهد بثقله لظهر الملازم ·

بالطبع ، كان الملازم هيون لا يضاهى العريف كيم ، لكنه لا يزال أمتن وأقوى من كابتن تشو ، واستطاع أن يحمل الرجل على ظهره لمسافة كبيرة · وكان كلا الضابطين أصلا مع فيلق الطلاب المتطوعين ·

كان طعامهم طيلة اليومين الماضيين ندرا يسيرا أغلبه أنواع مختلفة من جذور الأعشاب وماء العيون أحيانا لاطفاء عطشهم · علاوة على أن الشمس الحارقة للصيف المبكر لم تساعدهم على أى شىء ·

وسال العرق الى عينى وفم الحامل · الذى لم يكن يستطع أن يطلق يديه ، فلم يعد فى وسعه سوى أن يغلق جفنيه باحكام ليطرد العرق ويبصقه ، أو ينثره بهزات متلاحقة سريعة من رأسه · وبالتدريج ، أصبحت كل خطوة أقصر ، وكان عليهم أن يستديروا كثيرا وبشكل متكرر ·

وكان الكابتن يستطيع أن يشعر بملمس ظهر الحامل الرطب اللزج عبر قميصيهما ، ولكن الغريب فى الأمر ، أن هذا الملمس ، جعله يشعر يقينا ببقائه على قيد الحياة ٠

كان الملازم ، الذى قد أخذ دوره فى حمل الكابتن على ظهره مرة أخرى ، يفكر فى نفس الشىء الذى راوده مرات ومرات ٠ انه المنظر الذى يتذكره من الحلم المقتضب الذى شاهده منذ ليلتين قبل بدء العدو فى عمل تلك الضجة الرهيبة بآلاته النحاسية ومزاميره ٠٠٠

كانت الشمس تمطر شظايا لهبها من سماء رمادية على الأرض الخراب القاحلة الدكناء الممتدة حتى الأفق ، ووسط هذا القفر المترامى يقف هو ، دونما سبب ، وتغوص ساقاه فى التربة العميقة حتى تصل الى ركبتيه العاريتين ٠

كان منزعجا أشد الانزعاج فهو يعتز بقصبتى ساقيه أو بشىء يكسوهما ٠ ففى الليلة السابقة لالتحاقه بالجيش ، رأته حبيبة قلبه وساقاه المشعرتان عاريتان ، وطلبت منه الاهتمام بالشعر الطويل على كل قصبة ساق ٠ لأنها تحب أن تفكر بانه ملكها ٠ والآن هذا الشعر فى خطر وهو مدفون تحت التراب الداكن ٠

ولم تكن تلك مشكلته الوحيدة ٠ كان هناك جحر نمل أمامه تماما فى التراب ٠ ولسبب ما غريب ، خال أن عليه أن يراقب جحر النمل هذا، رغم أنه لم يأمره أحد بذلك ٠ وأخذ يزحف صف لانهاية له من النمل الأسمر خارجا من جحرالنمل ٠ ومع ذلك ، كانت تقف عند مدخل الجحر نملة سمراء ضخمة تقضم رءوس النمل الزاحف الى خارج الجحر ٠ وسرعان ما امتلأ المكان بأجسام النمل ٠ وفى اللحظة التالية ، تحولت أجسام النمل الى غبار أسمر ٠ ولعل هذه الأرض الخراب اليباب مكونة من أجسادهم وظلت تتوهج فى السماء الرمادية واستمر هو يراقب جحر النمل دون أن يتزحزح ٠

راوده هذا المشهد مرات ومرات ٠ وكان واعيا بشكل مؤلم بثقل الكابتن الضاغط عليه ٠ وكان هناك طريق واحد ، طريق واحد فقط ، للتخلص من هذا الحمل المقيت ، اذا كف الكابتن عن مقاومته الحقيقية٠انك تفهم وبوضوح ٠٠٠ والا ، سيلقى ثلاثتهم جميعا حتفهم الأكيد فوق جبل لا اسم لـه ٠

وشعر بعطش متقد ٠

ثم فكر فى الخطاب الذى كان قد تلقاه منذ خمسة أيام من حبيبة قلبه ٠ لقد كتبت :

ـ ان زهرة شفتى المتفتحة لا تذبل أبدا ، لأن ذكريات الماضى السارة التى منحتها لى ترويها بشكل دائم ٠

لقد همس فى أذنها ، ذات مرة ، بعد قبلة طويلة ٠٠ طويلة ٠٠ أن شفتيها زهرة ، ليست من ورقة واحدة ولكن من طبقات متعددة من الأوراق ، لا يمل من الغوص فى أغوارها ٠

وكان هناك تغير ملحوظ فى الخطاب أيضا ٠ انها استخدمت الضمير « أنت » الرافع للكلفة مع اسمه الأول ، وكانت من قبل تستخدم دائما « السيد هيون » ٠ وهذا التغير يعنى فقط روابط حميمة بينهما ٠ وتذكر الآن أنه أثناء قراءته للخطاب ، قد تطلع الى قصبتى ساقيه المشعرتين ، وهو يشعر بعينى الفتاة الباسمتين وهى تحملق باعزاز فيهما ٠

ومع حمله لهذا الرجل على ظهره فى هذه الحرارة اللاسعة ، يحاول أن يطفىء عطشه بذكريات الماضى وبلمسة شفتى حبيبة قلبه ٠ وحاول أيضا أن يرى عينيها المحببتين والباسمتين متجهــة نحوه ، وفى متابعــة عينيها المتخيلة ، بدت عيناه المبللتين بالعرق تسطعان بشكل كبير ٠

ووصلوا الى قمة فى الجبل ٠ وكان دور العريف لحمل الكابتن ٠ وكانت تضاريس الأرض تجبرهم ، اما أن يختصروا الطريق بالهبوط فى أخدود ، ثم يتسلقوا المنحدر على الجانب الآخر ، أو الالتفاف حول الأخدود فى درب طويل ولكنه ممهد وسهل ٠

واقترح الملازم هيون عبور الأخدود ، الذى لم يكن بالعميق ٠ وهم فى موقف يجب أن يفكروا فيه فى ادخار قواهــم حتى لو كان الموضوع بضع خطوات فقط ٠

ولكن كانت فكرة العريف مختلفة ٠ وقال اذا ضلوا طريقهم واتجاههم فى الدغل الكثيف أسفل الأخدود ، فسيبددون وقتهم وطاقتهم ٠ وبينما هم لا يزالوا مترددين تحدث الكابتن قائلا :

ـ أيها الملازم ، دعنا نتبع نصيحة العريف كيم ٠

واختطف الملازم نظرة تجاه المسدس على جانب الكابتن ٠ وراوده حلمه من جــديد ٠

كانت الشمس القائظة مرتفعة فى كبد السماء الرمادية ومن تحتها أرض قفراء تمتد بلا نهاية ٠ وكان هو وسطها يتصبب عرقا بغزارة ٠ وكان جحر النمل الذى أمامه تماما لا يزال يلفظ صفة اللانهائى من النمل البنى ، والنملة السمراء الضخمة الواقفة عند مدخل الجحر لا تزال تقضم رءوس النمل فور خروجه ٠ كانت النملة الضخمة وكأنها تعمل فمها بشــكل

ميكانيكى ، والنمل فى الصف وكأنه يضع برأسه فيه بشكل آلى • وتتحول أجساد النمل الى تراب أسمر • ويزداد التراب عمقا بالتالى ، والشعر الذى على قصبتى ساقيه يدفن تحته • وتحرق غيظا ، ولكن لا يوجد أمامه شىء يفعله سوى الوقوف بجانب الجحر والمراقبة •

وفجأة وجد جحرا جديدا آخر ، ليس بعيدا عن الجحر المميت ، الذى كان متصلا به بواسطة ممر سرى • وبالطبع ، لم يكن هذا الجحر الجديد جزءا من حلمه • انه نتيجة لحظة واعية • ولكن لا يزال النمل الأحمق يخرج من الجحر القديم ويتعرض لقطع رأسه •

وبالرغم من أن الملازم هيون لم يكن حاملا الكابتن على ظهره ، الا أنه كان يشعر بعرق بارد لزج يغطى كل جسده •

وقبل الغسق مباشرة أمسكوا بحية ، فشووها ، واشتركوا فى التهامها • وعندما انتهوا منها ، نهض الملازم وتركهما وكأنما ذهب لاراحة نفسه • وبعد برهة وجيزة تحدث الكابتن للعريف قائلا :

ـ انصرف أنت ، أيضـا •

وكانت هذه أول مرة يذكر فيها هذا الأمر •

فنظر العريف اليه وكأنه لم يفهم • وقال الكابتن مرة أخرى :

ـ رحل الملازم هيون • تعب من الانتظار ، على ما أظن •

ـ تعب من الانتظـار ؟

ـ نعم ، تعب من انتظارى لأقتل نفسى •

وبالفعل ، لم يعد الملازم • وقال الكابتن وهو يتجنب عينى العريف :

ـ أقول ، لك أن ترحل أيضا •

وفكر العريف كيم قليلا ، ولكنه تطلع الى الشمس الغاربة ، وأعطى ظهره للكابتن دون أن ينبس بكلمة •

والآن لا يوجد أحد يريح العريف ، فكان تقدمهما ضئيلا جدا • وكان عليهما أن يرتاحا كثيرا •

وعندما حل الليل ، سقطا من التعب والارهاق • وتذكرا أكياس البسكويت الناشف التى كانت فى حقيبتى ظهريهما ، والتى ألقيا بهما من قبل ليخففا حملهما • ولكن يبدو أنهما فعلا ذلك من قبيل العادة ، لأنهما فى الحقيقة ، قد تخطيا النقطة التى يكون الانسان فيها قادرا على الشعور بالجـوع •

وفكرا أيضا فى الملازم هيون . ترى أين وصل الآن ؟ وفكر العريف كيم أنها قسوة من الملازم أن يتركهما هكذا . ولكن الكابتن راوده أمل عقيم ، أن يصل الملازم الى صفوف الحلفاء فيبعثوا لهما فرقة انقاذ . بالطبع ، لم يتكلم أى منهما عما يفكر فيه .

ولم يستطع الكابتن النوم الا بعد ما نام العريف بفترة طويلة . لم يعد جرحه يقلقه . وكان لديه شعور غريب أنه اذا نام فربما لن يستيقظ فى الصـباح .

ثم ، عاوده التفكير من جديد فى المرأة . كان من الغريب تماما أن يفكر فيها فى هذه اللحظة بالذات .

انها المرأة التى ابتاعها لليلة فى بوسان أثناء أجازة استغرقت ثلاثة أيام ، بعد معركة مريرة لعب فيها دورا هاما فى تأمين تبه حيوية . لم يسألها، لكنها ، روت له واقعة حدثت لها فى سيول عندما جلى عنها الأعداء فى يناير . كانت تعمل مضيفة فى بار . وذات يوم اقتحمت فتاة منزلها عند الغسق . كان يطاردها ثلاثة جنود أمريكا . وتمكنت من تهريب الفتاة من الباب الخلفى ، فوقعت هى فريسة الشهوة البهيمية البغيضة للجنـود الثلاثة . ولم تكن قادرة حتى على التمييز بين جندى وآخر ، وأغشى عليها ولم تعد لوعيها الا مع طلوع النهار . والغريب أنها صادفت الفتاة ذلك اليوم فى شارع فى بوسين . بالطبع ، كانت الفتاة هى التى أوقفتها ودموع الفرح تسيل على وجنتيها .. دموع فرحة لهذا اللقاء غير المتوقع . أرادت الفتاة أن تعرف ان كان بوسعها أن تسدى لها أى عون .

وعندما انتهت من قصتها ، قالت انها كانت ممتنه جدا لتلك الفتاة التى أسرها أدبها . ففى تلك الظروف ، تلجأ معظم الفتيات الى تجاهل امرأة مثلها ، بل ربما زجرنها .

وبينما كان الكابتن ينصت لقصتها ، وهى حكاية جديرة بالثناء ، شعر بحافز مباغت فى أن يداعبها . لذا سألها اذا كانت ترغب فى تكرار ذلك الآن وترقد كأنها فى اغماء حتى طلوع الفجر كيما تصنع معروفا جديدا تنال عنه الشكر والامتنان .

فأشعلت المرأة سيجارة فى الظلام وقالت بهدوء وببساطة بأنها لا تدرى ، ولكنها لا تعتقد أن مثل هذه الأمور تحدث لمجرد أن المرء يريدها أن تحدث . وكل ما تعرفه أنها حلت مكان الفتاة دونما أن تعى ما كانت تفعله ، وأن الناس غالبا ما يقومون بأمور عفو الخاطر وقد يعجبون هم أنفسهم منها فيما بعد ، وأنها قد أوقد لا تتصرف بنفس الطريقة اذا تعرضت لنفس الموقف مرة أخرى ، وأن كل ذلك يعتمد على ظروف الوقت نفسه .

والآن وهو راقد على الأرض فى الظلام فوق تل لا اسم له كان يقلب فى فكره ما قد قالته المومس فى تلك الليلة · والآن بعد ما أمعن قليلا فى هذا الموضوع ، استطاع أن يفكر فى مواقف كثيرة تصرف هو نفسه فيها بطريقة مشابهة · ومرات عديدة قد جعلته التعقيدات الناشئة عن القتال العنيف يتصرف على نحو فجائى فى حالات غير متوقعة عديدة ·

ثم برقت فكرة جديدة فى رأسه · عندما سألها هذا السؤال الخبيث ، ألم يكن بالفعل على يقين أنها كانت ستتصرف بنفس الطريقة فى موقف مشابه ؟ ألم يتوقع بالفعل أنها قد تقوم بنفس التصرف لأنها امرأة سيئة السـمعة ؟

والآن والموت على الأبواب ، وهو راقد على تل لا اسم له فى الظلام ، أحس بأن ليس له الحق مهما كان فى أن يتوقع من المرأة أن تتصرف بطريقة أو بأخرى · وبنفس الصفة ، فكر بأنه ليس لأحد أى حق فى الحكم على سلوكه خلال القتال الماضى وأن يتوقع منه أن يقوم بواجبه بطريقة أو بأخرى فى مواقف مختلفة نشأت فى ميادين القتال ·

وفجأة شعر بدافع للاحتجاج لشخص ما ، لأى شخص ، ولكنه لم يجد من حوله سوى ظلام دامس مطبق · ونام هو أيضا أخيرا ·

وشرعا مرة أخرى فى رحلتهما مع بذوغ الفجر · وأجبرا على الوقوف للراحة مرات عديدة · وخلع العريف ، أيضا ، بنطلونه وحذاء القتال · وكان يعرف جيدا صعوبة أن يطأ ممرات الجبل الصخرية حافى القدمين ، ولكن ثقل هذا الحذاء قد أصبح لا يطاق على الاطلاق ·

وتقرح باطن قدميه ونزف ، ولكن كان من المستحيل أن يختار طريقه بحرص وأن يحمى قدميه ·

ولم يكن على مدى البصر سوى قمم لا نهائية ، وأخاديد وبطون لا تتحرك · ألم تكن هذه المنطقة ، التى أخلاها بارؤها من نعمه ، مأهولة يوما ما بالبشر ؟ وبدلا من صوت مدفعية الحلفاء ، الذى انتظراه بلهفة شديدة ، لم يصل لآذانهما سوى الهدوء اللانهائى والعميق ، وتنفس العريف المجهـــد ·

وبالرغم من ذلك أرهف الكابتن سمعه حتى ليكاد يسمع وقع الأبرة ، ثم اقترح الكابتن أن يستريحا قليلا ويشربا بعض المـاء · ولم يعـرف العريف ما الذى يتحدث الكابتن عنه ، ولكن بتوجيه المحمول للحامل ، وصلا الى ينبوع ماء صاف يسيل من شق فى الصخور ·

كانت المسافة الكلية التى قطعوها فى ذلك اليوم أقل من ثلاثة أميال . وخلال ذلك الوقت لم يأكلا سوى أربعة ضفادع نيئة قد أمسكا بها .

وأصبحت ركبتا العريف أكثر التواء . وكان ظهره محنيا لدرجة أنه بدأ كما لو كان يحبو ، أو يكاد .

وشعر الكابتن بالموت يقترب ويقترب ، كلما ازداد تهدل العريف وارتخائه .

وحول انحناء على التل بعد ظهر ذلك اليوم ، رأيا غرابا فوق رأسيهما . ووجدا الممر تعترضه صخرة مميتة ، بشكل مباغت ، كادا يخطوان فوق حافتها .

واستدار العريف بسرعة وابتعد عن الحافة ، وتطلع الى أسفل حتى سفح الصخرة البعيدة . فرأى هناك العديد من غربان الجيفة يلتهمون شيئا بشراهة .

كان جسدا بشريا ، ولم يكن سوى جسد الملازم هيون ، بنفس القميص والبنطلون والحذاء التى كان يرتديها الملازم عندما تركهما فى اليوم السابق .

وأخذت الغربان تنقر وجه الجثة . ثم تطلعت لأعلى ، فرأت الرجلين الواقفين عند قمة الصخرة ، ولكنها ما لبثت أن عادت الى وليمتها فى الحال .

كانت العينان قد غارتا من الوجه ولم تبق سوى حفرتين مظلمتين . فخطا الاثنان خطوتين للوراء وتعثرا ساقطين على الأرض . وبرؤيتهما لجسد الملازم ، بدأ الرمق الأخير من القوة لديهما يتلاشى من جسديهما .

وبعد برهة نهض العريف على قدميه وزحف الى الحافة ، حيث ألقى منها صخورا الى سفح الصخرة . وكل مرة يرمى صخرة تتفرق الغربان بعيدا عن الجسد ، ولكنها تعود فى الحال وهى تنعق نعيقا مشئوما ساخطا .

وعاد العريف متعثرا ، ورمق الكابتن بنظرة سريعة . كان الكابتن راقدا وعيناه مغلقتان .

واستطاع العريف أن يشعر باقتراب الموت . كان من الغريب الشعور به حاليا ، لأنه لم يشعر به فى أقسى حالات القتال فى ميدان المعركة . وغدا ستنقر غربان الجيفة هذه عيونهما . وفكر أنه يفضل أن يموت أولا عن أن يرى جسد الكابتن تنقره هذه الغربان .

وأراد أن يبكى ، ولكن لم تكن لديه القوة على ذلك .

واستيقظ العريف على صوت الكابتن · وعندما فتح عينيه استطاع أن يرى السماء ذات النجوم من فوقه ·

وقال الكابتن فى همس أجش :

ــ استمع لذلك · انها المدفعيــة ·

وجلس العريف ، بعدما استيقظ تماما ، ليسمع · حقا كان يمكن سماع قصف مدفعية خافت مثل رعد بعيد ·

ــ مدافــع من هذه ؟

ــ مدافعنا على ما أعتقد ، عيار ١٥٥ ·

واذا قال الكبتن ذلك فلا يمكن أن يوجد أى خطأ · ولما كان العريف على وشك أن يسأل سؤالا ، تحدث الكابتن قائلا :

ــ ولكنها بعيدة · حوالى خمسة عشر ميلا · اذن لا فائدة ان كانت الحالة هكذا ، وعاود العريف كيم وضعه المنبطح اليائس ·

وبدأ كابتن تشو يشعر حاليا بالموت البطىء ، اكتسب ذهنه شفافية وصفاء ، وباغتته الفكرة التى كان يحاول تجنبها · ان عليه أن يستخدم المسدس استخداما أحسن ، فلو أنه قتل نفسه المقدر عليها الموت من زمن طويل ، لكان الأمر أفضل للآخرين ، وما كان الملازم هيون قد انسل هاربا وسقط من الصخرة الى حتفه ، وفكر :

ــ على أية حال ، مازال هناك وقت · فالعريف كيم ، رغم استنزاف قواه ، لازالت أمامه فرصة العودة لصفوف الحلفاء اذا أعطى الحــرية · فاستدار الى العريف وقال له :

ــ المدفعية فى الاتجاه الجنوبى الشرقى · انزل الجانب الأيسر من الصخرة · واركض · انه أمر · وبعد ما قال ذلك سحب مسدسه من جرابه ببطء وبصعوبة ·

وعندئذ ، وعندئذ فقط ، التقط صوتا آخر ، يختلف تماما عن قصف المدافع · وفى البداية تشكك فى أذنيه · وقال للعريف بعد برهة :

ــ ما هذا الصــــوت ؟

ورفع العريف كيم رأســه وأنصــت ·

ــ أى صــوت يا ســيدى ؟

فقــال الكــابتن :

– لقد توقف · اننى لا أستطيع سماعه الآن !

ثم سمع الصوت ثانية فقال :

– مرة أخرى · انه يأتى من ذلك الاتجاه ·

ولكن العريف لا يزال لا يسمع شيئا ، فقال الكابتن :

– انه يشـبه صـوت كلب ينبح ·

كلب ! ونهض العريف على ركبتيه ، رغم قواه الخائرة ، وحبا الى حافة الصخرة · اذا كان كلب ينبح ، فلابد من وجود منزل وبشر فى المنطقة · وقال الكابتن ·

– انه وراء هذا المكان ·

ولكن العريف لم يستطع أن يسمع شيئا ، فعاد الى مكمنه السابق وسقط فى اعياء وأخذ يتمتم :

– غدا ستزداد أعداد الغربان · ولن تبق عيوننا ·

ولكن حتى قبل أن ينهى قوله ، سمع زند المسدس بجوار أذنه · فجفل واستدار ليرى الكابتن يصوب المسدس عليه فى الظلام ·

وأمره الكابتن فى صوت أجش ولكنه قوى :

– احمـــلنى ·

ولم يعرف العريف ماذا حدث ، وما كان منه تحت فوهة السلاح الا أن يوجه ظهره للكابتن ·

– امـشى !

وشعر العريف بفوهة المسدس تلمس اذنه اليمنى · وسارا فوق التل ، ونزلا الى الأحراش ·

ثم قال الكـابتن :

– قـــف !

وأخذ ينصت لبرهـة ، ثم قال :

– استدر ناحية اليسار قليلا ! ···

انتظـر ! ··· سر الى الأمـام ·

وهكذا تبع العريف أوامر الكابتن بشكل أعمى ··· الى اليمين ،

الى الشمال ، قف ، سر الى الأمام · وطوال هذا الوقت كان العريف يحاول أن يسمع شيئا ولكنه لم يستطع · وفكر ربما يكون الكابتن · وهو على شفا الموت ، قد فقد عقله وأخذ يسمع أشياء ·

ـ اذا كان الأمر هكذا ، فما وضعى الآن ؟ انه لم يحمل أى ضغينة مطلقا ضد الكابتن حتى هذه اللحظة ، ولكن الآن بدأ غضب حانق يثور داخله ضد هذا الرجل ·

ولكن كان عليه أن يستمر فى المشى ، فضغط المسدس خلف أذنه لم يتراخ · وبدأ تقدمه الضعيف المتثاقل حثيثا ، وكأن فوهة المسدس هى التى تثيره كالمهماز ·

وأخيرا وصــلا أســفل التل ·

ـ الى الأمــام ·

ثــم

ـ الى الأمـــام ·

ثم بدأ العريف يسمع شيئا · وتحقق ببطء أنه نباح كلب · ولكنه لم يستطع أن يخمن المسافة ·

وكان حلقه جافا ، وكانت كل خطوة تشبه الســقوط فى جحيــم لا قرار له · وشعر وكأنه يتخلى عن دوره ويتخبط منهارا · ولكنه لم يقدر على ذلك ، فالمسدس يزداد ضغطه خلف أذنه أشد وأشد · ولم يقدر على رؤية أى شىء · ولم يكن حتى يعى الخطوة التى يخطوها · ثم عندما يرى يرى الصورة الظليلة لمنزل ، ورجل وكلب ينبح أمامه فى الظلام ، شعر بتراخى الضغط على مؤخرة أذنه · وانهار ، ووقع على الأرض تحت ثقل الكابتن الميت ·



الفهـرس

●● كتب صدرت عن مشروع الألف كتاب (الثانى)

اسم الكتاب	المؤلف
١ ـ احلام الاعلام وقصص اخرى	برتراند رسل
٢ ـ الألكترونيات والحياة الحديثة	ى ٠ رادونسكايا ٠
٣ ـ نقطة مقابل نقطة	الدس هكسلى ٠
٤ ـ الجغرافيا فى مائة عام	ت٠و٠ فريمان
٥ ـ الثقافة والمجتمع	رايموند وليامز
٦ ـ تاريخ العلم والتكنولوجيا ٠ جـ ٢ القرن الثامن عشر والتاسع عشر	ر ٠ ج ٠ فوربس
٧ ـ الأرض الغامضة	ليستر ديل راى
٨ ـ الرواية الانجليزية	والتر ألن
٩ ـ المرشد الى فن المسرح	لويس فارجاس
١٠ ـ آلهة مصر	فرانسوا دوماس
١١ ـ الانسان المصرى على الشاشة	د٠ قدرى حفنى وآخرون
١٢ ـ القاهرة مدينة الف ليلة وليلة	أولج فولكف
١٣ ـ الهوية القومية فى السينما العربية	هاشم النحاس
١٤ ـ مجموعات النقود صيانتها ٠٠ تصنيفها ٠٠ عرضها	ديفيد وليام ماكدونالد
١٥ ـ الموسيقى ـ تعبير نفسى ـ ومنطق	عزيز الشوان
١٦ ـ عصر الرواية ـ مقال فى النوع الأدبى	د٠ محسن جاسم الموسوى
١٧ ـ ديلان توماس	اشرف س ٠ بى كوكس
١٨ ـ الانسان ذلك الانسان الفريد	جون لويس
١٩ ـ الرواية الحديثة ٠ الانجليزية ـ والفرنسية جـ ١	بول ويست
٢٠ ـ المسرح المصرى المعاصر ٠ أصله وبدايته	د٠ عبد المعطى شعراوى
٢١ ـ على محمو دطه ٠ الشاعر والانسان	أنور المعداوى
٢٢ ـ القوة النفسية للاهرام	بيل شول وادنبيت
٢٣ ـ فن الترجمة	د٠ صفاء خلوصى
٢٤ ـ تولستوى	رالف ئى ماتلو
٢٥ ـ ستندال	فيكتور برومبير
٢٦ ـ رسائل واحاديث من المنفى	فيكتور هوجو
٢٧ ـ الجزء والكل (محاورات فى مضمار الفيزياء الذرية)	فيرنر هيزنبرج
٢٨ ـ التراث الغامض ماركس والماركسيون	سيدنى هوك

اسم الكتاب	المؤلف
٢٩ ـ فن الأدب الروائي عند تولستوى	ف ٠ ع ادنيكوف
٣٠ ـ أدب الأطفال ٠ (فلسفته ـ فنونه ـ وسائطه)	هادى نعمان الهيتى
٣١ ـ أحمد حسن الزيات ٠ كاتبا وناقدا	د٠ نعمة رحيم العزاوى
٣٢ ـ أعلام العرب فى الكيمياء	د٠ فاضل أحمد الطائى
٣٣ ـ فكرة المسرح	فرنسيس فرجون
٣٤ ـ الجحيم	هنرى باربوس
٣٥ ـ صنع القرار السياسى فى منظمات الادارة العامة	السيد عليوة
٣٦ ـ التطور الحضارى للانسان (ارتقاء الانسان)	جوكوب برونوفسكى
٣٧ ـ هل نستطيع تعليم الأخلاق للاطفال ؟	د٠ روجر ستروجان
٣٨ ـ تربية الدواجن	كاتى ثير
٣٩ ـ الموتى وعالمهم فى مصر القديمة	أ ٠ سبنسر
٤٠ ـ النحل والطب	د٠ ناعوم بيتروفيتش
٤١ ـ سبع معارك فاصلة فى العصور الوسطى	جوزيف داهموس
٤٢ ـ سياسة الولايات المتحدة الأمريكية ازاء مصر ١٨٣٠ ـ ١٩١٤	د٠ لينوار تشامبرز رايت
٤٣ ـ كيف تعيش ٣٦٥ يوما فى السنة	د ٠ جون شندلر
٤٤ ـ الصحافة	بيير البير
٤٥ ـ أثر الكوميديا الالهية لدانتى فى الفن التشكيلى	الدكتور غبريال وهبه
٤٦ ـ الأدب الروسى قبل الثورة البلشفية وبعدها	د ٠ رمسيس عوض
٤٧ ـ حركة عدم الانحياز فى عالم متغير	د ٠ محمد نعمان جلال
٤٨ ـ الفكر الأوروبى الحديث ج ١	فرانكلين ل ٠ باومر
٤٩ ـ الفن التشكيلى المعاصر فى الوطن العربى ١٨٨٥ ـ ١٩٨٥	شوكت الربيعى
٥٠ ـ التنشئة الأسرية والأبناء الصغار	د٠ محيى الدين أحمد حسين
٥١ ـ نظريات الفيلم الكبرى	تأليف : ج٠ دادلى اندرو
٥٢ ـ مختارات من الأدب القصصى	جوزيف كونراد
٥٣ ـ الحياة فى الكون كيف نشأت وأين توجد؟	د ٠ جوهان دورشنر
٥٤ ـ حرب الفضاء (دراسة تحليلية لأسلحة واستراتيجيات حرب الفضاء)	طائفة من العلماء الأمريكيين

اسم الكتاب	المؤلف
٥٥ ـ ادارة الصراعات الدولية (دراســة فى سياسات التعاون الدولى)	د ٠ السيد عليــوة
٥٦ ـ الميكروكمبيــوتر	د ٠ مصطفى عنانى
٥٧ ـ مختارات من الأدب اليابانى (الشعر ـ الدراما ـ الحكاية ـ القصة القصيرة)	صبرى الفضل
٥٨ ـ الفكر الأوروبى الحديث ٠ جـ ٢ (الاتصال والتغير فى الأفكار) من ١٦٠٠ ـ ١٩٥٠	فرانكلين ل ٠ باومر
٥٩ ـ تاريخ ملكية الأراضى فى مصر الحديثــة	جابرييل باير
٦٠ ـ أعلام الفلسفة السياسية المعاصرة	أنطونى دى كرسبنى وكينيث هينوج
٦١ ـ الفكر الأوروبى الحديث ٠ جـ ٣	فرانكلين ل ٠ باومر
٦٢ ـ كتــابة السيناريو للســينما	دوايت سوين
٦٣ ـ الزمن وقياسه	زافيلسكى ف٠س
٦٤ ـ أجهزة تكييف الهــواء	ابراهيم القرضاوى
٦٥ ـ الخدمة الاجتماعية والانضباط الاجتماعى	بيتر رداى
٦٦ ـ سبعة مؤرخين فى العصور الوســطى	جوزيف داهموس
٦٧ ـ التجــربة اليونانية	ن ٠ س م بــورا
٦٨ ـ مراكز الصــناعة فى مصر الاســلامية	د ٠ عاصم محمد رزق
٦٩ ـ العــلم والطــلاب والمدارس	رونالد د ٠ سمبسون و نورمان د ٠ اندرسون
٧٠ ـ الشارع المصرى والفكر	د٠ أنور عبد الملك
٧١ ـ حوار حول التنمية	والت روســتو
٧٢ ـ تبسيط الكيمياء	فريد هيس
٧٣ ـ العادات والتقاليد المصرية	مون بوركهارت
٧٤ ـ التــذوق الســينمائى	آلان كاسبياى
٧٥ ـ التخطيط الســياحى	سامى عبد المعطى
٧٦ ـ البــذور الكونية	فريد هويل شاندرا ويكرا ماسينج
٧٧ ـ دراما الشاشة	حسين حلمى المهندس
٧٨ ـ الهيروين والايدز	روى روبر رتسول
٧٩ ـ صــور افريقية	دوركاس ماكلينتوك
٨٠ ـ نجيب محفوظ على الشاشة	هاشم النحاس
٨١ ـ الفكر الأوروبى الحديث جـ ٤	فرانكلين ل ٠ باومر

اسم الكتاب	المؤلف
٨٢ ـ الكمبيوتر فى مجـالات الحياة	د٠ محمود سرى طه
٨٣ ـ دراما الشاشة ج ٢	حسين حلمى المهندس
٨٤ ـ المخدرات حقائق اجتماعية ونفسية	بيتر لورى
٨٥ ـ وظائف الأعضـــاء من الألف الى الياء	بوريس فيدروفيتش سيرجيف
٨٦ ـ الهندسة الوراثية	ويليـام بينـز
٨٧ ـ تربية أسـماك الزينة	ديفيـد الدرتون
٨٨ ـ كتب غيرت الفكر الانسانى	أحمد محمد الشنوانى
٨٩ ـ الفلسفة وقضايا العصر ج ١	جمعها : جون ٠ ر ٠ بورر وميلتـون جـولد ينجـر
٩٠ ـ الفكر التاريخى عند الاغريق	أرنولد توينبى
٩١ ـ قضايا وملامح الفن التشكيلى	د٠ صـالح رضـا
٩٢ ـ التغذية فى البلدان النامية	م ٠ هـ ٠ كنج وآخرون
٩٣ ـ الفلسفة وقضايا العصر ج ٢	جمعها : جون ٠ ر ٠ بورر وميلتـون جـولدينجـر
٩٤ ـ بداية بلا نهـــاية	جورج جاموف
٩٥ ـ الحرف والصناعات فى مصر الاسلامية	د٠ السيد طه أبو سديره
٩٦ ـ حوار حول النظامين الرئيسيين للـكون ج ١	جاليـليو جاليـليه
٩٧ ـ حوار حول النظامين الرئيسيين للـكون ج ٢	جاليـليو جاليـليه
٩٨ ـ حوار حول النظامين الرئيسيين للكون ج ٣	جاليـليو جاليـليه
٩٩ ـ الارهـــاب	أريك موريس ، آلان هـو
١٠٠ ـ اخنـاتون	سـيريل الدريد
١٠١ ـ القبيلة الثالثة عشرة	آرثر كيستلر
١٠٢ ـ العلم وقضايا العصر ج ٣	جمعها : جون ر ٠ بورر وميلتـون جـولدينجر
١٠٣ ـ العـلم والتكنولوجيا	ر ٠ ج ٠ قويس
١٠٤ ـ الأســاطير الاغريقية	أ ٠ ج ٠ ديكسترهوز كـوفلان
١٠٥ ـ التـوافق النفسى	توماس أ ٠ هاريس
١٠٦ ـ الدليل الببليوجرافى	
١٠٧ ـ لغـة الصورة	روى أرمز
١٠٨ ـ الثورة الاصلاحية فى اليابان	ناجاى متشيو

اسم الكتاب	المؤلف
١٠٩ ـ العالم الثالث غدا	بول هاريسون
١١٠ ـ الانقراض الكبير	ميكائيل ألبى ، جيمس لفلوك
١١١ ـ دليل تنظيم المتاحف	أدامز فيليب وآخرون
١١٢ ـ تاريخ النقود	فيكتور مورجان
١١٣ ـ التحليل والتوزيع الاوركسترالى	اعداد محمد كمال اسماعيل
١١٤ ـ الشاهنامه ج ١	الفردوسى الطوسى
١١٥ ـ الشاهنامه ج ٢	الفردوسى الطوسى
١١٦ ـ الحياة الكريمة ج ١	بيرتون بورتر
١١٧ ـ الحياة الكريمة ج ٢	بيرتون بورتر
١١٨ ـ كتابة التاريخ فى مصر ق ١٩	جاك كرابس جونيور
١١٩ ـ قيام الدولة العثمانية	محمد فؤاد ، كوبريلى
١٢٠ ـ العثمانيون فى أوربا	بول كونر
١٢١ ـ مختارات من الآداب الآسيوية	اختيار واعداد صبرى الفضل
١٢٢ ـ التمثيل للسينما والتليفزيون	تونى بار

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٤٢١٥ / ١٩٩٣

ISBN — 977 — 01 — 3349 — 3